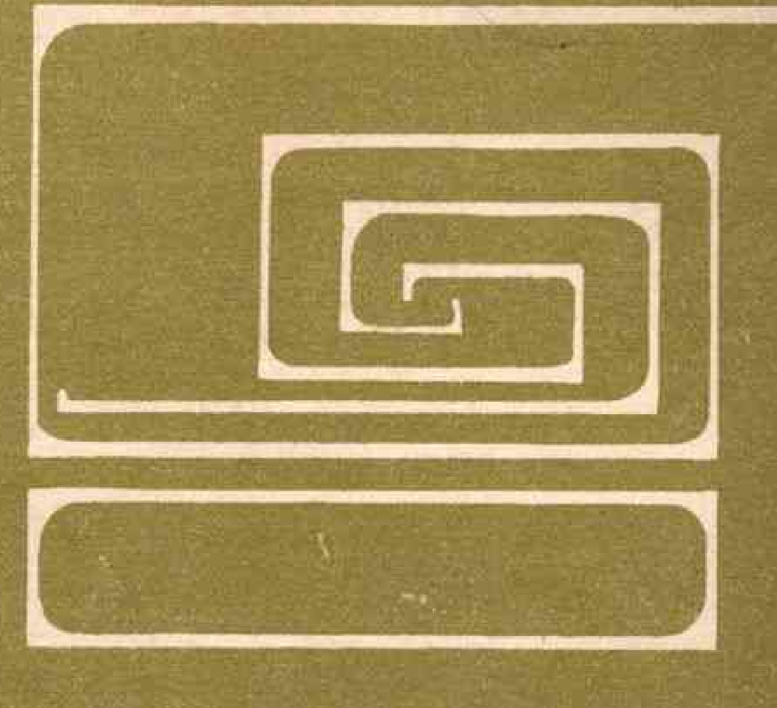


أصول المعرفة العسكرية

بقلم : ميچور چنرال د.ك. باليت

ترجمة : مصطفى الجمل

مراجعة : حسين إسماعيل



أصول المعرفة العسكرية

بقلم : ميجور جنرال د. ك. باليت

ترجمة : مصطفى الجمل

مراجعة : حسين إسماعيل

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٩٧١

هذه هى الترجمة العربية لكتاب :

THE ESSENTIALS
OF MILITARY KNOWLEDGE

---

by

Major General D. K. Palit
EBD Publishing and Distributing Co.
Dehradun (India) 1968

تقديم
بقلم المترجم

ليس فى نيتى بالطبع ان استعرض ما جاء بهذا الكتاب القيم ، الذى وفقت فى اختياره الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ذلك لأن كلا من الكاتب ومقدمه قد أغنانى عن هذا الأمر .. هذا فضلا عن أن الفهرست يوضح محتويات الكتاب بما فيه الكفاية . ان ما يهمنى حقا هو التركيز على بعض الأفكار أو الآراء التى تعرض لها الكاتب ، والتى قد تكون ذات فائدة فى صراعنا الحالى .

تأثير تماسك الجبهة الداخلية على كفاءة القوات المسلحة وبالتالى على نتيجة الحرب :

يوضح لنا الكاتب فى مناسبتين أهمية هذا العامل ، ففى الفصل السادس يذكر الكاتب أن تمزق الامبراطورية الرومانية بصفة مستمرة نتيجة للنزاع الحزبى المهلك أثر تدريجيا فى الانضباط العسكرى والروح المعنوية والتماسك الاستراتيجى لجيش روما ، كما انهارت التقاليد العسكرية للامبراطورية مع تحطم اللجيونات الشهيرة جريا وراء تحقيق أغراض سياسية . وهكذا سقطت الامبراطورية الرومانية فريسة سهلة أمام الغزاة البرابرة القادمين من أوربا . كما أوضح الكاتب فى الفصل الرابع عشر ان التآكل والتناحر السياسيين بين الاشتراكيين والمحافظين فى فرنسا خلال نصف القرن السابق على الحرب العالمية الثانية قد تسرب الى صفوف الجيش وقسمه الى معسكرين سياسيين متحيزين ، ومن ثم أخذت كفاءته القتالية تتدهور بصفة مستمرة الى أن جاءت الحرب فكانت النتيجة الحتمية وهى انهيار وهزيمة القوات الفرنسية البالغ تعدادها أكثر من ٣ مليون مقاتل خلال شهر ونصف .

العلاقة بين السياسيين والعسكريين او بين السياسة والاستراتيجية العسكرية :

يوضح لنا الكاتب فى الفصل الثالث عشر انتقال مسئولية الحرب من العسكريين الى السياسيين فى الدول الديموقراطية فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى ، وأن هذا الانتقال لا يرجع الى عملية التطور السياسى فقط ، بل لأن الحروب الحديثة بجيوشها الضخمة وشئونها الادارية الهائلة قد جعلت تعبئة الموارد القومية فى نفس درجة أهمية الاستراتيجية العسكرية ، كما أن لها تأثيرا مباشرا عليها •

ان الحروب الحديثة حروب شاملة تتطلب تعبئة وحشد جميع طاقات الدول المتحاربة ، وليس أقدر من القيادة السياسية التى تسيطر على جميع قوى الدولة من تولى ادارة هذه الحرب الشاملة •

ان الصراع المسلح ما هو الا أحد جوانب الحرب الشاملة ، فبينما يعتبر « الصراع المسلح » حدودا لمجال عمل العسكريين (الاستراتيجية العسكرية) ، فان الاستراتيجية الشاملة تنسق وتوجه كل قوى الدولة او مجموعة من الدول ؛ سواء أكانت هذه القوى سياسية أم اقتصادية أم دبلوماسية أم نفسية أم عسكرية نحو الحصول على الهدف السياسى من الحرب •• وهى الغاية التى تحددها القيادة السياسية •

وكذلك ، بينما تعتبر « فترة الحرب » حدودا لأفق الاستراتيجية العسكرية ، فان الاستراتيجية الشاملة يجب أن تهتم بالسلم الذى يعقب الحرب ، ولا يجب عليها أن تجمع وتنسق فقط بين القوى المختلفة ، بل عليها أيضا أن تنظم استخدام هذه القوى بحيث تتجنب تقويض حالة السلم المقبلة ، وذلك من أجل أمن دولها وازدهارها •

ان حقيقة اعتماد الاستراتيجية العسكرية على السياسة تتطلب بدورها التوافق بين الأهداف السياسية والامكانيات العسكرية نفسها ، اذ يجب على السياسة أن تخصص للقوات المسلحة اهدافا ومهام ممكنة التحقيق •

ان هذا الأمر يتطلب بالضرورة ان يكون رجال السياسة ومستشاروهم الدبلوماسيون على معرفة كبيرة بالمجال العسكرى أكثر مما كان سابقا • وكما يقال ، ان الأصلح أن يتولى أمر الدولة رجل عسكرى يفهم السياسة ، او سياسى ملم بالعلوم العسكرية •

وتوضح خبرة الحروب السابقة أنه عند عدم امتثال الاستراتيجية العسكرية للسياسة ، أو عندما تتسم السياسة بالمغامرة ، فان ذلك يتبعه ولا شك استراتيجية عسكرية غير سليمة ٠٠ استراتيجية تتسم بالمغامرة، وتؤدى فى النهاية الى الهزيمة كما حدث لألمانيا واليابان وفرنسا فى عهد نابليون ٠

وفى نفس الوقت ، فان استراتيجية الجبن والسلبية والتى تعكس الطبيعة المناظرة لسياسة الدولة ، تسبب أيضا فشلا عسكريا ، وبالتالى فشلا سياسيا كما حدث لفرنسا خلال الحربين العالميتين ٠

ضرورة مسايرة الاستراتيجية العسكرية لامكانيات العصر الصناعى ، وكذا التخطيط لادارة حرب طويلة :

ان عدم مسايرة الاستراتيجية العسكرية لامكانيات العصر الصناعى وانعزالها عن الاقتصاد والمصالح القومية ، واهمال التطورات الحديثة فى الأسلحة والمعدات والتعبئة الاقتصادية العالية التى تتطلبها ضخامة الحروب الحديثة طويلة الأمد يؤدى بلا شك الى هزيمة محققة ٠

لقد أدت القيود التكنولوجية فى ألمانيا العسكرية فيما قبل الحرب العالمية الأولى الى اهمال السلاح الجوى حديث التطور ، والى اهمال تطوير المواصلات والهندسة ، وكذا الى أهمية التعبئة الاقتصادية العالية ٠ ونظرا لأن الأركان العامة الألمانية لم تكن قادرة على التنبؤ أو التمشى مع متطلبات حرب طويلة على نطاق واسع ، فقد وضعت كل ثقتها فى هجوم قصير وخاطف ـ كما تصورته خطة شليفن ٠٠ أولا ضد فرنسا ، وثانيا ضد روسيا ٠ لقد عبر عن هذه الخطة صاحبها بقوله « ان الحرب سوف تنتهى قبل سقوط أوراق الخريف » ٠٠ أى قبل نهاية عام ١٩١٤ ٠ وعلى هذا ، فقد خططت الأركان العامة الألمانية للعمليات الأولية فقط ؛ اذ افترضت أنها يمكنها أن تدمر القوات المعادية وتنهى الحرب خلال هذه المدة ٠ ولذلك فلم تقم بأى اجراءات خاصة بتنظيم وتدريب الأحتياط ، أو لتعبئة الصناعة وتحويلها لأغراض الحرب ، لاعتقادها بأن الذخيرة والأسلحة المخزونة وقت السلم كافية لتحقيق النصر ٠

الا أن الحرب ذاتها أثبتت خطأ كل هذه التقديرات ٠ فطال أمد الحرب وتطلب الأمر تعبئة جيوش تعد بالملايين ، وتحويل الصناعة الى الانتاج الحربى لانتاج كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والمعدات والمهمات الحربية ٠

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وتكرر نفس الشيء مع المانيا ؛ اذ لم تكن القوات المسلحة الألمانية أقوى من القوات المسلحة لباقي دول غرب أوروبا مجتمعة ، لكنها كانت أقوى عدة مرات من جيش أى دولة منفردة ٠٠ وقد استطاعت المانيا الهتلرية ــ وفى فترة قصيرة ــ اخضاع كل أوروبا الغربية تقريبا ، وكذا السيطرة على اقتصادياتها لمصلحتها ٠٠ وكان ذلك بسبب اتباعها لسياسة محاربة كل دولة على حدة ٠ وفى جميع هذه الحالات كانت أهداف الحرب تتمشى مع امكانيـــات القوات المســـلحة الألمانية ٠

الا أن الموقف تبدل تماما بعد هجوم المانيا على الاتحـاد السوفيتى ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ، اذ أصبحت تحارب فى جبهتين حقيقتين فى وقت واحد ٠٠ فطال أمد الحرب وعجز اقتصادها وامكانيات قواتها المسلحة عن تحقيق أهدافها ٠

التنافس بين الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة :

ان احدى السمات الرئيسية للحرب الحديثة هى اشتراك حشـــود كبيرة فيها من الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة (قوات برية ــ قوات جوية ــ قوات بحرية ــ قوات دفاع جوى) ، والأسلحة المقاتلة (مشاة ــ مدرعات ــ مدفعية) المجهزة بمختلف معدات القتال ووســـائل الصراع المسلح ، والتى تملك امكانيات قتالية مختلفة من حيث المدى والقوة وسرعة التأثير على العدو ، كما تملك درجات مختلفة من الاستعداد للقتال وسرعات تحرك غير متساوية ٠ ومن ثم ، فان لكل منها طرقه الخاصة فى أداء عمله، كما أن له مهام ذات طبيعة خاصة يمكنه تنفيذها فى المعركة ٠

وعلى ذلك ، فان النجاح فى أى معركة يتحقق فقط نتيجة الجهـود المشتركة لكل أفرع القوات المسلحة والأسلحة المقاتلة التى ترتبط أعمال قتالها بوحدة الفكر ، ووحدة الهدف ، ووحدة الخطة ، ووحدة الســيطرة والقيادة ٠

ويوضح لنا الكاتب فى الفصل التاسع عشر أهمية مبدأ التعاون بين الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، ثم يستطرد ويقول : ان التنـــافس واختلاف وجهات النظر بين هذه الأفرع كان غالبا ما يتنكر لهذا المبـدأ الهام ٠

وتطالعنـــا الصحف بين فترة وأخرى بالصراع المر بين الشركات

الصناعية فى أمريكا من أجل الربح مما يؤثر تأثيرا بالغـــا على الانتاج الحربى ، وبالتالى على تطوير افرع القوات المسلحة المختلفة • فكثيرا ما تكبح المصالح الرأسمالية الشخصية تطوير هذا النوع أو ذاك من الصناعات الحربية التى لا تعطى أرباحا مجزية ، حتى ولو كان هذا النوع ضروريا ، ولا يمكن الاستغناء عنه من الوجهة العسكرية الوطنية البحتة •

وليس بسر أن من أسباب نكسة ٥ يونيه ٦٧ أن الأفرع الرئيسية لقواتنا المسلحة كانت أشبه بكيانات منفصلة لا تنسيق ولا تعاون بينها • وغنى عن الذكر أن هذه الظاهرة الخطيرة أصبحت الآن فى خبر كان •

حرب العصابات اليوم كمفهوم هجومى :

يوضح لنا الكاتب فى الفصل الثالث والعشرين أن حرب العصابات فى الماضى كانت مفهوما دفاعيا بشكل أساسى ، أما اليوم فقد تعـــدت وظيفتها الدفاعية التاريخية وأصبح من الممكن استخدامها كأسلوب ملائم للسياسة الهجومية التوسعية ، وأن هناك تطورين معاصرين جعلا من هذا التحول فى استراتيجية حرب العصابات أمرا ممكنا وهما : ــ نمو سياسة التوسع العسكرى الشيوعى ، واستراتيجية الردع النووى ، وأود أن أضيف اليهما تطورا لا يقل أهمية عن التطورين الســابقين ، وهو تطلع الشعوب المستعمرة الى الحرية والاستقلال والتخلص من نير الاســـتعباد والاضطهاد الذى تمارسه الامبريالية الغربية •

ويرجع الفضل الى «ماوتسى تونج» فى وضع عقيدة استراتيجية مقننة لحرب العصابات الهجومية ، وكان الدافع لذلك هو افتقـــار الشيوعيين الصينيين الى الأسلحة والمعدات الحديثة •

واذا كان علينا أن نفهم الاستراتيجية الهجومية لحرب العصـــابات الحديثة ــ وهى استراتيجية تمكن أمة صغيرة مثل فيتنام الشمالية من أن تتحدى القوة المسلحة لأقوى دولة فى العالم ، وكذا الاستراتيجية التى أجبرت فرنسا على رد الاستقلال للجزائر ــ فمن الضرورى أولا القاء نظرة على تعاليم ما وتسى تونج العسكرية •

لقد حصر ما وتسى تونج الطاقة العسكرية فى ستة عناصر رئيسية ، ثلاثة منها ملموسة وهى التسليح والتـــأمين الادارى والقوة البشرية ، وثلاثة منها غير ملموسة وهى الوقت والمكان وارادة القتال •

كما أوضح الكاتب أن المقدمة المنطقية الأساسية لنظـرية ما وتسى

تونج هى أنه فى حالة الافتقار الى التعبئة الصناعية يجب أن تحل التعبئة السياسية محلها الى أن يأزف الوقت الذى تتطور فيه الصناعات . وعندما تتم تعبئة الشعب سياسيا يجب استغلال « المكان » والقــوى البشرية الموجهة عقائديا - وكلاهمـــا متوفر بكثرة فى الصين - لاخضاع عامل « الوقت » . وبتعبير آخر ، ينبغى للعقيدة العسكرية أن تهدف الى اطالة حالة الحرب بما يجعلها مفهوما دائما تقريبا . وبينما تهتم العقيدة العسكرية الغربية ، بصفة رئيسية ، بكسب الحرب (لأنها تمتلك الوسائل المادية التى تمكنها من ذلك) ، فان العقيدة الشيوعية الصينية تهتم باطالة الحرب الى المدى الذى يصبح فيه عنصر « الوقت » هو العامل الموازن فى مواجهة تكون - بدون ذلك - غير متكافئة .

اننى أنصح القارىء الكريم بالاهتمام بهذا الفصل ، وبالتقسيم الذى أوضـــحه الـكاتب لحرب العصـــابات (مرحلة كسب الوقت أو المرحلة الدفاعيـة - ثم مرحلة الانهـاك أو التجمد كمـا يســميها الكاتب - وأخيرا مرحلة الحسم أى الأعمال الهجومية) ، وبالأمثلة التى ساقها ثم محاولة مقارنتها بظروف الأمة العربية الراهنة .

المفاوضة والمواجهة معا نتيجة الاستقرار النووى :

يقول الكاتب فى الفصل الثامن والعشرين : - يجب أن يكون مفهوما بوضوح أن ما تحقق - حتى الآن - ما هو الا استقرار نووى فقط - على مستوى الرادع النووى - وليس استقرارا على كافة مستويات الحرب . ان الذى تم « تحريمه » هو الحرب النووية الشـــاملة لا الحرب بجميع صورها . وذلك كما تفصح عنه بوضوح الصراعات المسلحة العديدة فى ربع القرن الماضى .

ولكنه يستدرك قائلا : - ان تطور مفهوم الردع المتبادل يدل على أن الاستقرار النووى يمارس أيضـــا بالفعل درجة من التأثير الرادع على مستويات الحرب الأقل ، حتى وان لم يستطع أن يمنعهـــا فعلا . فهو يستطيع ، على سبيل المثـــال ، أن يتحكم فى كثافة ومســتوى الحروب « المحدودة » . ان ما يتم ردعه وكذا ما يحدث بالضبط يتوقفان على عدد من العوامل .. نووية وغير نووية . وقد حان الوقت لكى نربط كل هـذه النظريات والعوامل المختلفة . بمفهوم شامل خاص بصنع السياســـة العسكرية يضم الاستراتيجية النووية الى الأشكال الأخرى كلها . وبسبب

افتقارنا الى اسم أفضل لهذا المفهـــوم فاننـــا سنسميه « استراتيجية شاملة » .

ان الاستراتيجية النووية ، تدار حتما على مستوى الاستراتيجية الشاملة ، حيث تنطوى على الكثير من النواحى النفسية والمالية والاقتصادية والدبلوماسية ، والتى بدونها ستكون شيئا آخر . وفى الحقيقة ان أى استراتيجية ناجحة هى دائما استراتيجية شاملة . ان السلاح النووى لم يؤد حتى الآن الى أى مواقع حربية ... ان كل ما أحدثه هو أنه قد جعلنا ندرك الى أى مدى يجب أن يكون فن الاستراتيجية شـاملا ، كما جعلنا ندرك مدى قـــوة التأثير التى تحدثهـــا العوامل المختلفة . ان الاستراتيجية الشاملة لم تعد شـيئا يؤخذ على علاته ، أو تدار بطريقة عشوائية بواسطة رؤساء الدول . ان الاستراتيجية الشـاملة يجب أن تبحث الآن على أساس علمى . لقد غدت الاستراتيجية الشاملة تبعا لذلك عملية تفكير يجب أن يستوعبها أى زعيم ... ولقد كانت كوبا مثالا جيدا لذلك .

ان احدى نتائج تعديل المفهوم التقليدى لاســتراتيجية الحرب الى مفهوم استراتيجية الردع هى أن السلام قد أصبح الآن أكثر استقرارا . فبينما كانت التوترات العالمية سابقا قد تؤدى لا محالة الى الأعمـــال العدائية العلنية ، فاليوم تتم تسوية حتى المواقف بالغة الخطورة مثـــل المواجهة حول برلين أو الأزمة الكوبية ــ وربما أزمة الشرق الأوسـط ــ بواسطة الحلول الوسط . وبذا نرى أن العصر النووى قد جاء بالاستقرار ، حتى على مستويات الحرب الأقل . ولكن فى نفس الوقت ، فقدت فكرة السلام القديمة طابعها المطلق . ففى عصر الردع يتضمن السلام مواقف مستمرة تقريبا من الأعمال الخفية ، وان كانت ايجابية .. وهى ما نسميه « بالحرب الباردة » .

نعم .. ان أحد « قوانين » الحرب النووية هو أنه ما ان يتم الاستقرار النووى بين القوى الأعظم حتى تحظر أيضا الحروب على مستويات أقل من المستوى النووى ، الا أن ذلك يتم بمقياس متدرج . فعلى سبيل المثال ، اذا كان تأثير الرادع المضاد صريحا ومباشرا فى أى مسرح ــ وهو الموقف الموجود حاليا فى أوروبا ــ فان كل أشكال العمل العسكرى العلنى تستبعد ويمكن فقط القيام بحركات « الحرب الباردة » . ومن جهة أخرى ، اذا كان الرادع بعيدا وتأثيره غير مباشر ــ كما فى حالة جنوب شرق آسيا حاليا ــ فيمكن حتى شن حرب تقليدية على نطاق كامل ، مادامت ستظل محدودة

من الناحية الاقليمية ٠ وتشهد حرب فيتنام بشكل مستفيض على صحة هذا « القانون » ٠

ان العصر النووى ، أو على الأصح الاستقرار النووى قد جعل المواجهة العسكرية بين القوتين الأعظم أمرا غير ذى موضوع ٠ ان كلا القوتين لا تسمحان بأى نزاع بينهما أو بين أى من حلفائهما أو أصدقائهما أن يتصاعد الى حد المواجهة العسكرية بينهما ، ذلك لأن المواجهة العسكرية بينهما معناها التدمير المتبادل المحقق لكليهما ٠ هكذا أثبتت حروب كوريا وفيتنام والشرق الأوسط ، كما أثبتته أزمة المجر وكوبا وتشيكوسلوفاكيا ٠

وبمعنى آخر ، ان الحوار قائم ومستمر فى المجالات التى تمس الأمن المباشر لكل من العملاقين ، والمواجهة قائمة ومستمرة أيضا فى المجالات التى تمس أطرافا ثالثة ٠

ان أفضل وصف لما يمكن أن يشهده العالم نتيجة لقيام هذه العلاقة الثنائية المتوازية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، هو ما يمكن أن يسمى بفترة من « السلام البارد » — ولا أقول الحرب الباردة — ذلك السلام الذى يتراوح بين المفاوضة والمواجهة ، وربما الاثنتان معا وفى وقت واحد كما نشهد اليوم ٠٠ المفاوضة كما نراها فى هلسنكى بشأن الحد من التسلح النووى والأسلحة الاستراتيجية ٠٠ والمواجهة كما نراها فى أزمة الشرق الأوسط ٠

ان الجنس البشرى فى أواخر القرن العشرين والذى ما زال يطارده شبح الحربين العالميتين والمسلح حاليا بكافة وسائل العلم الحديث ، قد يجد أخيرا طريقة لمنع تكرار حدوث مثل هاتين الكارثتين ، ولكن سخرية القدر وعنف ارادته قد تجعلان الانسان يدفع ثمنا لا يرجوه ، فالصراع قد يستمر بشكل محدود ، ولكنه سيستمر الى الأبد ٠

ان الحرب على النطاق الواسع ، والسلام بمعناه الحقيقى قد يلقيان مصرعهما ويدفنان جنبا الى جنب ٠٠ وهذا ما دعانى الى وصف موقف العالم اليوم بالسلام البارد ٠

واخيرا ، قد أجد لزاما على أن أذكر أن الكاتب رغم محاولته الناجحة فى التزام الموضوعية ، الا انه يمكننا أن نلمس بوضوح نزعته الغربية وعطفه على المدرسة الانجليزية بحكم ثقافته ، رغم انتقاده لها نظرا لجمودها

بعض الشيء . وفى الوقت نفسه يمكننا ان نلمس بوضوح أيضا هجومه على الصين وتخوفه من سياستها نظرا للظروف التى تحكم العلاقة المتوترة بينها وبين وطنه ، الهند ، وكذا لكونهما أكبر دولتين فى الشرق الأقصى .

وخشية ان يصبح التقديم بابا كاملا فى حجمه ، فاننى أكتفى بهذا القدر موجها النظر الى الحواشى العديدة التى ذيلت بها كثيرا من الصفحات لزيادة الايضاح .

والله ولى التوفيق ...

المترجم

مقدمة الطبعة الثانية الإنجليزية

نشرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب منذ أكثر من عشرين عاما مضت، وكتبت في مقدمتها أقول : « ان هدفي من تأليف هذا الكتاب هو حث الضباط الأصاغر على الاهتمام بالدراسة العسكرية .. جامعا في مؤلف صغير كل عناصر المعرفة العسكرية التي تعتبر ضرورية لاعداد خلفية مناسبة للدراسة الموضوعية للحرب » .

واذا كان لا يزال لزاما علينا أن نحافظ على هذا الهدف ، فان هذا الكتاب يتطلب منا أن نراجعه وأن نوسعه . لقد حدثت ثلاثة تطورات رئيسية في الشئون العسكرية تقتضي هذه المراجعة . أول هذه التطورات ما يجري من اعادة تفكير كبيرة في النواحي الاستراتيجية والتكتيكية المختلفة للحرب العالمية الثانية مبنية على أساس من المعلومات الجديدة التي تيسرت لدينا الآن . سواء من مصادر الحلفاء أم « العدو » . وثانيا ، ان فترة العدوان الشيوعي التي أعقبتها قد أعطت حرب العصابات هدفا جديدا ومعنى جديدا ، وشكلا تطبيقيا جديدا لا يمكن للدارس العسكري اليوم ان يغفله . ثالثا ، ان المدخل الى الاستراتيجية العسكرية مر بتغيير جذري نتيجة للمبادىء الجديدة للردع النووي. وهناك مفهوم جديد «للاستراتيجية الشاملة » – التي تشمل كلا من العوامل التقليدية والنووية – آخذ في التكوين تدريجيا .

ان الطبعة الجديدة تغطي كافة جوانب الدراسة العسكرية المعاصرة. وتشتمل الأبواب الأولى على تحليل للحرب التقليدية من وجهات نظر مختلفة ، كما تشتمل على تاريخ للتطور التكتيكي والاستراتيجي منذ أقدم العصور حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، يعقبها باب خاص بمدخل أكثر ذاتية يعتبر دليلا للتخطيط الفعلي للعمليات وادارتها أي مبادىء و «حقائق» الحرب . وبذلك تختتم دراسة الحرب التقليدية وأساليبها التقليدية .

ننتقل بعد ذلك الى تطور النواحي المختلفة للاستراتيجية العسكرية في العشرين سنة الأخيرة . فهناك باب خاص بحرب العصابات يؤكد

المفاهيم الجديدة لاستراتيجية العصابات الهجومية (كنقيض للمفهوم الدفاعى التاريخى) ويناقش ببعض التفصيل تعليمات ماوتسى تونج والشيوعيين الصينيين • وقد اشتمل هذا الباب كذلك على أسلوب العمليات المضادة لحرب العصابات ، وهو موضوع لايزال محل جدال ، وخاصة فيما يتعلق بالتجربة البريطانية الناجحة فى الملايو ، والطريق المسدود الحالى فى فيتنام •

وأخيرا فان الباب الخاص بالحرب النووية يشرح بأسلوب سهل تطور الاستراتيجية النووية منذ السياسات الأمريكية القديمة الخاصة بالهجوم الوقائى أو المسبق والانتقام الجسيم حتى المفاهيم الأخيرة الخاصة بالردع النووى والاستقرار النووى •

وانى أشيد بفضل الناشرين الانجليز - ماكدونالد وشركاه - لاطلاقهم حريتى فى الاقتطاف من كتابى « الحرب فى عصر الردع » الذى اقتبست منه كثيرا ، كما أشيد بفضل ف٠د باندى ليس فقط على كتابته كل الكتاب أكثر من مرة على الآلة الكاتبة وانما أيضا على مساعدته القيمة فى مراجعة وتصحيح « بروفة » الطباعة •

الأكاديمية العسكرية الهندسية — د٠ك باليت

ديسمبر ١٩٦٧

تقديم الطبعة الأولى

بقلم : فيلد مارشال سير كلود أوكينلك

انى لا أتردد فى اطراء كتاب « الماجور باليت » لأى ضابط يرغب فى التوصل الى فهم أوضح للمبادىء والأساليب التى تؤهله للقيادة الناجحة فى الحرب . وهذه المبادىء ، كما بين الماجور باليت بوضوح فى كتابه ، لا تتبدل أبدا ، انما أساليب التطبيق فقط هى التى تتغير مع تغير الأسلحة ووسائل التحرك والأمداد .

ان دراسة الماجور باليت لتنظيم وتكوين الجيوش منذ أقدم العصور، وكذا للطرق التى كانت ولا زال من الممكن لعناصرها المختلفة أن تمتزج بها تكتيكيا فى ميدان القتال ، ذات أهمية كبيرة بالنسبة لنا جميعا ، نحن العسكريين ، فى الوقت الحاضر ، حيث نواجه ظهورا وشيكا لأسلحة ووسائل جديدة لشن الحرب ذات قوة ومدى لم يحلم بهما أحد حتى الآن .

لقد دارت العجلة دورة كاملة تقريبا فيما يختص بهذا الأمر . فكما يخبرنا المؤلف كان لدى قدماء المصريين « فرق » منظمة على نحو يشبه كثيرا تنظيم فرقنا فى الحرب العظمى الأخيرة ، التى انتهت منذ فترة وجيزة، حيث كان كل سلاح يتجمع منفصلا ، ولكنه كان يدرب على التعاون الوثيق فى المعركة . ثم يرينا بعد ذلك الليجيون الرومانى حيث كانت «الأسلحة» المختلفة ، كما نسميها اليوم ، توزع لتشكل المجموعات العديدة المتماثلة التى تكون « الفرقة » . وقد أدت هذه التجربة الى فقدان المرونة ، وان كانت ممتازة فيما يتعلق بالتعاون المحلى البحت فى أى جزء من جبهة القتال . ونرى بعدئذ كيف ان « جوستاف أدولف » قد أعاد المرونة والقدرة على المناورة الى الجيوش بحشد الأسلحة المختلفة التى يحدد لكل منها غرضا يناسبها ، وبذلك ضمن أقصى درجة من التعاون فى ميدان القتال . ثم أرانا بعد ذلك كيف طور نابليون وأكمل تنظيمه « للفرق »

المكتفية والمستقلة ذاتيا مما أعطاه قدرة على المناورة ومرونة لا يفوقهما شىء ، مما مكنه من انزال هزائم مذهلة باعدائه الذين كانوا أكثر جمودا فى التنظيم وأبطأ فى الحركة .

ان مفهوم نابليون الخاص بتنظيم الجيش فى الميدان ـ كما أوضح ماجور باليت ـ لا يزال باقيا حتى اليوم .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، وبسبب التأثير الفائق الذى مارسته المدرعات والطائرات فى المعركة الحديثة ، بدأت أفكارنا حول الطريقة التى ينبغى أن يتم بها تشكيل وتنظيم الجيوش تتغير ، وتبتعد عن النظرية التى تقول بضرورة أن تكون « الفرق » التى يبلغ تعداد أفرادها من ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ هى أصغر تشكيل يمكن أن تشترك فيه كل « الاسلحة » مع مراعاة مبدأ الاقتصاد فى القوة . لقد اضطررنا فى ليبيا ، عندما كان الألمان يهددون مصر ، الى استخدام مجموعات أو تشكيلات أصغر من ذلك بكثير ، حيث كانت الأسلحة الرئيسية الثلاثة كلها ممثلة فيها ـ أى المدرعات والمشاة والمدفعية . وفى الواقع ، فقد ذهبت هذه العملية فى وقت من الأوقات الى حد أنه فى كل « مجموعة قتال » كان « السلاح » الرئيسى هو المدفعية يعاونها أكبر قدر يمكن توفيره من الدبابات ، مع القدر الضرورى فقط من المشاة لحماية المدفعية . وفى الواقع ، فقد أصبحت المشاة ، بصفة مؤقتة ، عائقا أكثر منها عونا . وصحيح أننا قد أجبرنا على استخدام هذه الوسيلة نظرا للتفوق فى كفاءة وعدد الدبابات الألمانية ، كما ان الوضع قد عاد الى سيرته الاولى فيما بعد عندما أعيد تعديل الميزان، الا أن ذلك يعتبر مثالا لكيفية اعتماد التنظيم على التكتيكات ، التى تتأثر بدورها الى حد كبير بالأسلحة . وكتاب ماجور باليت يوضح هذا الدرس بمقدرة بأقصى قدر من التشويق .

واليوم ، مع التطورات الحديثة التى تواجهنا فى الأسلحة وأساليب شن الحرب ، يبدو لنا أنه من المحتمل ـ على الأقل ـ أن يكون علينا أن نعدل آراءنا فيما يتعلق بأفضل الطرق لمزج « أسلحة » القوات المسلحة المختلفة وتسليحها فى المعركة . وربما سيكون لزاما علينا ، فى مواجهة القنابل الذرية والصواريخ بعيدة المدى والمقذوفات الموجهة ... الخ ، أن نتخلى عن « الفرق » التى كسبنا بها الحرب الأخيرة ونعود الى مبدأ الليجيون الرومانى ، حيث كان كل كوهورت ، أو « لواء » كما نسميه اليوم ، يضم عنصرا من كل « الأسلحة » المتيسرة عندئذ ليشترك به فى المعركة وكان، بالتالى ، مكتفيا ذاتيا ويؤمن نفسه بنفسه . ويمكننا ان نتصور أن

« مجموعة » المستقبل ستحتوى على دبابات ، ومدفعية ، ومهندسين ، ومشاة ، وأن « الفرقة » قد تتكون من عدد من مثل هذه المجموعات التى تتشابه جميعها ٠

ان هذه المشكلة تتطلب دراسة عاجلة وعميقة من جانب كل العسكريين ٠

ومن تاريخ فن التكتيك يقودنا المؤلف الى دراسة أسس الاستراتيجية ويبين بشكل واضح الاعتماد المتبادل بين الاستراتيجية والتكتيك ، وهو موضوع نادرا ما كان محل فهم كامل ٠ وبعد أن شرح بوضوح فائق مفهومه لمبادىء الحرب ، التى تعتبر مبادىء ثابتة ، ضرب أمثلة على نتائج دراساته ، وذلك بشرح تعليمى شامل للهجوم الألمانى على بولندا (١) عام ١٩٣٩ وهو أول شرح مترابط أراه لهذه الحملة الشهيرة ٠

لقد وجدت أن هذا الكتاب من أكثر الكتب تشويقا للقراءة ، وانى لعلى ثقة من أن الضباط الأصاغر المتلهفين على أن يصلوا فى مهنتهم الى حد الكمال سوف يستفيدون بقدر كبير اذا درسوا هذا الكتاب بعناية ٠

نيودلهى	فيلد مارشال
٧ ديسمبر ١٩٤٦	ك ٠ ج أوكينلك

---

(١) تم استبعاد الباب الخاص بالحملة البولندية من الطبعة المنقحة .

الباب الأول

تحليل الحرب



الفصـــل الأول

• دراسة الحرب

كانت دراسة الحرب دائما ، وذلك على عكس الاعتقاد الشـــائع ، موضوعا شديد التعقيد · فالقتال الفعلى - أى اشتباك القوات فى قتـــال متلاحم أو قريب - يمكن ان يكون عملا غير معقد نسبيا ، ولكن الخطوات التى تسبقه وتلك التى تعقبه تنطوى على مشكلات معقدة غالبا ما تكون متناقضة · وهذا التعقيد يزداد يوما بعد يوم ، كما هو الحال بالفعل مع القتال ذاته ·

قبل بداية العصر النووى كانت مسئوليات ادارة الحرب توزع توزيعا واضحا على المصـــالح الحكومية المختلفـــة : فكان واجب رجال الدولة والسياسيين هو رسم سياسة الدولة ، وتنظيم مواردها من أجل الحرب ، ثم بعد ذلك استغلال نتيجة الحروب لتعزيز مصالح الدولة · اما فيمـــا يختص بالطرق الفعلية وخطوات العمل التى تدار بها الحروب - وبتعبير آخر فتح وتحركات القوات أو السيطرة التطبيقية (التشـــغيلية) على المواقع الحربية - فكانت من اختصاص المحترفين ، أى قادة الجيش والبحرية والطيران · ومن جهة أخرى نجد أن الرجل العادى (غير المحترف) كان أساسا عبارة عن متفرج ، رغم أنه غالبا ما كان يسهم فى فترات الحرب الفعلية اسهاما كبيرا فى كل من الميادين السياســـية والعسكرية بسبب اهتمام معين أو خبرة خاصة ·

لقد تغير ذلك كله اليوم ، اذ اختلف المنظر العام بسبب الظروف المتغيرة التى يجب أن تخطط وتنفذ فيها الحروب · فأولا أصبحت الحرب عملية تكاد تكون مستمرة بالنسبة لمعظم الدول الكبرى فى العالم ؛ ذلك لأنه حتى تلك الفترات التى تسمى بالسلام ما هى فى الحقيقة الا فترات من المواجهة العسكرية أو « الحرب الباردة » · وثانيا ، لم يعد من الممكن وجود تقسيم محدد وواضح للمسئوليات · فعلى سبيل المثال ، أصبحت طرق وخطوات ادارة الحروب فى المحل الأول من اهتمـــام رجال الدولة

والسياسيين لأنهم ، وليس المحترفون ـ هم الذين يملكون سلطة استخدام اكبر أسلحة الحرب وهى القنابل النووية • وهكذا انتقلت الاستراتيجية العسكرية ـ التى كانت من الناحية التقليدية من اختصاص المحترفين ـ الى ملفات السياسة الخاصة بالسياسيين • وفى نفس الوقت ، اصبح صنع السياسة على المستويات الحكومية معتمدا على التقييم والمشـــورة العسكريين ، بحيث اصبح مطلوبا من المحترفين ـ بدرجة لم تحدث من قبل ـ أن يتوسعوا فى خبرتهم لتشمل قضايا ومشاكل أبعد كثيرا عن المسائل والمشاكل الاستراتيجية البحتة •

اما بالنسبة لغير المحترفين ، فلهم اليوم مكان معترف به على موائد المجالس ؛ فمن صـــفوفهم يأتى العلمـــاء الذين لا يمكن لقادة الحرب التقليديين أن يقيموا أو يستغلوا كل امكانيـــات التسليح الحديث دون الاستعانة بمعرفتهم ذات الخبرة ، ومنهم رجال الفكر الذين نلجـــأ اليهم بصفة مطردة لامدادنا بالحجج النظرية ، وبالحجج المضادة الخاصة بالحوار النووى •

لذا فمن المحتم أن تصبح دراسة الحرب مسئولية مسلما بها لقطاع عريض من المجتمع أكبر مما كان عليه الحـــال فى الماضى • ففى صراع المستقبل ، سوف يتوقف النجاح الى حد كبير فى توجيـــه الحرب على المستويات العليا ، وفى صنع السياسة القومية على المشاركة التى يبذلها مجتمع قائم على قاعدة عريضة • ولكى تكون هذه المشاركة ذات أهمية ، فلابد من أن يحتوى نظام التعليم العام على جانب من المعرفة الأساســـية بأساليب وعمليات الحرب •

وفى هذا الكتاب تبدأ دراستنا للحرب بتحليل وظيفى ، وتطبيقى (تشغيلى) ودورى ، للخطوات التى تتبع فى تحضـــير وادارة الحرب الحديثة ، ثم ننتقل بعد ذلك الى دراسة تاريخ وخلفية الحرب التقليدية ، ونتأمل المبادىء والمواقف التى نشأت عبر العصور المختلفة • وحينئـــذ فقط يمكننا أن نستوعب تماما مغزى اشـــكال خاصة جدا من الصراع تطورت خلال العصر الحاضر ، أى « الحرب الباردة » وهجمات (حروب) رجال العصابات الثوريين ، والاستراتيجية النووية والردع ، وقد نوقشت هذه الأشكال فى الأبواب الأخيرة من هذا الكتاب •

"الملحق (١)"

الاستراتيجية السياسية | الاستراتيجية | التكتيك

التخطيط | التنفيذ

صياغة سياسة الحرب
الاعداد السياسي والاقتصادي
تقديرات المخابرات
تنظيم الأسلحة وتدريب القوة البشرية
التعبئة
توزيع الموارد
فتح القوات
مزيد من الفتح
تحقيق الاتصال
أعمال المناوشة
الاتصال والقتال (الهجوم والانسحاب .الخ) (ينتهي الى عدم الحسم)

الحركة | (محاولة) للتدمير

مزيد من الحركة | (محاولة) للتدمير

الدورة الثانية

التخلص ← إعادة التجميع ← اعادة الفتح ← إعادة تحقيق الاتصال

الموقعة الثانية

الاستراتيجية (تابعة من الهزيمة التكتيكية) | التكتيك

الحركة | التدمير

الدورات التالية ←

الموقعة النهائية ← النصر (أو الهزيمة).

التخطيط | التنفيذ | الاستراتيجية السياسية

الاستراتيجية | التكتيك | الاستراتيجية السياسية

دورة الحرب

الفصل الثـانى

● التحليل الوظيفى

يمكن تحليل دراسة الحرب من نواح مختلفة • فمن وجهـــة النظر الوظيفية يمكن تقسيمها الى نواح ثلاث رئيسية هى : التخطيط ، والتنفيذ، والشئون الادارية (لوجستيك) •

وبعبارة واضحة ، فان الغرض من التخطيط للحرب هو وضع القوات المسلحة للأمة فى أفضل وضع ممكن لها بالنسبة للعدو قبل بدء العمليات، وفى كل المراحل التالية لها • هذه هى مسئولية ضباط الأركان العامة على كافة المستويات ، سواء فى مجلس الوزراء أم فى أفرع القوات المسلحة أم فى التشكيلات بالميدان •

ان التخطيط فى هذا المجال الأكبر يشتمل على بعض النواحى مثل تنظيم جهاز الدفاع ، ورسم سياسة الحرب ، وحصر وتوجيـــه الموارد الصناعية والاقتصادية ، وتعبئة القوة البشرية ، والتنسيق بين الأساسيات العديدة الأخرى التى تشكل القدرة الحربية لدى الأمة ، وذلك قبل بدء الحرب فعلا • ان التخطيط على هذا المستوى ينفذ كلية تقريبا بواسـطة مصالح ومستشارى الوزارات المختلفة ، ويتم تنسيقها بواسطة جهاز على مستوى القمة مثل مجلس الحرب أو مجلس الأمن القومى (كما هو الحال فى الولايات المتحدة) • وهكذا أصبح تخطيط الدفاع على أعلى المستويات مسئولية الحكومة المدنية ، لا القادة العسكريين ، وتلك هى احدى التطورات المميزة للقرن الحالى •

وما ان يتم رسم السياسة الحكومية حتى تترجم الى خطط عسكرية بواسطة ضباط أركان الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة المســئولين عن تنظيم القوات المســلحة للحرب ، وعن اعداد خطط العمليــات والخطط الادارية • وما أن يتم التصديق على الخطة الاستراتيجية العامة حتى يكلف قادة مسارح العمليات المختلفة بمهامهم العديدة ، وبعد ذلك تبدأ حلقـة التخطيط فى الرئاسات ذات المستوى الأدنى فى العمل •

وفى الجيش تعتبر الأركان العامة فى كل مستوى من مستويات القيادة مسئولة عن كافة جوانب التخطيط الاستراتيجى والتشغيلى ؛ اذ أنه بناء على تقديرهم يحدد حجم القوات المطلوبة ، كما تعد خطط تعبئتها وتحركها ، وسياسة تدريبها ، ونظم الأسلحة والمعدات ، والتامين الادارى، وكذا القرارات العديدة الأخرى بالأعداد للحرب .

لقد أصبح التخطيط للحرب عملية معقدة تتطلب أعلى مستويات القدرة والمعرفة المهنية . وكان التخطيط فى النظام الألمانى السابق ـ حتى على المستويات الأقل نسبيا ـ تتولاه فئة داخل الجيش على مستوى عال من التدريب عرفت باسم الأركان العامة الكبرى ، وكان أعضاؤها يختارون خصيصا من بين كادر الضباط فى بداية حياتهما العملية ، والذين تركز تدريبهم المهنى على عمل ضباط الأركان ونواحى التخطيط للحرب ، والذين قضوا معظم حياتهم العملية فى الأركان بحيث أصبحوا فى الوقت المناسب محترفين موفورى التعليم ، وأصبحوا قلب التخطيط العسكرى الألمانى . ونتيجة لذلك دخلت ألمانيا فى ثلاثة حروب كبيرة خلال المائة عام الأخيرة ، وقد أعدت لها الخطط اعدادا كاملا ونسقتها تنسيقا دقيقا قبل اطلاق أول طلقة فى ميدان القتال بفترة طويلة .

وعلى النقيض من ذلك ، فان الجيش البريطانى لم يدرك أهمية التخطيط الا منذ عهد قريب فقط وبعد تاريخ طويل من الكوارث . وربما تكون الفترة الطويلة من السلام النسبى غير المتقطع التى عاشتها بريطانيا قبل دخول عصر الحرب الحديثة سببا فى اهمال وظائف التخطيط فى كل من الحكومة ووزارة الحربية . ولم تكن هناك أركان عامة حتى بداية القرن الحالى ، فكانت وزارة الحربية التى لا تمتلك جهازا للتخطيط قلعة لسوء الادارة ، وعدم الكفاءة ، والفوضى الادارية . واعتمد اعداد خطط الحرب على التوزيع العشوائى للمسئوليات على حوالى ستة من المراكز الرئيسية فى وزارة الحربية ، وكانت لكل منها حقوق مكتسبة تصونها بحمية وغيرة. ولم تبدأ الاصلاحات الا عندما تكشفت عدم كفاءة « هوايتهول » (١) الجسيمة فى أثناء « حرب البوير » . وقد انشأت لجنة « ايشر » مجلس الجيش ووضعت الأساس لهيئة أركان الامبراطورية العامة . وبعد « اصلاحات هالدين » التى جاءت بعد ذلك بسنوات قليلة اكتمل هذا العمل بظهور هيئة الأركان العامة كما نعرفها الآن .

---

(١) المكان الذى يضم عددا من الوزارات البريطانية ، ويستخدم مجازا ليعنى الحكومة البريطانية . (المترجم)

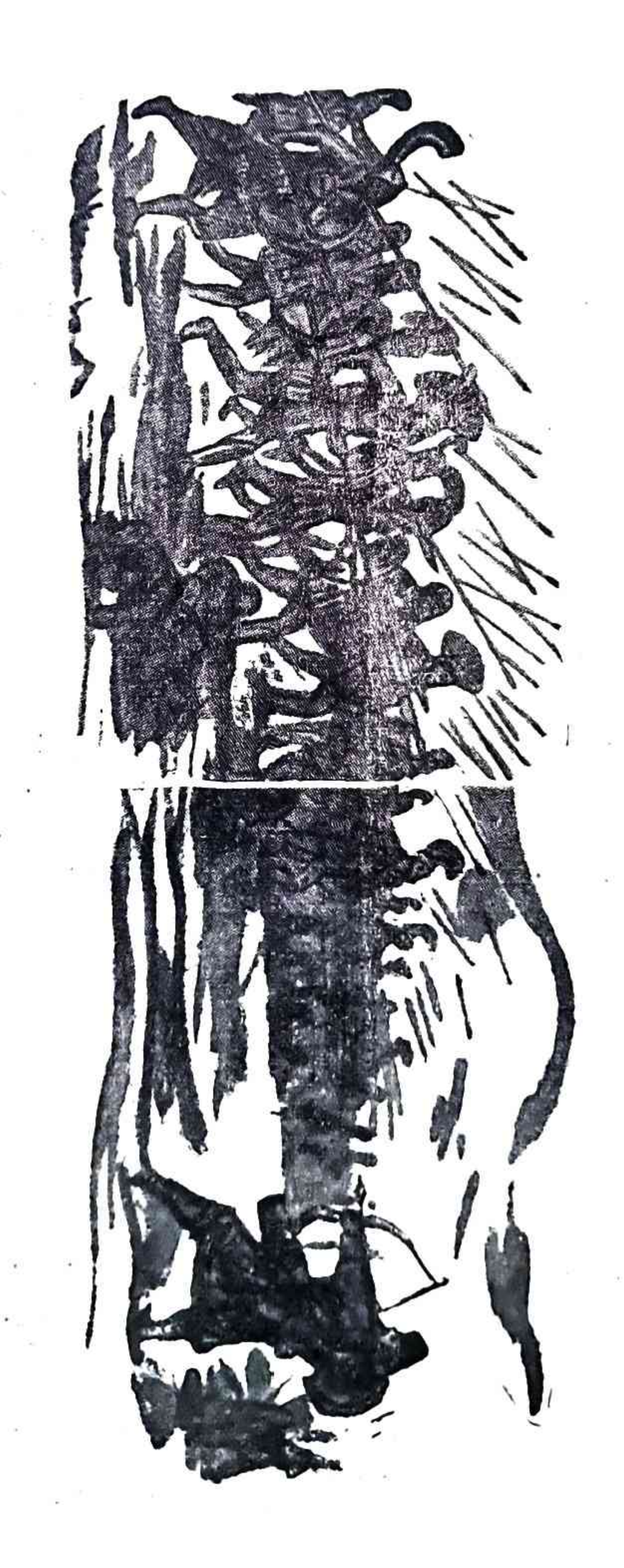
ومنذ عام ١٩٤٥ عندما أصبحت اعتبارات الحرب النووية هى الاتجاه السائد فى صنع السياستين : السياسية والاستراتيجية ، أنشأت القوى الكبرى فى العالم مجالس دفاع دائمة على مستوى عال تجتمع فى فترات منتظمة حتى فى أوقات السلام ، وذلك لاستعراض واعادة صياغة السياسة الاستراتيجية ، وهناك اتجاه ملحوظ نحو اشتراك عدد من الخبراء فى هذه المجالس من مجالات أخرى غير المجالات الحكومية الصرفة • وجرى العرف فى البنتاجون بالولايات المتحدة على استشارة أمثال هؤلاء الخبراء — من الجامعات والهيئات العلمية والصحافة — بخصوص العديد من نواحى الاستراتيجية النووية • وعلى هذا ، فان التقاليد وتحفظ العسكريين المحترفين توضع موضع الاختبار بمواجهتها بالمجادلات الواعية لرجال الفكر لضمان اختبار كافة نواحى التخطيط الدفاعى ذى الوجوه المتعددة قبل اتخاذ القرار • هذا هو نموذج العمل فى المستقبل ، ويجب على الخبراء من خارج صفوف المحترفين أن يستعدوا للادلاء بآرائهم •

وبالرغم من أن مثل هذا التخطيط يسبق وظائف الحرب الأخرى فى ترتيب منطقى ، الا ان تنفيذ الخطط — وهو فن القائد فى ميدان القتال — هو الذى يشكل الوظيفة الحاسمة فى الحرب •

ان التاريخ العسكرى يقدم لنا أمثلة عديدة استطاع فيها قائد قدير أن يعمل على نجاح حتى الخطة الضعيفة بفضل مهارته فى التنفيذ •• أى بقدرته على استخدام القوات فى ميدان القتال• وتاريخ الجيوش البريطانية، على سبيل المثال ، مملوء بالعديد من هذه الأعمال • وكان يمكن أن تكون الحروب التى كسبتها بريطانيا قليلة لو أنها اعتمدت على جهود مخططيها فقط •

ونادرا ما يكون العكس صحيحا ، فحتى الخطط التى تلقى أكبر عناية فى اعدادها لا تستطيع النجاح ، اذا كان التنفيذ سيئا أو حتى متوسطا • فالاعداد الاستراتيجى مهما بلغ لا يستطيع أن يضمن نجاح خطة ما ، اذا أسىء تنفيذها تكتيكيا •

وكان هناك كثيرون من بين أكبر القادة البريطانيين فى الحرب العالمية الثانية استطاعوا خلال السنين العصيبة من ١٩٤٠ الى ١٩٤٢ أن ينقذوا بريطانيا من كارثة كادت أن تكون محققة،وذلك بفضل مهارتهم فى استخدام القوات • ومثال ذلك ، حملة الجنرال أوكينلك فى شمال أفريقيا خلال عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٢ • ففى المرحلة الحرجة من موقعة (الكروسيدور)



فى ديسمبر عام ١٩٤١ ، عندما فشل جنرال كننجهام قائد الجيش الثامن فى تنفيذ أى من المهام المكلف بها وخسر معظم دباباته ، فى هذه الأثناء كان تفكيره كله يدور حول الانسحاب حتى لا تقطع مواصلاته بواسطة قوات روميل خفيفة الحركة • وعلى عكس تعليمات القائد العام ، أعدت خطط الانسحاب الكامل وصدرت الأوامر الى رئاسة الجيش الثامن بالانسحاب الى مصر • فى تلك المرحلة ، قرر أوكينلك أن يقود القتال بنفسه وأن يتولى قيادة الجيش الثامن • وفى الوقت الذى كانت فيه جميع الأمور سيئة ، وكان هناك جيش متفوق بدرجة كبيرة فى المدرعات يواجه قواته غير المنظمة ، أصدر أوامره بالثبات والصمود ، وبحث فورا عن فرصة للقيام بالهجوم المضاد • واستطاع بمهارته وباحساسه بالمعركة ، وببراعته فى استخدام القوات أن يحول ما كان يبدو وكأنه هزيمة محققة الى نصر مدو ، وبذا أصبح أول جنرال بريطانى يقهر جنرالا المانيا فى الحرب العالمية الثانية •

ان أهمية هذه الوظيفة الحاسمة (القائد الميدانى) لاتلقى فى الغالب الادراك الكافى ، وبالذات من هؤلاء الذين يقع على عاتقهم اختيار قادة الحرب • وأسباب ذلك عديدة : أولا ، لأن العثور على الاستراتيجيين والمخططين وتقييمهم فى أثناء سنوات السلام أسهل بكثير من العثور على المنفذين وتقييمهم • وفيما عدا المناسبات النادرة عندما تشترك التشكيلات الميدانية بكاملها فى معارك هيكلية (تمثيلية) ، فانه لا توجد هناك فرصة لتقدير القيمة الحقيقية للقائد ، ذلك لأن الاستخدام الفعلى للقوات فى أثناء أزمة ما ، هو وحده المجال الذى يستطيع القائد أن يظهر جدارته فيه • وهكذا ، فعند اختيار جنرال للقيادة فى الميدان ـ وهى مسئولية تتضمن وظيفتى التخطيط والتنفيذ ـ فان قدرته كمخطط تصبح بالضرورة هى المقياس المعتاد للاختيار • وثانيا ، فان تقييم أى منفذ يعتمد على عدد من الأشياء غير الملموسة مثل القدرة على الحكم أو التقدير التكتيكى ، والقدرة على اتخاذ القرار ، والقدرة على العمل فى الزمان والمكان الحرجين ـ وهى هبة عسيرة التفسير يسميها الفرنسيون « اللماحية » ـ وكذا القيادة والسيطرة ، والشجاعة المعنوية • وليس من السهل تدريب أى فرد أو اختياره على أساس هذه الأشياء غير الملموسة ، بينما تزخر افرع القوات المسلحة بكثير من كليات أركان الحرب والدوران التعليمية التى تستطيع أن تعلم الضابط (أو الفرد العادى) كيف يصبح مخططا جيدا • لقد دخل كثير من القادة الى ميدان القتال كاستراتيجيين مدربين ليجدوا



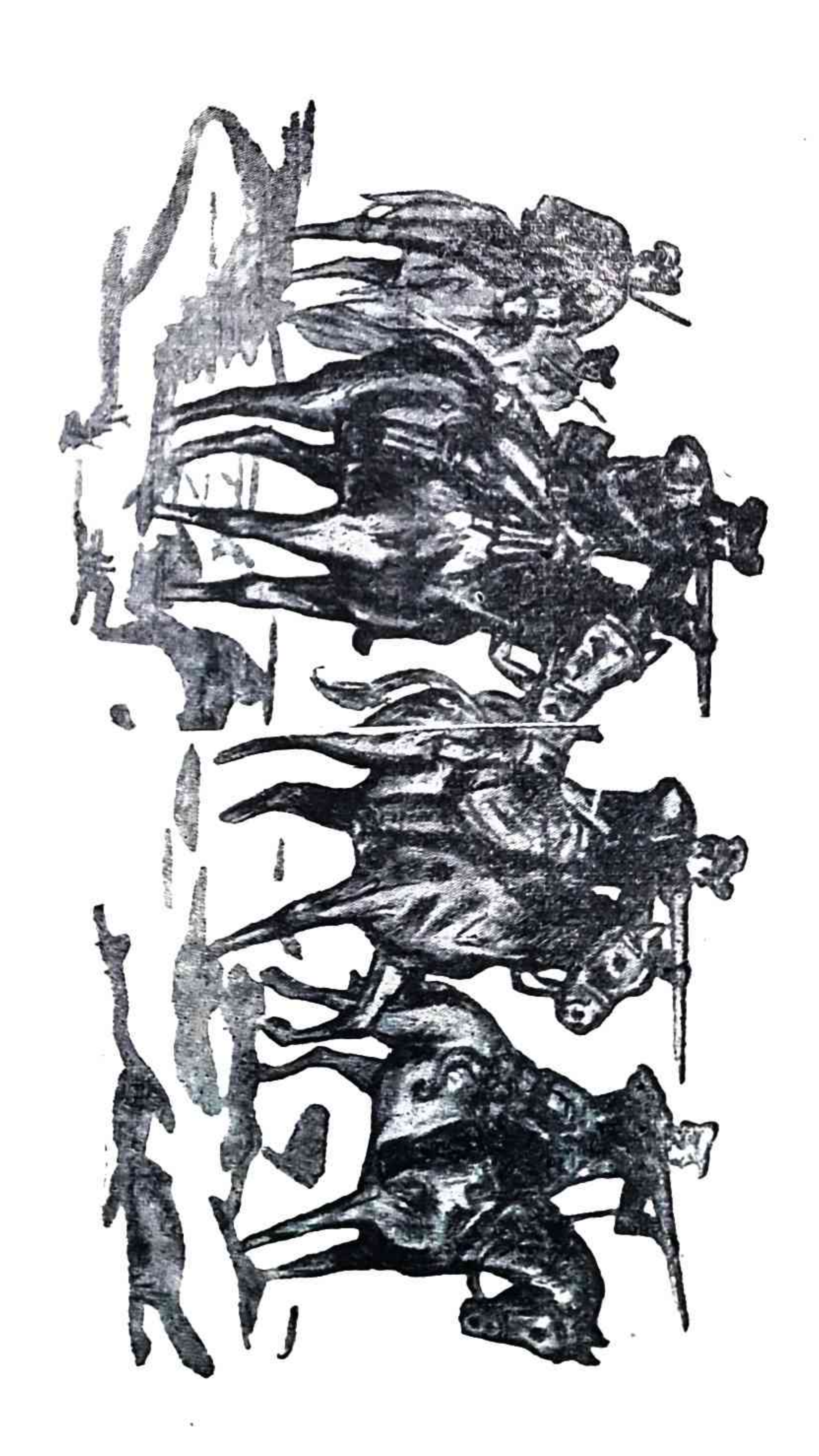
أن ادارة المعركة تتطلب شيئا أكثر مما تستطيع كليات أركان الحرب أن تعلمه ·

وأخيرا ، هناك وظيفة الشئون الادارية (لوجستيك) التى لا نعنى بها التعبير السابق السلبى الى حد ما ، أى « الادارة » كما استخدمه البريطانيون ، وانما نعنى بها الاستخدام الأكثر ديناميكية الذى أدخله الأمريكيون فى الحرب العالمية الثانية .

لقد كان لعودة خفة الحركة الاجمالية الى ميدان القتال على يد الالمان عام ١٩٤٠ (كما سنشرحها فيما بعد فى الباب الخاص بتاريخ التكتيك) ومبادئها الجديدة الخاصة بالامداد المستمر ، وتنمية المخزون الاحتياطى ، كان لكل ذلك الأثر فى اعطاء كلمة الشئون الادارية معناها الكامل والرحب ·

ودون أن نحاول وضع خط فاصل لنحدد اين تبدأ الادارة أو أين تنتهى لتحل محلها الشئون الادارية ، نقول : ان تعبير « الشئون الادارية » كما يستخدم فى هذا الكتاب سوف يتضمن تخطيط الاعاشة والنقل على كافة المستويات من أجل تأمين خطة العمليات كما يتضمن التنفيذ الفعلى للادارة فى الميدان · وفى الواقع ، فان النقل والاعاشة الميدانية هما مجرد مظهرين من مظاهر الشئون الادارية ، وان كانا هما المظهرين الرئيسيين لها · « فالشئون الادارية » الجديدة لا تشتمل فقط على العوامل العسكرية والامكانيات الكامنة ، وانما ترتبط أيضا ارتباطا معقدا بالاقتصاد القومى وتعبئة كافة الموارد ·· أى الصناعة ، ومصادر القوى ، والخدمات الطبية والبحث العلمى ، والزراعة ، والدعاية ، وارادة القتال القومية ·وقد اختفى تماما الانقسام بين المسئوليات والمجالات العسكرية والمدنية فيما يتعلق بموضوع توفير الموارد من أجل الحرب · فالشئون الادارية اليوم تمتد ابتداء من الشعب حتى نقطة التوزيع فى ميدان القتال ·

يتضح لنا من التعريف السابق أن اجراءات الشئون الادارية تلازم تخطيط وتنفيذ العمليات ، علاوة على أنها تدخل ضمن مسئولية نفس القائد العام الذى يخطط للعملية وينفذها · الا أنه تحت الظروف الراهنة للحرب نجد أن هناك تعارضا ملحوظا فى التطبيق الوظيفى بين ادارة





العمليات وتأمينها الاداری (اللوجستیکی) (۱) ٠ فمنذ ادارة المعركة تتطلب شیئا آخر أكثر مما تستطيع كليات أركان الحرب أن فقدت الجيوش خاصية الاكتفاء الذاتی وكان عليها أن تبتكر نظما « للاعاشة الميدانية » كان لا بد من وضع المسئولية الوظيفية للتامين الاداری (۱) بين هيئات منظمة تنظيما خاصا ٠

واليوم فان خلايا التخطيط على كل المستويات تشتمل على أقسام ادارية «۱) منفصلة ٠ فمتطلبات الشئون الادارية فی الحرب الحديثة مقيدة لدرجة أن عمل هيئة أركان الشئون الادارية ليست فی الاغلب الا تقديم مراجعة حسابية الى مخططی العمليات ، مما جعل وضع الوظيفتين غالبا ما يبدو متباعدا ٠ وحتى فی التنفيذ ، فان القائد اليوم غالبا ما يدير العمليات من مركز تكتيكی ، تاركا مسئولية الشئون الادارية لرئيس أركانه ، أو الى موظف اداری آخر فی مركز القيادة الرئيسی أو الخلفی ٠ لذا ، ففی كل من التخطيط والتنفيذ يمكن اعتبار الشئون الادارية وظيفة متميزة فی حد ذاتها فی الحرب الحديثة ٠

---

(۱) لاغراض عدم التعقيد اللفظی سوف نستخدم تعبير الاداری بدلا من الشئون الادارية كلما كان ذلك ابسط .

(المترجم)

الفصل الثالث

• التحليل التطبيقى (التشغيلى)

حتى نبدأ السير بطريقة جديدة يمكن فيما يلى أن نحلل خطوات الحرب من ناحيتها التشغيلية ، وهى وجهة نظر تشمل الوظائف الثلاث المذكورة سابقا • وهذا التحليل ينظر الى الحرب من مدخلين رئيسيين .. الاستراتيجى والتكتيكى •

من الضرورى قبل هذه المحاولة أن نحدد معنى تعبيرى «الاستراتيجية» و « التكتيك » فيما يختص بوظائف الحرب كما شرحناها من قبل • ان هذين التعبيرين يستخدمان كيفما اتفق فى المناقشات التى تدور حول ادارة الحرب ، وربما كان السبب فى ذلك يرجع الى عدم وجود تحديد دقيق للتعبيرين • وقد حاول العديد من الخبراء خلال التاريخ الحديث تعريف هذين التعبيرين •وقد حاول العديد من الخبراء خلال التاريخ مقبولا فى حد ذاته ، الا أن اعادة ذكر بعضها سوف يساعدنا على فهم الفوارق الدقيقة فى استخدامها •

لقد عرفهما كلاوزفتز على مستوى سياسى — عسكرى فقال : « التكتيك هو استخدام القوات العسكرية فى المعركة ، والاستراتيجية هى نظرية استخدام هذه المعارك لتحقيق هدف الحرب » • ان هذا المفهوم يقع على أعلى المستويات .. أى مستوى الدولة ، ويتضمن وضع الهدف النهائى من الحرب نفسها فى الاعتبار • ويجب على الاستراتيجية بمعناها الكامل ان تبدأ من المجال السياسى ، حيث ان شن الحرب ليس هدفا فى حد ذاته ، بالرغم من ان هذه البديهية الاساسية ليس معترفا بها دائما • ولقد كان هناك — الى عهد قريب جدا ، خلال الحرب العالمية

الثانية — خلاف أساسى بين وجهات نظر الحلفاء حول هذه النقطة • فأثناء المراحل النهائية من الحرب تغير هدف تشرشل من هدف عسكرى بحت الى هدف سياسى بعيد المدى هو « كسب » السلام للحلفـــاء ، بينما ظل الهدف الأمريكى محصورا فى الناحية العسكرية البحتة •• أى كسب الحرب • وقد انتصرت وجهة النظر الامريكية نظرا لأن أمريكا هى الشريك الاكبر فى التحالف • وما ترتب على ذلك معروف جيدا ، بحيث لا يحتاج الى تأكيد • فلو استخدم روزفلت — الذى كان حساسا أكثر من اللازم فيما يتعلق بالخطط البريطانية « الامبريالية » — نفوذه الكبير لتعديل استراتيجية تشرشل السياسية بدلا من انكار ضرورتها ، فلربمـــا قلل ذلك من الفشل الذى واجهته قضية الغرب فى فترة ما بعد الحرب •

وبالرغم من عدم وجود انقسام أساسى بين الاســـتراتيجيتين : السياسية والعسكرية — فاحداهما على أية حـــال هى المصـــدر الرئيسى للأخرى — فان الاستراتيجية العسكرية هى التى سنحاول تعريفهـــا فى هذا الباب لأنها وحدها هى التى يمكن دراستهـــا فى اطار تطبيقى (تشغيلى) • ويلاحظ أن هناك علاقة أو صـــلة بين الاستراتيجيـــة العسكرية والتكتيك فى محاولات تعريف عديدة •

ان الاستراتيجية هى فن تخطيط حملة ما وتوجيهها ، أما التكتيك فهو فن استخدام القوات فى المعركة •

والاستراتيجية هى الأسلوب (أو الطريقة) الذى يسعى اليـــه القائد لجر عدوه الى المعركة ، بينما التكتيك هو الوسيلة التى يســـعى اليها لهزيمة عدوه فى المعركة (التدريب المشترك الصادر عام ١٩٠٢ »•

ان مسرح الحرب هو مجال الاستراتيجية ، بينما ميدان المعركة هو مجال التكتيك (هاملى) •

ان الاستراتيجية ، كقاعدة ، تختص بتلك التدابير واسعة المـــدى التى تستخدم فى تحريك القوات الى الجبهة الحاسمة فى أكثر الظروف ملاءمة ، بينما يختص التكتيك بما يحدث فى الاشتباك نفسه • ويمكن أن نسمى الاستراتيجية علم القيادة ، بينما نسمى التكتيك علم استخدام القوات • (فون دير جولتز) •

ولقد حاول ويفيل شرح هذه التعبيرات باستخدام تشـــبيه مألوف هو لعبة البريدج • « فالمناداة على الورق هى الاستراتيجية ، بينما اللعب





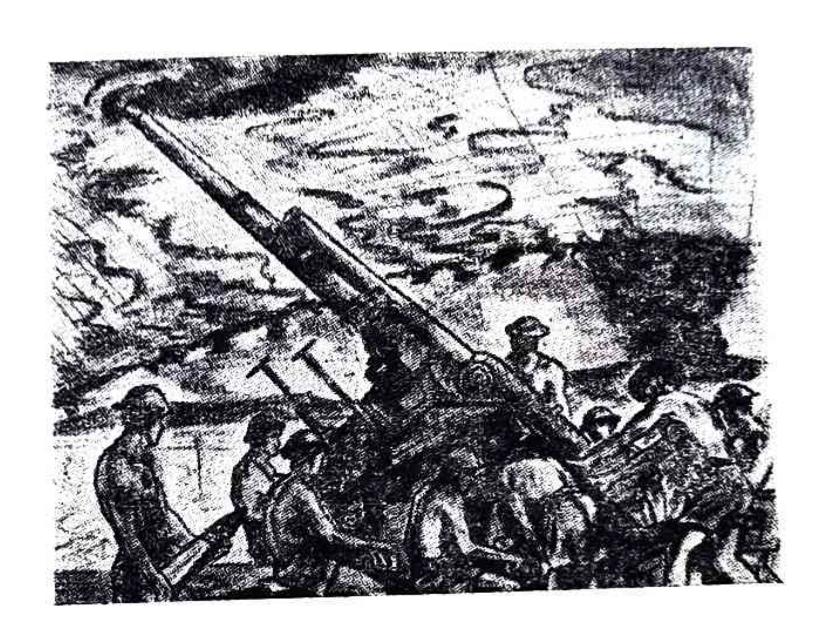


ذاته (باليد) هو التكتيك ٠٠ والمناداة تعتبر الى حد ما عملا آليـــا وخاضعا للتقاليد ، وهكذا الاستراتيجية التى تعتبر مبادؤها الاساسية بسيطة وسهلة الفهم » ٠

من التعاريف السابقة يتضح لنا أن الكثيرين قد قاموا بمحـــاولات لتفسير معانى الاستراتيجية والتكتيك من وجهات نظر مختلفة ٠ فبعضهم يميز بينهما على أساس جغرافى ، أى أن الأمر يتوقف على ما اذا كنـــا نستخدم مسرح الحرب بأكمله أم نقتصر على جزء منه فقط يسمى ميدان المعركة ٠ والبعض الآخر يصنفهما على أساس طبيعة العملية أومستوى القيادة ٠ وقام ويفيل ، من جهة أخرى ، بوضع خط وظيفى محدد بينهما٠

اذا أخذنا التعاريف السابقة كلا على حدة ، فان أيا منها لن يصمد أمام الفحص الدقيق ٠ فكل منها يترك ثغرات للشك والبلبلة ، كمـــا أن التبسيط الزائد للموضوع لا يساعد دائما على تقديم شرح واف له٠

أما اذا أخذت التعاريف السابقة مجتمعة ، فانها تقدم لنا دلالة كافية للربط بين التعبيرين بحيث نراهما فوق خلفية من التخطيط للحرب وتنفيذها ٠ ونستطيع أن نتبين عند هذه المرحلة أن الاعتبارات الاستراتيجية فى ادارة الحرب تقع عند مستوى أعلى من الاعتبارات التكتيكيـــة بل وتسبقها ، وانها تغطى طيفا يمتد من أطراف السياسة الى التوجيه العام للحرب ٠ ونستطيع كذلك أن نستنتج أن التكتيك يحل ـ فى مرحلة معينة ـ محل الاستراتيجية من أجل تحقيق الهدف ٠ وفى الواقع ، فانه من الطبيعى أن لا نعتبر أيا من هذه الاستنتاجات تعريفا دقيقا ٠ وعلى سبيل المثال ،



ليس من العسير أن ندرك ـ خاصة فى العصر النووى ـ أنه يمكن تحقيق الهدف العسكرى بالمناورة الاستراتيجية وحدها ٠

ويمكن القول ، عموما ، بأن الإستراتيجية هى عمل يمارس أساسا بواسطة وظيفة التخطيط ويبقى منها القليل فقط للتنفيذ ، بينما يبدأ التكتيك عند أطراف التخطيط ويمارس أساسا فى تنفيذ المعركة ٠ وسوف يتضح ذلك أكثر عندما ننظر الى الحرب من وجهة نظر أخرى مختلفة تماما ، أى من حيث دورة خطوات العمل وتسلسلها ٠



الفصل الرابع

● التحليل الدورى (١)

ان الحرب بوجه عام ، تشمل حالة العداء النشط القائمة بين الدول ابتداء من التعبئة الاولى حتى الوصول الى الهدنة أو السلام ، وذلك بالرغم من أن عواقبها يمكن أن تمتد الى مجالات أوسع من ذلك · ومنذ اللحظة الأولى التى تواجه فيهـــا الأمة تهديدا خارجيا وتقرر اتخـــاذ سياسة المقاومة المسلحة أو التدخل المسلح ، حتى الوصول الى الحل النهائى لتلك المشكلة عن طريق اســــتخدام القوة ، تكون خطوات الأعمـــال الحربية نشطة ومستمرة ·

ويمكن تقسيم دورة الأحداث التى تمر بها هـــذه الخطوات الى جزءين : هما التخطيط والتنفيذ ، يضاف الى كل منهما عمل الشئون الادارية · ويمكن تقسيم التخطيط تقسيما اضافيا فرعيا الى ثلاث مراحل رئيسية : الأولى سياسة الحرب التى لا يقتصر خلالهـا على وضــــع السياسة العسكرية فى الاعتبار ، وانما ينصب الاهتمام أيضا على جميع الأمور الخاصة بالحرب النفسية والحرب الاقتصادية ، وتكوين الاحلاف ، وكذا أوجه النشاط السياسى الاخرى · والمرحلة الثانية ، هى مرحلة التحضير وتتضمن الحصول على معلومات المخابرات الاستراتيجية وتقييم المهام والتهديدات العسكرية ، واعادة تنظيم القوات المســـلحة ، وتوفير الاحتياجات للحرب ، كذا التدريب والتنسيق · والمرحلة الثالثة ، هى مرحلة « الحركة أو التحركات » أى التعبئة ، وتخصـــيص الموارد المادية وتوزيعها ، والفتح التمهيدى للقوات المســلحة · وفى مجال حـــالة « الحرب الباردة » الراهنة التى أتت بعصر من التهديدات العســـكرية والعقائدية الدائمة ، تعمل أجهزة التخطيط الخاصة بالقوى الكبـرى بصفة مستمرة فى تقييم واعادة سياسة الحرب ، وتقـــدير التهديدات

---

(١) انظر الملحق « أ » .

الفعلية والمحتملة فى مناطق الصراع السياسى المختلفة ، والاستعداد بصفة دائمة لمواجهة اشتعال الأعمال العدائية بشكل مفاجىء ٠

ويتكون الجزء الثانى من دورة الحرب ، أى التنفيذ ، من مرحلتين رئيسيتين : هما الحركة أو التحركات و « التدمير » ٠ وبمعنى آخر ، تحقيق الاتصال بالعدو والقيام بالعمليات الحربية ، مثل الدفاع ،والهجوم والانسحاب ، والمطاردة ٠ وليس فى نيتنا هنا أن نراوغ أو نماحك فيما يتعلق باللحظة التى تنتهى فيها بالضبط التحركات الاستراتيجية لمرحلة التخطيط لتبدأ التحركات التكتيكية ، فسيظل ذلك دائما أمرا يرجع الى التفسير الشخصى ، كما أن مثل هذا التحديد القاطع ليس بالامر الضرورى ٠ وعموما ، قد يقال : ان التحركات الاستراتيجية تحدث على مرحلة واحدة أى فى خطوة أو « نقلة » واحدة ، وتسعى الى كسب ميزة على الخصم قبل الموقعة ، بينما تنفذ التحركات التكتيكية بغرض فتح قواتنا وأسلحتنا للقتال الفعلى ٠

وما أن يتحقق الاتصال بالعدو ، حتى تبدأ المرحلة الحاسمة فى التنفيذ – أى التدمير ٠ (يجب أن يكون واضحا أن كلمة « تدمير » بالمعنى الذى تستخدم به هنا ينطبق فقط على المفهوم التقليدى للحرب ٠ أما مضمونه فى الحرب النووية فسوف يناقش فى باب قادم) ٠

ومن البديهى أن الحرب لا تنحصر بالضرورة داخل حدود دورة كاملة من هذه المراحل ، بل على العكس من ذلك فان الحرب التقليدية الحديثة تتكون من سلسلة من الدورات المتكررة ، كل دورة منها تتداخل فى الدورتين السابقة واللاحقة ٠ فما أن تبدأ الدورة الأولى فى التحرك نحو مرحلة التدمير حتى تبدأ دورة أخرى من التخطيط والتحركات تؤدى الى مزيد من التدمير ومزيد من التخطيط ومزيد من التنفيذ ، حتى نصل الى الموقعة النهائية التى تكمل عملية التدمير ، ويمكن بعدها التفاوض بشأن وقف اطلاق النار أو الهدنة أو السلام ٠

وفى العمليات الفعلية تتشابك المناطق التى تقع عند أطراف الدورات كما سبق أن شرحنا ، حتى ان عملية تخصيص الوظائف تتغير فى كل مرحلة ٠ ففى حالات معينة قد تؤدى المناورة الاستراتيجية الى الموقعة مباشرة ، أو حتى الى النصر ٠ وفى حالات أخرى – كما يحدث مثلا فى سلسلة من المواقع غير الحاسمة – تكرر الدورة نفسها داخل المرحلة التكتيكية وحدها ٠٠ فتكون تخطيطا تكتيكيا ، فموقعة ، ثم مزيدا من

التخطيط التكتيكى ، فمواقع أخرى . وهكذا توجد دورات داخل دورات ، بالاضافة الى دورات بعد دورات . وقد تظهر نتيجة احدى مراحل التخطيط الاستراتيجى جلية خلال عدة دورات من التخطيط والتنفيذ التكتيكى ، والعكس صحيح أيضا ، اذ قدتؤثر نتائج التنفيذ التكتيكى على المرحلة التالية من التخطيط والتحرك الاستراتيجى . وقد بين « فون مولتكه » ذلك بقوله : « ان الاستراتيجية ، عن طريق ادارتها للجيوش ، وحشدها فى الميدان ، توفر الفرصة للتكتيك لكى يضرب . وأن يضرب بنجاح ، والعكس صحيح أيضا ؛ اذ تتقبل الاستراتيجية نتيجة كل اشتباك (تكتيكى) » .

ويجب أن يكون واضحا أن المداخل الثلاثة الى تحليل الحرب التى نوقشت فى هذا الباب تخص جميعها نفس العملية – أى ادارة الحرب – وليس فقط مراحل منفصلة منها . وانه فقط بالنظر الى المشكلة من زوايا عديدة مختلفة يمكننا أن نأمل فى أن نفطن الى العلاقة بين المصطلحات العسكرية المختلفة ، مثل تلك التى سنستخدمها فى هذا الكتاب .

وحتى بهذا فان القائمة لم تكتمل بعد ؛ اذ أنها تغفل نواحى أخرى معينة مثل « مبادىء الحرب » ، وكذا عوامل انسانية مثل الانضباط العسكرى ، والروح المعنوية ، والقيادة . وسوف نناقش « مبادىء الحرب » فى باب تال ، أما بالنسبة للعوامل الانسانية فهى قيم لا يحدها التخطيط أو التنفيذ ، كما لا تحدها الاستراتيجية أو التكتيك ولا الحركة أو التدمير ، وهى تنطبق على المجهود القومى الشامل بنفس القوة (الدرجة) التى تنطبق بها على القوات المسلحة .



الباب الثانى

التكتيك عبر العصور

الفصـل الخامس

عناصر التكتيك

بدلا من التورط - أكثر من ذلك - فى مناقشات حول الخط الرفيـع الذى يفصل بين الاستراتيجية والتكتيك سوف نشرع الآن فى دراسة تاريخ الحرب ، بادئين بالتكتيك فى هذا الباب ، ثم ننتقل منه الى الاستراتيجية فى الباب الذى يليه • وسوف نبدأ أولا باستعراض كافة أوجه فن الحرب التى تعبر بها عبقرية القائد عن نفسها فى الموقعة ، وكذا الأساليب المختلفة التى يدفع بها القائد قواته للاشتباك مع العدو فى ميدان القتال من أجـل الحصول على النصر ، وعملية الاشتباك هذه هى التى تسمى عادة «بالتكتيك» • وسوف يكون غرضنا فى هذا الباب هو أن ندرس عناصر هذه العملية وأوجهها المختلفة ، وان نستعرض بايجاز الخلفية التاريخية التى تطورت هذه العناصر خلالها •

منذ الفجر المبكر للتاريخ وأسلحة الحرب تنقسم الى فئتين عريضتين هما : أسلحة الصدمة : مثل السيف ، والرمح ، والسونكي وهى تستخدم من مسافة قريبة ، والقذائف : مثل السـهم ، والطلقة (الرصاص) والقنبلة شديدة الانفجار وهى التى تعمل على تدمير العدو من بعـد • وعموما ، فان أسلحة الصدمة تعتبر الاداة الأكثر حسما ، لأنها تستعمل بصفة شخصية ومن مسافة قريبة ، ولـكنها فى نفس الوقت تفتقر الى المرونة فى الاشتباك لأن لاستخدامها صبغة نهائية (حاسمة) لابد أن ينتهى بالنصر أو بالهزيمة • ففى الهجوم بالمواجهة بواسطة المشاة مثلا ، نجد أنه ما ان تلتحم القوات المهاجمة بالقوات المدافعة حتى تتحتم هزيمة احداهما • والاحتمال ضئيل فى أن يتمكن أحد الطرفين من أن ينقـذ الموقف بالتخلص من القتال واعادة التخطيط لاشتباك آخر •

وفى مقابل ذلك ، فان استخدام القذائف يوفر المرونة للقائد ، حتى بعد دفع القوات للاشتباك ؛ ذلك لأن هذه الأسلحة تستخدم على الأقـل لفترة زمنية واحدة ، وبذا يمكن فض اشتباك القوات الرئيسية ، واعادة

تجميعها ، ثم اعادة دفعها للاشتباك بصرف النظر عن تأثير القذائف . ومع ذلك فهذه الأسلحة ليس لها ما لأسلحة الصدمة من قدرة على الحسم (على الأقل فيما يتعلق بالأسلحة التقليدية) .

لقد بنى الكثير من التطور التكتيكى فى العصور القديمة من الحرب على أساس مدى تغلب واحدة من فئتى الأسلحة السابق ذكرهما الأخرى، وكذلك على أساس التسلسل الذى تدفع به الاشتباك فى القتال . وكان أسلوب الموقعة فى الأشكال القديمة من الحرب ينحصر فى تكتيكات الصدمة ، ثم بدأت القذائف فى التطور ، ولكن على اعتبار أنها عنصر مساعد لأسلحة الصدمة أكثر منها أدوات مستقلة . وكما سنرى ، فان العلاقة المتوازنة بين السلاحين لم تنشأ الا فى مرحلة متأخرة نسبيا من التاريخ .

ولسوء الحظ ، فانه اليوم ، عندما أصبحت أسلحة الحرب — حتى التقليدية منها — مدمرة ورهيبة ، اتجه الكثيرون — حتى أكبر القادة — الى تفسير التكتيك بأسلوب قوة السلاح فقط . انه موقف يمكن ادراكه ، لأن الطبيعة الحاسمة للتسليح الحديث قد أذهلت القادة فى الميدان ، ولكنه مع ذلك موقف خاطىء لأن الاقتصار فى الاعتماد على قوة الأسلحة وتفوقها يحرم القائد من التعبير الكامل عن فنه ومهارته ، فيعتاد ذلك مع مرور الوقت . ويمكن رؤية أمثلة لذلك فى كل مراحل التاريخ العسكرى كما سيكشف عنه هذا الباب .

يجب أن نؤكد منذ البداية أن الترسانة الفكرية للقائد (أى التكتيك) تتألف من عنصرين أساسيين متساويين فى الأهمية ، هما : قوة الأسلحة ، والمهارة فى بقاء هذه الأسلحة متحركة فى أثناء المعركة . وهذه الحركة هى مبعث الديناميكية أو القوة الدافعة فى الميدان . ولهذا السبب نصف التكتيك بأنه فن النيران والحركة (ولكن زلاقة اللسان تجعلنا نضغط فى نطقنا لجملة النيران والحركة على كلمة النيران وحدها ، بدلا من الضغط على واو العطف بين النيران والحركة (١) . ويغيب هذا المفهوم عن عديد من قادة الجيوش ، حتى انهم خاضوا معظم المواقع وهم وقوف على قدم واحدة ؛ اذ اعتبروا أن قوة النيران هى العنصر الوحيد

---

(١) قد يكون من المناسب استخدام تعبير النيران مع الحركة بدلا من النيران والحركة .

(المترجم)

السائد والحاسم فى التكتيك · وهناك بلا شك مواقع أحرز فيها النصر أساسا بفضل تفوق السلاح مثل موقعة (العلمين ، التى خاضها مونتجومرى (مثلما كان الحال فى معظم مرات نجاحه) ، ولكن الاعتماد الزائد على هذا العنصر وحده يحد من قدرة التكتيك ويثبطه · فعندما يظهر موقف لا يتيسر فيه التفوق فى قوة الأسلحة ، فان مثل هذه الطريقة المحدودة فى التفكير ستؤدى الى كارثة · وكانت مواقع الحرب العالمية الأولى ـ كما سنرى ـ أمثلة جيدة على ما نقول ، كما أن مواقع الحرب العالمية الثانية لم تتخلص كلها من هذا العائق المثبط · كما نجد كذلك فى فترة ما بعد الحرب الكثير من الأمثلة على فشل قوة النيران البحتة أمام ديناميكية التكتيك التى لعبت فيها الحركة دورها كاملا · مثال ذلك ، ما حدث فى مواقع فيتنام (الفرنسية وكذا المواقع الأمريكية الأولى) ، وفى الهيمالايا بالهند ، وكذلك ما حدث مرتين فى سيناء خلال عقد واحد (عشر سنوات) ·

ان الحركة ـعند دراستنا للتكتيك ـ يجب اعتبارها شريكا متساويا مع قوة النيران ·

أما العنصر الهام التالى فى التكتيك فهو اتخاذ القوات فى الميدان للتشكيلات المناسبة ، بحيث تمكنهم من استعمال أسلحتهم ومعداتهم على أنسب وجه · وهناك ، عموما ، ثلاثة تشكيلات أساسية ؛ سواء كانت القوات التى تقوم بالفتح تتكون من عشرة أفراد أم من عشرة آلاف فرد ، وسواء كانوا مسلحين ببنادق البارود القديمة أم بالصواريخ المضادة للدبابات · وهذه التشكيلات الأساسية هى الخط ، والرتل ، والمربع ··· وكل صورها الأخرى ليست الا مشتقات منها · والتشكيل الخطى يعطى أقصى تركيز (حشد) لقوة الأسلحة فى لحظة الاشتباك ، ولكنه يفتقر الى العمق والمرونة · أما الرتل فيوفر القدرة على المناورة والعمق ، ولكنه يفتقر الى المواجهة وتأمين الاجناب · أما التشكيل المربع فيجمع بين العمق وأمن الاجناب ويوفر تركيزا معقولا ، ولكن قدرته على المناورة أقل ، وهو يستخدم أساسا فى التكتيك الدفاعى ؛ سواء فى مربعات الفرق عند نابليون أو فى المفهوم الحديث للمحلات الدفاعية ذات الدفاع الدائرى (من جميع الجهات) ·

وأخيرا ، فان استخدام الأرض فى ميدان القتال ، بالاشتراك مع الأسلحة وتشكيلات القوات ، يشكل المطلب الأساسى الرابع للتنفيذ التكتيكى . وقد يبدو لنا اليوم أن هذا القول ما هو الا تكرار لما هو واضح وجلى ، ولكننا سنرى أنه لفترة طويلة من التاريخ لم يضع الاستخدام التكتيكى الأرض فى حسابه . ولم تصبح الأرض عاملا رئيسيا فى استخدام الجيوش فى ميدان القتال الا عند مجىء « مارلبورو (١) » .

(١) أعظم جندى أنجبته بريطانيا ، نقد كان قائد جيوشها فى غرب أوروبا ووسطها ، وكان فى ذات الوقت وزير شئونها الخارجية . (المترجم)

الفصل السادس

• العصر القديم (الكلاسيكى)

ان أقدم المواقع التى نملك تسجيلا مفصلا لها هى موقعة قادش (عام ١٢٨٨ ق · م) بين جيوش فرعون مصر - رمسيس الثانى - والحيثيين · ولا شك فى أن الآريين (الهنود الأوربيين) قد وضعوا التكتيك العسكرى الخاص بهم ، ولكن ما يحدثه الزمن من اتلاف قد طمس تماما أية سجلات عسكرية لحضاراتهم · وحقيقى أن كتبا مثل الانجيل والملاحم الأسطورية للهندوس أو بعض أعمال الصينيين وعلماء السنسكريتية (١) تعطينا لمحات عارضة للعلم العسكرى القديم ، ولكنها قليلة الفائدة بالنسبة للدراسة التحليلية ·

لقد أثبتت سجلات موقعة قادش أن المصريين القدماء قد تمكنوا من فن الحرب بدرجة كبيرة جدا · وكان تنظيمهم لجيوشهم فى فرق ذات اكتفاء ذاتى تتكون من أسلحة مشتركة (المشاة ، وراكبى العربات الحربية ، ورماة السهام) ، ونظامهم الادارى الكفء ، وتكتيكهم فى الهجوم من الاجناب ، واستخدامهم للخداع والحشد ·· وفى الواقع فان كل فرع من علمهم العسكرى يثبت أنهم كانوا أكثر تفوقا بكثير من حيث براعتهم العسكرية من الاغريق والفرس الذين جاءوا بعدهم بألف عام أو أكثر · الا أن موقعة قادش هى السجل الوحيد الذى نملكه لنظام الحرب المصرى · وليست هناك سجلات نستطيع أن نبنى على أساسها دراسة عسكرية منظمة لمصر القديمة ، ولسنا قادرين على أن نتبين شيئا من تطور تكتيكهم ، كما أننا لا نعرف كيف فقدوا علمهم ودرايتهم ؛ اذ لا يوجد تسجيل لأى تاريخ عسكرى للفجوة الزمنية بين قادش والحروب اليونانية - الفارسية · لذا فلصالح الاستمرار فى الدراسة صرفنا النظر عن التكتيك المصرى فى دراستنا لتاريخ التكتيك ، وسوف نلتفت الى اليونان والفرس فى أول درس لنا ·

---

(١) لغة الهند الادبية القديمة . (المترجم)

ان أقدم تشكيلات تكتيكية منظمة سجلها اليونانيون (الاغريق) كانت عبارة عن جيوش تواجه بعضها البعض فى شكل متواز عبارة عن « خطوط منفردة من الأعداد الضـــخمة المنظمة التى تختلف من حيث العمق » . ونعتبر دراسة « الفالاناكس المقدونى » هى أفضل وسـيلة لفهم هذا التشكيل . كان الفالاناكس يتكون من قوة تعدادها ١٦٣٨٤ فردا يمثلون المشاة الثقيلة وينظمون فى ١٠٢٤ قطارا (١) عمق كل منها ١٦ فردا . وكان القطار هو أصغر وحدة ينقسم اليها التشكيل ، أما الوحدات الكبرى فقد كانت تتكون من مضاعفات هذا القطار .. فكان

كل قطارين يكونان معا ما يســـمى « ديلوشى » (٢) . وكل اثنين من « الديلوشى » يكونان ما يســـمى « تيتراشى » ، ثم ان كل من اثنين من « التيتراشى » يكونان ما يســـمى « تاكسس » (٣) . .وهكذا . واستمرارا فى عملية المضاعفة ، فاننانصل فى المستويات الأعلى الى « ينتيكونارشى »، ثم « شيليارشى » ثم « ميرارشى » ، ثم « فالانجارشى » (٤) وهـــو يتكون ٤٠٩٦ فردا . ومعنى هـــذا أن الفـــالاناكس يتكون من أربعـــة من « الفالانجارشى » تصطف بحيث تكون الفواصل بين القطارات والصفوف ستة أقدام ، ويضيق هذا الفاصل الى ثلاثة أقدام عند التقدم ثم تضـــيع الفواصل أى تنعدم تماما ويتلاصق الجنود كتفا لكتف عند القيام بعمليـــة الاقتحام . وكان تسليح جنود الفالاناكس هو الحراب بطول ٢١ قدما ، كما كانوا يحملون سيوفا قاطعة طويلة ومقوسة ، ويتقون ضربات خصومهم بدروع وخوذات من الصلب ، وسترات أردية من الزرد أو الفولاذ .

وكانت تلحق بتشكيل الفالاناكس قوات معاونة مكونة من المشاة الخفيفة التى تتكون من رماة السهام ، وقاذفى الأحجار بالمقلاع ، وقاذفى القذائف الحادة المدببة الأطراف . ويبلغ تعداد هؤلاء فى مجمله نصف تعداد الفالاناكس أى ٨١٩٢ فردا ، وكانوا يوزعون بين صـــفوفه وعلى الأجناب وأ يوضعون بالكامل فى المؤخرة . ولما كان تدريعهـــم خفيفـــا ،

---

(١) كلمة قطار تعنى التشكيل الذى يقف فيه الافراد خلف بعضهم البعض .. فاذا كان فرد واحد فى الواجهة سمى القطار فرديا ، فان كان اثنان يتجاوران فى المواجهة سمى قطارا زوجيا . (المترجم)

(٢) الديلوشى (٣٢ فردا) يعادل الفصيلة فى المفهوم الحديث .. (المترجم)

(٣) التاكسس (١٢٨ فردا) يعادل قوة السرية المشاة فى المفهوم الحـديث . (المترجم)

(٤) يمكن اختصار الرسم الى كلمة « فالانج » للتبسيط . (المترجم)

فانهم كانوا يستخدمون فى المعاونة القريبة أو العمل ، من آن لآخر ، فى الاستطلاع أو فى المناوشات والاشتباكات الأولية مع العدو .

وكان عدد الفرسان يبلغ نصف عدد المشاة الخفيفة .. أى ٤٠٩٦ فردا ينتظمون فى تروبات (فصائل) من ٦٤ فردا ، وفى أسراب (سرايا) من ١٢٨ فردا ، وكان تسليحهم السيوف والرماح ، وعادة ما كانوا يتمركزون على اجناب الفالاناكس .

كان التكتيك المستخدم عادة هو دفع القسم الأكبر من المشاة الثقيلة فى تشكيل خطى فى مواجهة العدو تتقدمهم العربات الحربية فقط . وخلف الفالاناكس مباشرة تتواجد المشاة الخفيفة مع قاذفى الأحجار بالمقلاع ، وقاذفى القذائف الحادة الأطراف على مسافة أمام قاذفى السهام ، ثم بعد ذلك تأتى الآلات الحربية مثل المنجنيق والباليستا (١)
أما الفرسان ، تعاونها بعض العربات الحربية ، فتتواجد على الأجناب .

وتتضح أسباب تنظيم القوات بهذا الشكل عندما نعرف مدى الأسلحة المختلفة . فالمشاة الخفيفة تستطيع أن ترمى رماحها وحرابها الى مسافة من ٦٠ الى ٨٠ خطوة ، ويصل مدى قاذفى السهام الى ٨٠٠ خطوة ، بينما نجد أن الآلات الحربية التى تطلق الحجارة والرماح الثقيلة ذات مدى أبعد ، وتدخل ضمن الأسلحة ذات خط المرور العالى .

لقد كانت التكتيكات المستخدمة مزيجا من تأثير الصدمة والنيران . فبينما كانت المشاة الثقيلة للفيلق تتقدم شاهرة حرابها الطويلة ، كان رماة الرماح والمقاليع اليدوية من المشاة الخفيفة يطلقون أسلحتهم فوق الرءوس ، وكان قاذفو السهام فى الخلف يطلقون سهامهم فوق رءوس المشاة الثقيلة والخفيفة . وفى أثناء ذلك ، كانت الآلات الحربية تطلق قذائفها خلف تشكيل المشاة كله .

ان الدروس المستفادة الأساسية من تكتيك الفالاناكس هى عدم وجود أى شكل من أشكال الاحتياطى ، كما نفهمه ، وكذا فقدان القدرة على المناورة . فلم يكن من الممكن استخدام احتياطى القوة البشرية الموجود بالمؤخرة فى أى مكان آخر ، وكان يستخدم فى الواقع لدعم صفوف

---

(١) آلات ترسل قذائفها آليا فى مجموعات أى فى ذات الصورة التى لقاذفات الصواريخ اليوم ، ولكن بشكل مبسط .

(المترجم)

الجبهة واستعواض خسائرها ٠ انه ما ان يتم تشكيل المعركة الفالاناكس حتى يصبح من المستعصى تحريك أى جزء من القوات من مكان الى آخر فى ميدان القتال ٠

لقد قلل الاسكندر فى موقعة أربيلا عام ٣٣١ ق ٠ م من عمق قطاراته وفتح الفالاناكس فى ثمانية « فالانجات » بدلا من أربعة ، مع وجود فواصل أكبر بينها ٠ وقد أعطاه ذلك درجة من القدرة على المناورة ، وتمكن بذلك من أن ينجح فى تنفيذ مسيرته المائلة الرائعة ، مهاجما الجنب الأيسر لجيش الفرس الذى كان تشكيله أقل مرونة ٠ وكان بنجاحه هذا أول من وضع مبدأ الهجوم من الجنب ٠

لقد قدر لنظام التكتيك اليونانى أن يفشل أمام نظام التكتيك الرومانى ٠ فبالاضافة الى ما كان للفالاناكس من أوجه نقص واضحة فى افتقاره الى خفة الحركة وعدم وجود احتياطى تكتيكى له ، كان هناك عيب آخر ، اذ كان مرتبطا أكثر من اللازم بالأرض ٠ لقد كانت قوته تمكن فى تماسك قواته ، ونظرا لضخامة الوحدة التكتيكية فقد أدت صعوبة الاحتفاظ بتماسكها فى الأرض الوعوة أو الضيقة ، الى سقوط الفالاناكس ٠

ربما كان الفالاناكس قويا منيعا فى الأرض المستوية ، ولكن التشكيل غير قادر على أن يتلاءم مع التغييرات الطبوغرافية لا يستطيع أن يستمر فى البقاء ٠ ولقد ثبت ذلك فى موقعة «بيدنا» عام ١٦٨ ق٠ م عندما استسلم الفالاناكس الاغويقى فى النهاية أمام الليجون الرومانى الأكثر مرونة ٠ لقد استطاع الرومان فى تلك الموقعة تقدير ضعف الفالاناكس وقاموا بمناورة للقتال على أرض كانت غير ملائمة من كافة الوجوه لتشكيل الفالاناكس ، فانفصلت أجنابه بسبب اعتراض الأرض الوعرة له ، وانتهز الرومان الفرصة فتقدموا على شكل أسفين وسط القوات اليونانية وهزموها ٠

لم تكن لدى الرومان أسلحة تستطيع أن تتفوق على تكتيك الصدمة اليونانى ، وظل مستوى كفاءة ، وانضباط ، وتدريب جنود الفالاناكس مرتفعا حتى النهاية ٠ ولذلك فمن الصعب أن نعثر منذ الوهلة الاولى على تعليل لسقوط النظام اليونانى ٠ ويمكن السبب الحقيقى فى تفوق اللجيون الرمانى الى أن الرومان أدركوا مبكرا أهمية المناورة واستخدام الاحتياطى ٠

لقد استخدم الاغريق الفالاناكس فى الموقعة ككتلة واحدة جامدة ، ولم يكن التنظيم أو نظام القيادة يسمحان بالمناورة أو بالاشتباك به الا كوحدة واحدة متماسكة . وقد احتفظ الرومان بالتشكيل الخطى للفالاناكس باعتباره أفضل وسيلة لاستخدام أسلحة الصدمة قصيرة المدى ، ولكنهم نظموا « ليجيونهم » بحيث يتكون الخط الضخم من ثلاثة أنساق (١) (مانيبلس) بعمق وتبلغ المسافة بين الأنساق حوالى ٢٥٠ قدما . وكان النسقان الأول (الهاساتى) ، والثانى (برنسيبس) يشكلان العناصر المقاتلة الرئيسية للقتال المباشر . أما النسق الثالث (تريارى) فكان يخصص للمعاونة أو الدعم ، أو حتى للعمل كاحتياطى .

ولكى يمكن تحريك الأنساق الخلفية ـ الأنساق الثلاثة ـ الى أحد الأجناب ، سواء على أجزاء أم ككل ـ وجد أنه من الضورى تقسيم الأنساق الخطية الثلاثة « للجيون » الى مجموعات جانبية . وهكذا قسمت « اللجيونات » فيما بعد الى ست وحدات فرعية سميت كوهورت (٢) (كل منها له ، طبعا ، أنساقه الخاصة بعمق) ، ويتولى قيادة كل لواء ضابط يختار خصيصا يسمى تربيون (كولونيل) . لذا أصبح التشكيل الضخم يتمتع بالمرونة لأول مرة ، وأصبح من الممكن استخدام «اللجيون» أو دفعة للاشتباك ككتلة واحدة ، أو تقسيمه الى وحدات فرعية ذات قدرة على المناورة . كما أمكن فصل الأنساق الخلفية ، التى تعمل كاحتياطى لأنساق المقدمة ، ودفعها الى الجنب المعرض للخطر أو الذى يواجه ظروفا حرجة . وأمكن للألوية نفسها أن تنفصل عن القوة الرئيسية وأن تعمل كمفارز مستقلة .

لقد اختفى عصر تشكيل المعركة المتوازى فى خط واحد من الحشود

---

(١) نظم اللجيون على اساس السن ، فكان افراد النسق الأول اصغر سنا من افراد النسق الثانى ، وهؤلاء أصغر سنا من افراد النسق الثالث . وليس من الواضح تنظيم طبقات السن هذه ، ولا الفواصل الزمنية بين هذه الانساق ، وان كان من الواضح ان النسق الأول كان للجنود الذين فى مرحلة الشباب ، وذلك حتى يكون فى ضوء تنظيم هذه الفواصل الوقوف بالنسبق الثانى عند منتصف الرابعة ، والنسق الثالث فى منتصف الحلقة لخامسة اى سن الخامسة والأربعين .

(المترجم)

(٢) الكوهورت يقابل فى مفهومنا الآن اللواء ، ويبلغ اجمالى قوة اللجيون ٢٠٠ ٤ مقاتل بقيادة قنصل من كبار رجال الدولة .

(المترجم)

الـكثيفة ، كمـا ظهر فى الفالاناكس اليونانى وحلت محله تشـكيلات متوازية من ثلاثة خطوط . ورغم أن هانيبال (١) قد أبقى على تنظيـم الفالاناكس الا أنه أدرك أهمية الفتح فى ثلاثة خطوط ، واستخدم هذا النظام فى موقعة « زاما » ضد الرومان عام ٢٠٣ ق . م ورغم أنه قد واجه هزيمته النهائية فى هذه الموقعة على يد سكيبيو ، الا أن تكتيكه الخـاص باستخدام الاحتياطى تفوق على تكتيك الرومان .

من المناسب فى هذه المرحلة أن نقوم باعداد تحليل موجز للخطوات المختلفة التى خطاها تقدم التكتيكات الصغرى . كان أول اجراء مـدبر اتخذه الرومان هو تكوين قوة من الرجال المدربين على الاستطلاع . وكان الفالاناكس يستخدم مشاته الخفيفة (المعاونة) فى أعمال المناوشـة ، ولكن نظرا للدور المزدوج المخصص لهم فقد كان غالبا ما يضحى بمهام الاستطلاع لصالح واجبات المعاونة . ورغم أن مهام أفراد الاستطلاع من الرومان قد كانت بعيدة جدا عن الاستطلاع كما نعرفه الآن ، الا أن ذلك قد دل على وجود تقدم حقيقى نحو الاسـتطلاع القريب . وكان هؤلاء الأفراد يعينون فى المناطق الضيقة كقرائن استشعار أو عيون للأنسـاق الأولى (الأمامية) .

لقد رأينا أن الاسكندر قد استخدم فى موقعة « أربيلا » تكتيـك النظام المائل للقيام بالهجوم على الأجناب . وكانت عيوب هذه الحركة ذات ثلاثة جوانب . فقد كان فى استطاعة العـدو أن يحبط المناورة بتغيير مواجهته ، كما لم يتلق هذا الهجوم المعاونة عن طريق تثبيت قوة العدو الرئيسية ، وأخيرا فقد عرض خط انسـحابه (٢) . وبقى على هانيبـال

---

(١) هانيبال (٢٤٧ – ١٨٣ ق م) قائد قرطاجنة ، ابن هاملكار . ويعتبر من الشخصيات الفذة فى تاريخ العالم ، فقد كان يقود جنودا من المأجورين من شتى البلاد ومع هذا اخلصوا له فى معارك استمرت لست عشرة سنة ، ولم يحدث قط اى تمرد فى معسكره ، نجح فى تدريب هؤلاء الجنود نجاحا لم يصل اليه غير نابليون .
(المترجم)

(٢) ان ضرر الهجوم الجانبى هو ان العدو كان يستطيع ان بسبب فشل هـذه المناورة بتغيير مواجهته ، وبالتالى لن تكون هناك عملية هجوم جانبى ، وذلك لان هذا الهجوم لم يكن مصحوبا باى محاولة لتثبيت قلب خطوط العدو ، والأمر الذى يحـول دون تغيير مواجهته ، وفضلا من هذا فان عملية السير التى حاولهـا الاسـكندر كانت تكشف عن الخط الوحيد الذى يستطيع الانسحاب منه لو فشلت محاولته الهجومية .
(المترجم)

ونيرو (١) أن يمزجا بين نظام السير المائل والهجوم بالمواجهة ، وبذا وضعا المبدأ الصحيح للهجوم من الجنب . وفى موقعة تريبيا (Trebia) عام ٢١٧ ق.م ، وهى احدى انتصارات هانيبال البارعة ، ثبت هانيبال القوة الرئيسية للجيش الرومانى باستخدام الجزء الرئيسى من قواته ، وهاجم الجنب الأيسر للعدو بقوة صغيرة من المشاة والفرسان أحسن اخفاءها حتى اللحظة الحاسمة من الموقعة فقامت بهجوم مفاجىء فى أحرج ساعات المعركة .

لقد رأينا أن أكثر ما امتاز به اللجيون على تشكيل الفالاناكس هو تمكينه النسق الثالث من أن يصبح احتياطيا حقيقيا . ومع ذلك فسوف نرى ، بناء على المعايير الحديثة ، أن شكل الاحتياطى فى تشكيل المعركة للجيون – أى الأنساق الثالثة وعددها ست سرايا – كانت منتشرة (موزعة) أكثر مما يجب . وكان هذا الانتشار يعنى أن كل الخط الثالث من الاحتياطى لم يكن تحت يد القائد العام فى اللحظة الحرجة . وكانت سرايا الاحتياطى الست مجرد احتياطى محلى فقط ، وحتى مع ذلك فان استخدامها فى القتال كان يقتضى اتخاذ اجراءات قتال محددة قبل اشراكها فى القتال .

وفى موقعة فارسالوس (Pharsalus) عام ٤٨ ق.م كان « يوليوس قيصر » أول من أثبت ضرورة ابقاء الاحتياطى متجمعا ، وبالتالى خفيف الحركة . وعند تنظيمه لقواته ضد « بومبى » حشد قيصر ، الذى كان جنبه الأيمن غير مؤمن ، اللجيون العاشر خلف جنبه الأيسر . وكما توقع قيصر فقد هاجم بومبى بقواته المتفوقة من الفرسان الجنب الأيمن لقيصر وهزمه . وهنا أعطى قيصر اشارة الى اللجيون العاشر المتجمع كاحتياطى للقيام بالهجوم المضاد على فرسان بومبى غير المنظمين مستخدمين الحراب وهزموهم بعد قتال عنيف فى معركة مشاة وفرسان. واستمر قيصر فى الهجوم المضاد بلجيونه العاشر ، حتى هزم بومبى نهائيا .

كان اللجيون الرومانى فى أوج عظمته أداة قتال رائعة . وكان

---

(١) كلوديوس نيرو قائد رومانى . كان قنصلا عام ٢٠٧ ق م ، قاتل ضد حازدروبال عند عبوره من اسبانيا الى ايطاليا بالامدادات لهانيبال وهزمه فى معركة ميتوروس ، وقد هلك فى هذه المعركة اكثر من خمسين الفا من جنود قرطاجنة .

(المترجم)

للقادة المدربين تدريبا جيدا ، وكذا للانضباط الصارم للأفراد الفضل فى جعل جيش قيصر قوة لا تقهر ، أخضعت معظم مناطق أوروبا الغربية والبحر الأبيض المتوسط . ولكن تمزق الامبراطورية الرومانية بصفة مستمرة نتيجة للنزاع الحزبى المهلك أثر تدريجيا فى الانضباط العسكرى للامبراطورية مع تحطم اللجيونات الشهيرة جريا وراء تحقيق أغراض سياسية . وهكذا سقطت الامبراطورية الرومانية فريسة أمام الغزاة « البرابرة » القادمين من أوروبا . وتحطمت طريقة القتال الرومانية بصفة نهائية فى موقعة أدرنة (١) عام ٣٧٨ ميلادية .

وهنا ، ولأول مرة ، تستخدم الفرسان كعنصر صدمة رئيسى فى الاقتحام . فقد أدى هجوم الفرسان القوطيين الى تحطيم الصفوف غير المنتظمة للجيونات الامبراطور فالين ، وانتهى ذلك بهزيمة كاملة للرومان الذين خسروا قائدهم ، وفقدوا أكثر من أربعين ألف قتيل. لقد شهدهذا الانتصار الذى جاء مصادفة ليس فقط نهاية اللجيونات الرومانية ، وانما أيضا زوال التفوق التكتيكى للمشاة . ومنذ ذلك التاريخ ، ولألف عام تقريبا سيطر الخيالة (الفرسان) على ميدان القتال (٢) . وتقرر مصير الممالك والامبراطوريات من آسيا الى المحيط الأطلنطى بالجحافل الضخمة من الفرسان الغزاة .. السيخ ، والمسيحيين ، والتتار ، والعرب بعد الاسلام .

ومن المدهش أنه فى تلك الفترة ، التى شاهدت حربا مستمرة تقريبا فى العالم المسيحى ، كانت الدلائل قليلة على وجود تقدم فى التكتيك . وهبط مستوى الحرب الى اقتتال بين الفرسان ، واطلاق للخيالة ضد بعضها البعض . وقد جرب ، فى بعض الأحيان استخدام

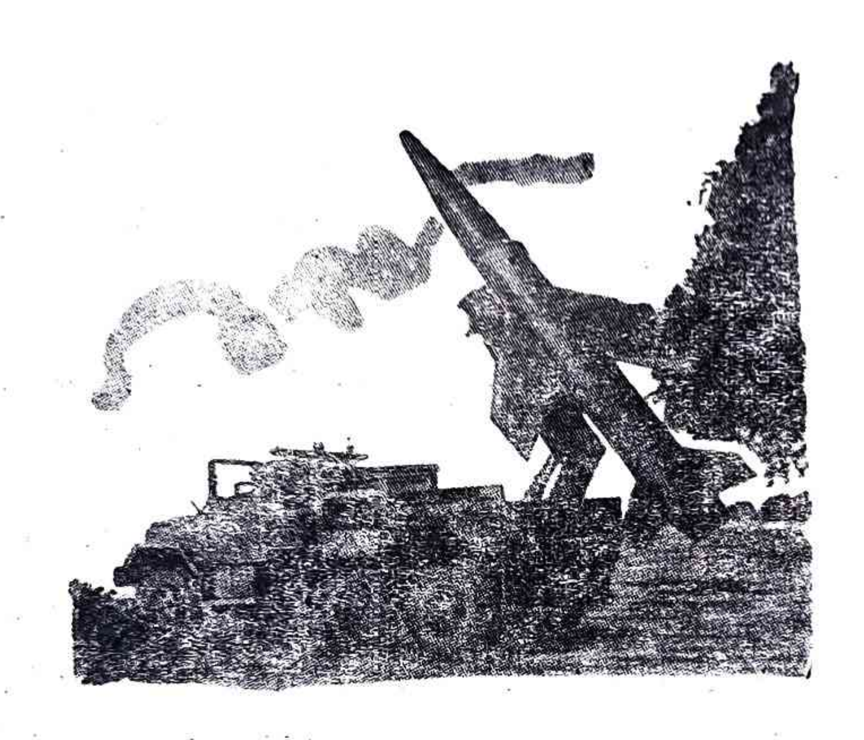
---

(١) ادرنة : عرفت أصلا باسم أوسكاداما أواسكوداما ، ثم سميت باسم الامبراطور الرومانى هادريان (١١٧ — ١٣٨) وكانت مقرا لحكم الاتراك حتى سقوط القسطنطينية عام ١٦٥٣ . وكانت مسرحا لموقعتين حربيتين : الأولى عام ٣٢٣ هزم فيها كونستانين الاكبر ، والثانية عام ٣٧٨ حيث هزم الرومان بقيادة فالين على يد القوطيين .

(المترجم)

(٢) الواقع ان الخيالة اكتسبت السيادة فى ذلك العصر بسبب انتشار الاعتقاد بانه من الاشرف للفرد ان يقاتل على ظهر جواده من أن يقاتل مترجلا على قدميه .

(المترجم)



أساليب جديدة كما فعل « الهون » الذين توسعوا فى استخدام رماة السهام راكبى الخيل لتجنب القتال المتلاحم ، وكما ظهر فى تعاليم الامبراطور « ليو » البيزنطى فى القرن العاشر الذى حاول ادخال شكل جديد من الحرب المبنية على أساس الخدع الحربية ، والكمائن والتقهقر التظاهرى ، ولكن لا يبدو أنه قد برز نتيجة لذلك أى تقليد دائم لتكتيك الفرسان الخفيفة ، أو أى تطور آخر فى عقيدة القتال . وفى الفترة الأخيرة من القرون الوسطى ـ وهو العصر المظلم حقا بالنسبة للتكتيك ـ عندما انتشر الفرسان فى أوروبا ، وهم يرتدون دروعهم عاقدين عزمهم على أعمال تتسم بالفروسية ، فى ذلك الوقت ، سقط فن القيادة نتيجة للتقصير ؛ اذ كان الملوك والقادة معتادين على أن يقاتلوا ـ بمجرد أن يبدأ الاشتباك ـ مثل الجنود العاديين . وكانت نتائج معارك الفرسان المدرعين تتقرر اما تحت وطأة التفوق العددى ـ وحده ، أو نتيجة للقتال الذى يدور بين الأبطال بصفة فردية . وهكذا ، فى الحقيقة ، لم يعد يعتد بالحرب كفن .

ان التطور الوحيد الجدير بالاهتمام للأسلحة فى تلك الفترة هو القوس الطويل الانجليزى ، ولكن تعصب الفرسان منع استخدام هذا السلاح الخاص بالطبقات الأدنى استخداما كاملا لعدة قرون . وظل الحال

كذلك حتى موقعة كريسى (Crecy) عام ١٣٤٦ عندما برز تكتيك أسلحة القذائف لأول مرة . واستطاع الملك الانجليزى ادوارد الثالث بجيش ضعيف فى الفرسان المدرعين ، ولكنه قوى جدا فى رجال الأقواس الطويلة - أن يهزم جيشا فرنسيا أكثر قوة ، وذلك بفضل نشاط رماته فقط ، حتى دون أن يقترب من العدو ويتصادم معه . ولقد قتل ما يقرب من ألفى فارس مدرع فرنسى ، وسرعان ما رسخت شهرة الانجليز القتالية التى لم تكن ذائعة فى القارة قبل ذلك الوقت . أما تطور تكتيك المشاة الخاص « بالنيران مع الحركة » وكذا اعادة الفرسان للقيام بدورهم المساعد كالمعتاد فقد استغرق ثلاثة قرون ، ولكن كانت الخطوة الأولى هى ما قام به رجال الأقواس الطويلة الانجليز .

لقد اكتشف استخدام البارود فى أوروبا فى القرن الثالث عشر ، ولكن لم تبدأ البنادق الأولى (الموسكيت) فى الظهور الا فى القرن الخامس عشر . ومرة أخرى أدى عداء « الفئة الحاكمة » للمدافع والمدفعية الى عرقلة نمو العقائد التكتيكية المناسبة ، وخاصة فى أوروبا الغربية .

وظلت المدفعية فى تلك الفترة سلاحا مهملا بالرغم من التجارب المتقدمة التى أجريت فى أوروبا الشرقية ، وخاصة بواسطة جيوش الهوصار (Hussite) البولنديين ، الذين كانوا أول من ناوروا بالمدفعية فى ميدان القتال . وكانت نقابات « المدفعجية » المدنيين فى أوروبا الغربية هى التى تقوم بصنع وصيانة المدافع ، كما كان رجال المدفعية من المدنيين هم الذين يتولون استخدامها فى أثناء الحرب . وليس من الغريب فى هذه الظروف أن يكون تقدم الاستخدام التكتيكى للمدفعية ضئيلا . واستمرت عادة حشد كل قطع المدفعية وسط خط القتال دون انقطاع لأكثر من قرنين ، وكان استخدامها يقتصر على الاشتباك مع أهداف طارئة (تظهر فجأة) فى هذا القطاع بالذات من ميدان القتال . ولم يلتفت أحد الى القيمة الحقيقية للمدفعية خفيفة الحركة فى الاشتباك مع الأغراض الحيوية .

وكان تنظيم المشاة فى أثناء نفس الفترة ، يمر بتغيير تدريجى نتيجة لحلول حاملى البنادق محل حاملى الحراب ، ولكن درجة التغيير لم تتناسب مع التقدم الذى طرأ على التسليح . ولقد ظل حاملو الحراب وحاملو البنادق يكملون بعضهم البعض فى ميدان القتال لفترة طويلة ،

" الملحق (جـ) "

رسم بياني للأعمال المحتملة

٢- تحت ظروف عدم الاستقرار النووي المطلق

الحرب الاستراتيجية	تبادل الضربات المضادة للمدن	عدم استقرار نووي مطلق (كلا الجانبين يمتلكان قوة مضادة للقوة قابلة للتصديق)
		اللاعمل غير المضمون
	تبادل الضربات المضادة للقوة	حاجز للردع أقل من أن يكون قابلا للتصديق
الحرب التكتيكية	الحروب بالأسلحة التكتيكية	
	الحروب التقليدية	المدى المحتمل لأعمال التصعيد
	حروب العصابات العلنية	(احتمال ضئيل للحرب التكتيكية)
الحرب الباردة	حروب العصابات غير المعلنة	
	التمرد والانتفاضات	(مدى متزايد من أعمال الحرب الباردة) .
	التخريب والتسلل والاغتيالات الخ ..... الخ	مستوى لا يمكن ردعه من أعمال الحرب الباردة

رسم بياني للأعمال المحتملة

١- تحت ظروف الاستقرار النووي المطلق

الحرب الاستراتيجية

تبادل الضربات المضادة للمدن

استقرار نووي مطلق
(لا توجد أية قوة مضادة للقوة لدى أي من الجانبين)

اللاعمل المؤكد

تبادل الضربات المضادة للقوة

حاجز مطلق للردع

الحرب التكتيكية

الحرب بالأسلحة النووية التكتيكية

الحرب التقليدية

المدى المحتمل لأعمال التصعيد

حرب العصابات العلنية

(احتمال كبير للحرب التكتيكية)

الحرب الباردة

حرب عصابات غير علنية

التمرد والانتفاضات

(مدى مسيطر عليه لأعمال الحرب الباردة).

التخريب والتسلل والاغتيالات

الخ ... الخ

مستوى لا يمكن ردعه من أعمال الحرب البارده

وذلك لأن كلا منهما كان عاجزا بالفعل ، دون معـــاونة الآخر ، عن أن يواجه هجوم الفرسان الذين كان فى مقدورهم دائما الهجوم على حاملى البنادق وتمزيقهم قبل أن يتمكنوا من اعادة التعمير بعد اطلاق الصلية(١) الأولى • أما بالنسبة لحاملى الحراب ، فكان الفرسان يتوقفون على مسافة أمن بعيدا عن مدى الحراب ، ويطلقون فى هدوء نيران مسدساتهم على صفوفهم • وبدأت تشكيلات المشاة فى العودة الى مفهوم الفالاناكس القديم الخاص بالتشكيل الخطى الكثيف •• أى التجميع المركز لحاملى البنادق وحاملى الحراب كوضع دفاعى • ولم يجر أى تجديد تكتيكى لكى تحـل قوة نيران بنادق المشاة محل عمل الفرسان الخاص بالنيران والصدمة •

لقد توقف التطور الصحيح للقوات المسلحة فى تلك الفترة بسبب النقص الذى يرثى له فى كافة الخدمات التى تمكن الجيش من أن يتحرك بحرية وبسرعة • فكانت الطرق رديئة ، كما كانت معـدومة فى مناطق شاسعة • ولم تكن هناك خدمة نقل بالمعنى الصحيح لها • وكانت هناك أعداد غفيرة من الأفراد الذين يلازمون الجيش باستمرار مما كان يقيـد حركة القوة الرئيسية للجيش • وكانت القوات تأمل فى أغلب الأحوال فى أن تعيش على ما تقوم به من سلب ونهب ، وغالبا ما كانت الضرورة الادارية التى تقتضى التحرك بعيدا عن المناطق المنهوبة الى أخرى توفـر امدادا جديدا من العلف والمؤن تفرض نفسها على الاستراتيجية •

وفى هذه الظروف ، ظل الفرسان يعاملون باعتبارهم السلاح المقاتل الرئيسى ، نظرا لأنهم لا يحتاجون الى نفس الدرجة من التأمين الادارى ، كما كانوا على أية حال يستخدمون كقوات قليلة العدد خفيفة الحركة •

ولم تستغل المدفعية البطيئة أو حشود المشـــاة شـديدة المراس استغلالا كافيا كعوامل حاسمة فى القتال • وكان التعصب على أية حال قويا جدا فى تلك الفترة (٢) •

---

(١) يقصد بالصلية خروج عدة طلقات نارية من عدة أسلحة فى وقت واحد .

(المترجم)

(٢) يرجع انتعاش فن الحرب بعد معركة كريسى وبطء تخلصه من عصر الخيالة ـ الأمر الذى تطلب ثلاثة قرون حتى تعود الخيالة من جديد الى مكانها كسلاح معاون ـ لعدة أسباب اهمها :

ـ الاستخدام غير الصحيح للمدفعية .
ـ الاصرار على تشكيل الفالاناكس فى المشاة .
ـ عدم كفاية وحدات الشئون الادارية .

(المترجم)

الفصل السابع

● النهضة العسكرية

قامت المحاولة الأولى لانتشال فن الحرب من حالة الفوضى هذه خلال القرن السابع عشر عندما أدى تأثير المفاهيم العسكرية الجديدة التى أدخلها ميكيافيللى وآخرون غيره الى تغيير الظروف والأوضاع الاستراتيجية. ويرجع الفضل فى هذه النهضة التى تحققت فى التطبيق التكتيكى الى « جوستاف أدولف » ملك السويد المعروف تاريخيا « بأسد الشمال » . كانت خطوته الأولى هى اعادة التنظيم الكامل لكل سلاح ، ثم مزج تكتيكات هذه الأسلحة على أساس مفهوم الأسلحة المشتركة المبنى على قوة النيران والحركة . وكانت المبادىء التى أرسى على أساسها هذا الاصلاح هى العلاقة بين انضباط المسير والتنظيم وبين خفة الحركة والمناورة فى المعركة ، وأن البندقية هى السلاح الرئيسى فى الحرب ، وأن قوة النيران هى أساس تعاون الأسلحة المشتركة ، وأخيرا أهمية النظام الادارى الجيد .

لقد أدرك « جوستاف » أن خفة الحركة قد بنيت بدرجة كبيرة على الانضباط الجيد الذى بنى بدوره على ادارة كفء تحظى بثقة الجنود . لقد أنشأ جهازا نظاميا للاعاشة ــ أى امداد القوات بالملابس والأحذية والخيام ، يوفر لهم التعيينات بشكل منظم ، وفى أثناء الحرب أنشأ المخازن والمستودعات التى لم تكن معروفة تقريبا من قبل . لقد طور الأسلحة والمعدات ،والخدمات الهندسية والطبية ، وأصدر قوانين تحرم الرذيلة والسكر والسلب . وارتفع مستوى ادارة الرجال (القيادة) باستبداله الضباط القدامى الذين يفتقدون الحماس آخرين من الشباب المتحمسين لعملهم .

وهكذا كان « جوستاف » اول من أنشأ جيشا عاملا بدلا من الفلول المرتزقة لأوروبا الاقطاعية . وأخضع جيشه لطوابير تعليمية شاملة ومنظمة ، وللتدريب التكتيكى وللتدريب على استخدام البنادق . وتمت

اعادة تنظيم التشكيلات القديمة تنظيما كاملا . فثبت عدد أفراد السرية المشاة بمائة وخمسين فردا ، منهم خمسة وسبعون حملة بنادق ، وتسعه وخمسون حملة حراب ، والباقى ضباط وضباط صف . وكانت الكتيبة تتكون من أربع سرايا ، والآلاى (نصف اللواء تقريبا) من كتيبتين ، واللواء من ثلاثة آلايات .

وقد قصر « جوستاف » طول الحربة فجعله ١١ قدما بدلا من ١٦ ، وخفف وزن البندقية بالاستغناء عن المسند . وكان تشكيل المعركة للسرايا والكتائب يفتح فى ثلاثة خطوط تختلف المسافات بينها ، فيفتح حاملو الحراب فى ثمانية صفوف ، وأفراد البنادق فى ستة ينضمون الى ثلاثة صفوف عند اطلاق النار .

واستخدم نوعين من الفرسان ، يسمى النوع الأول « كورازيير » أما الثانى فيسمى « دراجون » . وكان النوع الأول مدرعا جزئيا ، أما الثانى ــ الذى كان عبارة عن مشاة راكبة ــ فكان تسليحه المسدسات . وكان الفرسان ، حتى ذلك الوقت ، يفتحون فى عدد من الصفوف يتراوح بين ثمانية وعشرة صفوف فخفضها الى ثلاثة ، وجردهم من البنادق الثقيلة واستخدمهم بدفعهم فوق ظهور الخيل ، وهى تركض بأقصى سرعتها مستعملين السيوف والمسدسات .

رغم أن هذه التشكيلات كانت مبتكرة ومثيرة للدهشة ، الا أن نجاح « جوستاف » قد بنى بدرجة كبيرة على أساس تطويره للمدفعية . ومثلما كان الأتراك هم أول من قدر قيمة مدفع الحصار فان « جوستاف » كان أول من قدر قيمة مدفع الميدان ، فأدخل قطعا من المدافع الميدانية خفيفة الوزن ذات خفة الحركة الحقيقية عيار ثلاثة ، وأربعة ، وستة أرطال .

وقسم « جوستاف » المدفعية الى مدفعية حصار ، ومدفعية ميدان ، ومدفعية آلايات . وكانت مدفعية الحصار أثقلها ، تليها فى الوزن مدفعية الميدان ، أما أخفها فكانت مدفعية الآلايات (مدفعين لكل آلاى) عيار ثلاثة وأربعة أرطال مجهزة بذخيرة متصلة (١) . وكان أثر الحاق المدفعية

---

(١) الذخيرة المتصلة هى التى تكون فيها الطلقة والخرطوشة قطعة واحدة تعمر فى المدفع مرة واحدة .

(المترجم)

الخفيفة على الآلايات هو دعم جبهة القتال كلها بقوة النيران • وكانت التجربة السابقة فى تركيز كل المدفعية وسط خط القتال أقل فاعلية بكثير ، كما رأينا • وبينما كانت النيران فى النظام القديم تركز على بقعة واحدة ، أصبح من الممكن - عن طريق انتشار المدفعية - تركيز النيران على أكثر من نقطة ، بل - وهو الأهم - على أهداف من اختيارنا نحن •

وحوالى تلك الفترة ، أضاف ادخال السونكى جديدا الى تقدم تكتيكات المشاة • لقد تبين أن العيب الكبير لحملة البنادق هو أنهم كانوا يعتمدون على حماية الحراب لهم بسبب افتقادهم أية وسيلة يستطيعون بها أن يمتصوا صدمة هجوم الفرسان عند القتال المتلاحم • وقد سمح تطور السونكى بأن يستغنى حملة البنادق عن حماية الحراب ، كما أعطاهم القدرة على مقاومة الصدمة ، وهكذا لم يعودوا مضطرين - من أجل مقاومة الفرسان - الى اتخاذ التشكيلات الكثيفة التى كانت تعتبر اجراء مهلكا فى تلك الأيام التى تزايد فيها استخدام المدفعية •

لقد أخذ « جوستاف » بيد المشاة وانتشلها من هوة التخلف التى تردت فيها فى عصر الفرسان • لقد أدرك أن المشاة أيضا تتمتع بخفة حركة كامنة مبنية أساسا على قدرتها على التلاؤم مع الأرض ، وأعاد اليها مكانتها كأثر الأسلحة أهمية • ومنذ ذلك الوقت ونحن نرى أن نسبة المشاة فى جيوش أوربا تتزايد تدريجيا • ومع ذلك استمر المفهوم التقليدى للاشتباك بواسطة الصدمة وحدها أساسا للتنفيذ التكتيكى • وكانت الدلائل التى تشير الى ادخال عقيدة النيران والحركة فى التكتيك قليلة •

وكان « تورين » (١) هو القائد العظيم الثانى الذى حافظ على القوة الدافعة لتكتيكات المشاة • لقد حسن تدريجيا فن المناورة ، ذلك أنه استمر فى استبداله بالنظام القديم الخاص بتشكيل المعركة المتوازى تشكيلات اخرى أقل جمودا • ووضع أساس المناورة فى أثناء المسير •• أى القيام بالحركات التكتيكية قبل الاتصال بالعدو • وكان هذا فى الواقع هو المفهوم الأول لما سمى فيما بعد « بالتكتيكات العظمى » •

---

(١) تورين : ولد فى ١١ سبتمبر ١٦١١ ، وكان قائدا عاما للجيوش الفرنسية فى عهد لويس الرابع عشر • طبقت شهرته آفاق أوروبا • واوصى نابليون بدراسة حملاته العسكرية •

(المترجم)

ان القول بأن أهمية المشاة قد ازدادت كنتيجة مباشرة للنهضة فى العلم العسكرى ليس بالضرورة قولا صحيحا ، فغالبا ما كان العكس أمرا أكثر منطقية • وظهرت حجة تقول بانه مع الزيادة التدريجية فى نسبة المشاة فى الجيوش الأوروبية ـ التى ارتفعت فى بعض الحالات من ثلاثين الى سبعين فى المائة فى عشرات قليلة من السنين ـ ازدادت القوة العددية للجيوش بدرجة فاقت الحد • وقرب نهاية القرن السابع عشر ، كان الملك « لويس الرابع عشر (، يدفع الى ميدان القتال بجيوش بلغ تعدادها مائتى ألف فرد • ومع هذه الزيادة المفاجئة فى تعداد الجيوش كان لابد للجيوش التى تفتح للمعركة أن تغطى مناطق أكبر بمواجهاتها• ولم يعد فى امكان القادة أن يختاروا المناطق (الأراضى) المفتوحة للاشتباك مع العدو فيها • واضطرت الجيوش الى أن تشمل فى مناطق عملياتها الهيئات الطبوغرافية التى لا يمكن تجنبها • وكان عليها أن تسير فى مناطق مزدحمة بالتلال ، والمجارى المائية ، والسياج ، والمناطق المبنية • لقد أدى ذلك الى ظهور أهمية العمليات الصغرى مثل الاستطلاع ، والتدريب على أعمال الكشافة ، وتأمين المسير ، والوقفات وما شابه ذلك • وقبل ذلك كانت النقاط الضعيفة فى خطوط العدو تشكل الأهداف التكتيكية الرئيسية للقائد • أما الآن ، فقد بدأت أهمية الأهداف الطبوغرافية تتضح ، مما أدى الى ظهور فن توزيع القوات بما يناسب طبيعة الأرض • وأصبح المعيار الرئيسى للمهارة التكتيكية هو الاستيلاء على الأهداف الطبوغرافية أكثر منه تحطيم نقط العدو الضعيفة •

وقد أدت هذه المفاهيم الجديدة الى تطور كبير فى التكتيك تحقق خلال القرن التالى • فواصل « مارلبورو » ، وهو واحد من أعظم رجال التكتيك فى التاريخ ، تهذيب هذه الآراء وادخال التحسينات عليها • وبينما هاجم « تورين » فى موقعة « توركهايم » Turkheim جنب العدو ، ولكن فى نقطة تبعد كثيرا عن خط انسحابه ، برهن « مارلبورو » فى موقعة « راميليس » Ramiller على أن أضعف نقطة لدى العدو هى أقربها الى خط انسحابه (العدو) • لقد أضاف عنصر المفاجأة الى تكتيكاته ، وبرهن بشكل مقنع فى موقعة « بلنهايم » Blenheim وموقعة « راميليس » على أن المفتاح الحقيقى للموقع هو العامل الطبوغرافى • ولقد قدمت عقائد «مارلبورو» التكتيكية الأساس لتكتيكات «نابليون» وكذا ، فى الواقع ، للتكتيكات الحديثة عامة •

الفصـل الثامن

● ميلاد التكتيكات الحديثة

رغم أن القفزة الكبيرة الى الأمام التى تحققت فى العقيدة التكتيكية قد جاءت بعد الثورة الفرنسـية وحروب نابليون ، الا أن المرحلة الأولى للحرب الحديثة كانت قد بدأت قبـل ذلك ٠ وكانت التعاليم العسكرية « لفردريك الأكبر » امبراطور بروسيا تمثل الانفصال الأول عن الماضى ، وهى التى مهدت الطريق للعصر النابليونى ٠

كانت الحرب فى أوروبا قبل عصر « فردريك » تدار وفق مجموعة من الاجراءات التقليدية كانت تعرف عموما « بنظـام الحرب » وضعتهـا الممالك الأوتوقراطيـة الكبيرة ٠٠٠ وهى نوع من العـادات التقليـدية الاستراتيجية التكتيكية التى لم تكن على ما يبدو محل تساؤل من أحد ٠ ويتلخص هذا « النظـام » غير المكتوب فى الربط الخاطىء بين الأحـداث التاريخية التى تبدو غير متغيرة مثل الحرب الموضعية البطيئة المبنيـة على الحصون والحصار ، وعلى عادة قضاء فصل الشتاء داخل الثكنات ، وعلى عادة شن حملة واحدة فى العام ، وكذا على الاعتماد الشكلى تقريبا على الهجمات العتيقة التى يشنها الفرسان ٠ ورغم أن المشاة والمدفعية كانت بحكم الظروف تقوم بمعظم أعباء القتال ، الا أنه كان ينظر اليها على أنها فئات ذات مستوى أدنى ، ولم تنل ما تستحقه من اهتمام رغم اصلاحات « جوستاف » ٠

ثار فردريك على هذا « النظام » ، ورغم أنه استمر فى حالات عديدة ملتزما بقواعد « اللعبـة » الا أنه شـكل جيشـا تم تدريبه على التحرك السريع ، بل وفعل ما هو أكثر من ذلك ؛ اذ كون مشاة تستطيع أن تطلق نيرانها بسرعة ٠ وبالتدريب والتمرين الصارمين ، علم جيشه انضـباط المسير لزيادة خفة حركته التكتيكية ٠ كما أدخل عددا من التجديدات فى

سلاح المدفعية مثل استخدام الهاوتزر (١) لضرب أهداف فى العمق ، وكذا تنظيم بطاريات المدفعية المحمولة على ظهور الخيل ، حتى يجعل مدفعيته خفيفة الحركة • وبمعنى آخر ، استطاعت مدافعه أن تحمل وتتحرك من مكان الى آخر بسرعة بدلا من سحبها المتعثر بواسطة أعداد كبيرة من الخيل • وهكذا أصبحت قوة النيران هى العامل الحاسم فى المعركة ، لا هجمات الفرسان التى عفى عليها الدهر •

ورغم أنه أبقى على المفهوم القديم للتشكيلات الخطية المنضمة ، الا أنه خلق قوة كان لها لأول مرة القدرة على المناورة البارعة فى ميدان القتال تحت غطاء من نيرانها وبمعاونة المدفعية خفيفة الحركة • وهكذا تغير مفهوم المعركة من القالب القديم لتبادل النيران بالمواجهة من اتصال قريب (قتال متلاحم) ، الى أسلوب جديد هو النيران مع الحركة ، والاقتراب المائل ، والهجوم على الأجناب •

وخلال نفس الفترة كان هناك تحول كبير عن العادة المألوفة ، ولكن ذلك التحول حدث هذه المرة فى قارة أخرى • لقد استمرت المشاة فى أوروبا لعدة أجيال تقاتل فى تشكيلات منضمة تقترب حتى مسافة مائة ياردة من بعضها البعض قبل أن تطلق نيران بنادقها القديمة غير الدقيقة على الصفوف المعادية • ان هذا القتال من الاتصال القريب الذى كانت القوات ترتدى فيه زيا ذا ألوان زاهية ، وتقوم خلاله بسلسلة من الحركات المعقدة (اطلاق النار ، ثم الارتداد للخلف عدة خطوات والركوع واعادة التعمير ، ثم النهوض والتقدم للأمام مرة أخرى واطلاق صليه ثانية) كان يحيط به شىء من الزيف ، الا أنه مع ذلك كان جزءا من « نظام الحرب » التقليدى • وقد تغير كل ذلك بفضل ظهور البندقية المششخنة القادرة على انتاج نيران منشنة ضد أهداف منفردة على مسافات بعيدة ، وذلك رغم ما قوبلت به من معارضة كبيرة من المحافظين الأوروبيين •

ولقد تعلم البريطانيون فى أثناء الحروب الاستعمارية فى أمريكا فن « المناوشة » من الهنود الأمريكيين الذين جعلوا البريطانيين يدفعون ثمنا باهظا من أرواح جنودهم فى المعارك الأولى ، وذلك باطلاق نيرانهم من مسافات بعيدة ومن خلف مواقع مستترة • وأدت ضرورة مواجهة هذه

---

(١) يختلف الهاوتزر عن المدفع فى ان قذيفة الأول تأخذ خط مرور مقوس مما يجعله قريب الشبه بالهاون ، وبذا يمكن للهاوتزر اصابة الأهداف التى خلف ساتر .
(المترجم)

التكتيكات الى تشكيل « حملة البنادق الملكيين الأمريكيين » وهى أول مشاة حديثة ورائدة تقاليد « مشاة البنادق » • وقد ارتدت هذه القوات « الخفيفة » سترات مموهة (خضراء) بأزرار سوداء ، وانتشرت تحت السواتر وأطلقت نيرانا منشنة من مسافات بعيدة من ثلاثمائة الى أربعمائة ياردة ، وكان ذلك بداية للقتال الحديث بعيد المدى •

كان لابد فى أوروبا المحافظة من أن يلقى هذا الشكل « المتسلل المتخفى » من الحرب الاحتقار باعتباره شيئا مبتذلا وغير أخلاقى • ولقد قاوم سير « وليام نابير » ادخال النوع الجديد من البنادق فى الجيش لاعتقاده بأنها ستقتل روح جنود المشاة وتهبط بمستواهم الى « قتله من مسافات بعيدة » • وعندما عاد الجيش الى أوروبا سرح أفراد المناوشة الأوائل ولم يستدعوا الى عند حملة شبه الجزيرة التى قادها « ويلنجتون » • ولكن الدرس لم يضع هباء مع ضباط جيش نابليون ، حيث تغيرت التكتيكات الشكلية القديمة ، وبدأ استخدام أفراد المناوشة (أو الرماة كما كان يسميهم الفرنسيون) فى خط ممتد كستارة أمام المشاة الثقيلة • وبالتدريج ، ومع ثبوت نجاح هذه التكتيكات ، تكونت كتائب كاملة من هؤلاء الرماة ، وكان واجبهم هو الاشتباك بالنيران مع العدو على مسافة أمام القوة الرئيسية للجيش (وذلك من مواقع منتشرة ومخفاة عند الدفاع ، وبالتحرك من ساتر الى آخر عند التقدم) ، ثم الانضمام للأجناب عندما يقوم العدو بالهجوم •

لقد ظل التشكيل الخطى أساسا لتكتيكات المشاه لفترة طويلة لدرجة أنه أصبح جزءا من « نظام الحرب » المعمول به • وحتى فردريك لم يتمكن من أن يتخلى عن هذه الفكرة العتيقة • لقد حاول أن يتحايل على الجمود الكامن فيها بتدريب قواته على التقدم السريع ، وعلى القيام بحركات الالتفاف المتقنة بحيث استطاع ، الى حد ما ، أن يناور بحشد ضخم مربك من التشكيلات الخطية للقيام بالالتفاف أو الهجوم على الاجناب • ومع ذلك لم يكن فى استطاعته تقليل مواجهة خطوطه ، لأن تعداد جيشه كان صغيرا نسبيا ، وكان بذلك يعرض نفسه لعمليات الالتفاف السهلة من جانب قوات العدو • ولم تكن جيوش نابليون الضخمة بنفس الحاجة الى التضحية بالعمق من أجل المواجهة ، هذا بالاضافة الى انه كان لديه الرماة كحماية فعالة للأجناب واتخذ الجيش الفرنسى تحت قيادة نابليون تشكيل الرتل ليس فقط من أجل المسيرة ، بل أيضا من أجل القتال ، ولكن بعد اجراء تعديلات معينة فيه • وقد توفرت الأدلة التى تؤكد مزايا هذا النظام فى مواقع «ريفولى»

و « مارنجو » والمواقع الحربية الآخرى ، وهذه المزايا هى سهولة القيادة والمناورة ، والقدرة على استخدام الأرض بدلا من أن تكون هى المتحكمة فى القوات ، وكذا توفر العمق المباشر (القريب) ٠

ان تنظيم نابليون للجيش الى فرق وفيالق ، يتكون كل منها من مشاة وفرسان ومدفعية وعناصر التأمين الادارى لم يؤد فقط الى ادخال خفة الحركة الاستراتيجية بل انه أكسبها أيضا قيمة تكتيكية ٠ فكانت فرق نابليون تصل منفردة الى ميدان القتال ، قادمة من اتجاهات مختلفة ، وتهاجم العدو بالمواجهة ومن الاجناب فى وقت واحد ٠ وكانت الفرق التى تصل قبل غيرها تقوم بتثبيت العدو بالنيران ، ثم تظهر الفرق الأخرى قادمة من اتجاه مختلف وتقوم بالهجوم على أجناب العدو وتحت غطاء من نيران الفرق الاولى ٠

والتطور الهام الآخر الذى حققه نابليون فى التكتيك كان قصف العدو بنيران مركزة من المدفعية قبل الهجوم ٠ وكان فى بعض الحالات يحشد مدفعيته فى مقدمة القوات المهاجمة لسحق العدو بفاعلية أكبر ٠ وكان القصف على النقطة المختارة للهجوم عليها يصل حدا من الكثافة بحيث أن العدو كان يصبح نصف محطم قبل شن هجوم المشاة ٠

لقد أدى مزج هذه الأساليب التكتيكية ــ حشد نيران المدفعية ــ والحركة التى تقوم بها أرتال الالتفاف ، والهجوم بتشكيلات الرتل بما لها من ثقل ــ الى جعل انتصارات نابليون حاسمة ٠ وكان هدف نابليون الاستراتيجى هو الحصول على نتيجة حاسمة بتدمير قوات العدو ، وقد حقق ذلك بالجمع بين النيران والمناورة ، وليس بمجرد الهجوم بالمواجهة الذى يمكن العدو من أن يرتد أمامه وينسحب الى حيث الأمان ٠ ولو أن نابليون تمسك بالتكتيكات القديمة لاستطاع أعداؤه المهزومون أن يعيدوا فى النهاية تجميع أنفسهم ، وأن يتحدوا ضده ويفرضوا عليه ، على الأقل ، حرب استنزاف فى وسط أوربا ٠ والواقع أنه احتفظ بالتفوق الاستراتيجى بانزال سلسلة من الهزائم التكتيكية الحاسمة بخصومة خلال عدة سنوات ٠

لقد قيل عن نابليون انه لم يكن يهتم بالتكتيك ، على الرغم من الخطوات التكتيكية الكبرى التى تحققت تحت قيادته ٠ وربما كان ذلك قولا متسرعا أكثر من اللازم ، ولكن من الحق أن يقال انه بالرغم من أن بعد النظر الاستراتيجى الذى سبب ثورة فى الحرب كان وليد عبقرية ، الا أن التجديدات التكتيكية قد جاءت وحدها بمرور الزمن ٠٠٠ ومثال ذلك

تكتيكات الاشتباكات الصغرى (١) ، واتخاذ تحركات الرتل ، وتنظيم الجيش فى فرق • أما اسهام نابليون المباشر الذى لا جدال فيه فانه يكمن فى استخدام المدفعية •

لقد واجه نابليون هزيمته فى النهاية على أيدى رجال التكتيك لا رجال الاستراتيجية ، وهذا أمر له مغزاه • فعلى الرغم من أنه فى موقعة «ووترلو» قام بمناورة أولية فريدة – أى الحشد السرى فى « شارلروا » ، والفخ الذى يتصف بالدهاء الذى نصبه فى طريق نامور – نيفيل ، الا ان عدم كفاية الاستخدام التكتيكى هو الذى أفقده الموقعة فى النهاية • وكان استخدام «ولنجتون » للأرض لحماية قواته من الحشود المخيفة للمدفعية ومهارته فى استخدام القوات لاعادة تشكيل خطوطها هو ، بلا شك ، الذى أنقذ بريطانيا•

ولقد كانت الأسباب الرئيسية فى فشل نابليون من صنعه هو ، مثل عدم الحسم فى المناورة التكتيكية ، وشن الهجمات المجزأة (على أجزاء) مثل الهجوم على المركز البريطانى الحيوى فى « سانت لاهاى »، والنقص الواضح فى التنسيق بين الأسلحة المختلفة • لقد كانت ووترلو هى الدليل الأخير على اضمحلال قدرة نابليون ولكن من المشكوك فيه أنه كان يستطيع، حتى وهو فى أفضل حالاته ، أن يبارى ويلنجتون فى قدرته على التنفيذ التكتيكى •

---

(١) أى القتال بين اقسام صغيرة من الجيش أو الاسطول .

(المترجم)

الفصل التاسع

● الحرب العالمية الأولى :

لقد قيل عن الحرب العالمية الاولى : ان مدى الصراع فيهـــا كان من الاتساع ، كما ان القوة التدميرية لأســـلحتها كانت من الضخامة بحيث ان عنصرا من الحتمية كان يحيط بالمذابح الانتحارية التى دارت فيالأوحال والتى أدت الى خسائر لا مبرر لها من ملايين الافراد من الجانبين ٠ وربمـا يرى أحد الفلاسفة أن التبرير العسكرى لهذا الدمار أمر لا يمكن الدفاع عنه

وكما يمكن ارجاع السبب فى ركود جبهات القتال الثابتة المتشابكة الخنادق الى سوء التوجيه الاستراتيجى ، كذلك فان عدم الكفاءة التكتيكيـة هى السبب المباشر فى المذابح التى لا معنى لها والتى دارت فى الجبهـــة الغربية ٠ لقد كانت الأحوال التى سادت ميدان القتال فيما بين عام١٩١٤ وعام ١٩١٨ تتطور قبل ذلك بحوالى خمسين عاما ، ولكن القليلين جـــدا من القادة العســـكريين فى أوربا هم الذين كانوا قادرين على أن يتكيفوا مع هذه الأحوال المتغيرة ٠

ان التطورين الرئيسيين اللذين ميزا التطبيق التكتيكى فى الحـــرب الأهلية الأمريكية هما استخدام القوات المدافعة للمتاريس المتشابكة ،وكذا المعدل المتزايد لنيران البنادق الذى أعقب التعديل الخاص بجهـــاز تعمـــير البندقية من الخلف (الترباس) ٠

لقـــد كانت قـــوات الجنرال « لى » lee هى أول من تبـنى أسلوب بناء المواقع الدفاعية خلف المتاريس الخشـــبية وذلك فى أثنـــاء اتخاذهم وضع الدفاع فى الأرض كثيفة الأشجار بين العاصمتين ٠ وقـد أدت هذه المتاريس وظيفة مزدوجة ، ذلك لأنها وفرت غطاء للقوات المدافعة وفى نفس الوقت كانت معدة لتكون مانعا ضد المشاة المهاجمة ٠ لقد سبق أن ذكرنا أن زيادة مدى البنادق المششخنة قد أطال المســافة التى يمكن منها اطلاق النار ، وأن ظهور البنادق سريعة الطلقات التى تعمر من الخلف قد أعطى القوات المدافعة ميزة أخرى ، ذلك أنها مكنتهم من توجيه كميـة

كبيرة من النيران على القوات المهاجمة خلال الفترة التى يقضونها فى قطع مسافة الهجوم الطويلة ، ثم فى صراعهم لتسلق المتاريس • وربما كان أفراد الكشافة والمناوشة يأملون فى العمل حول الدفاعات أو حتى التسلل تحت ساتر ، ولكن هجوم التشكيل يصبح معرضا لمخاطر لا تستحق معها العناء • ولم يعد فى امكان المشاة المهاجمة أن تأمل فى الاستيلاء على الموقع الدفاعى باستخدام السونكى • واستمر القادة العنيدون يستخدمون تكتيكات الصدمة القديمة ، كما حدث فى « جتسبرج » أو فى حملة « البرارى » Wilderness Campaign ، ولكن التشكيلات المهاجمة كانت تتحطم دائما أو تكتسح بالنيران التى تطلق من خلف المتاريس • لقد أثبتت التكتيكات الدفاعية والأسلحة الجديدة أن القوات المدافعة تستطيع بما لها من قوة نيران أن تتمسك بالموقع الدفاعى • وهكذا انتهى عصر الصدمة أو كان ينبغى له أن ينتهى • وقد كتب الجنرال « جوردون » قائد الجيش الكونفدرالى فى مذكراته قائلا : « كان العدد الذى استخدم من السناكى بكافة أنواعها ضئيلا فعلا •• ان عصر السونكى قد انقضى » •

ومع بداية القرن العشرين مال الميزان التكتيكى أكثر من ذلك لصالح الدفاع ، اذ حلت البندقية ذات الخزنة محل البندقية خلفية التعمير ، وغير ظهور المدفع الرشاش كل مظاهر النيران الدفاعية • واستطاعت أقواس النيران المتقاطعة التى تطلق من الأجناب أن تقيم بالفعل ستارة من النيران (الطلقات) فى طريق القوات المهاجمة • وكأن ذلك لم يكن كافيا ، اذ أن الخطوط المتشابكة والمحاطة بالخنادق من الأسلاك الشائكة جعلت من تقدم القوات المهاجمة أمرا مستحيلا حقا • لقد زاد هذا المزج بين الرشاش والسلك الشائك من قوة الدفاع بدرجة جعلت القوات المهاجمة تفقد الأمل فى التحرك ضدها •

ولكن هذه الحقيقة التكتيكية الأساسية كانت خافية عن معظم القادة العسكريين بسبب أسطورة ••• « السلاح الأبيض » • وسواء كان ذلك شكلا من أشكال الدفاع النفسى ضد التعقيد المتزايد للأسلحة الحديثة أم مجرد شعار للفئات العسكرية فى أوروبا ، فانهم كانوا يؤمنون ايمانا ساذجا بالبطولات المرتبطة بالهجوم بالسونكى فى تشكيل هجومى ضخم • ولا تزال توجد ، حتى يومنا هذا بعض الجهات التى تتعلق بهذا الايمان ، وقد تحطمت هذه الأسطورة فى مئات المواقع الحربية ، ولكن المحافظين لايزالون يتمسكون بها كعقيدة أساسية للجندى المحترف •

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى كان القادة الذين لم يقتربوا مطلقا ،

فى حالات عديدة ، من الخطوط الأمامية ، بل يصدرون أوامرهم من مراكز قيادة تقع على بعد عدة أميال فى المؤخرة مازالوا يرسلون رجالهم « الى الأمام » فى تشكيلات منضمة للهجوم بالمواجهة على دفاعات العدو . ولما بدأت الخسائر تتراكم ، جربوا استخدام طرق عديدة لتقليلها مثل تمهيد المدفعية(١) ، وستائر الدخان ، والمعاونة بالدبابات . ولكن شكل هجوم المشاة ظل فى الأساس كما هو لم يتغير ... أى الهجوم المحتشد بالسونكى المصحوب بالصيحات الصاخبة التى تهدف الى خفض روح العدو المعنوية .

لقد عرف منذ فترة طويلة أن عدد الخسائر فى الحرب الحديثة والتى جاءت نتيجة للاصابة بالسونكى كان تافها . فحتى فى حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ كانت الأرقام من الضآلة بحيث وضعت هذه الخسائر ضمن الـ ٢٠ر ٪ من الخسائر المتنوعة » التى تشمل الحوادث ، وكذا الخسائر التى جاءت نتيجة « لأسباب أخرى غير عادية » . وحتى فى يومنا هذا نجد أن الرأى المحافظ يبدى اعتمادا كبيرا على « القضاء على العدو بالسلاح الأبيض » ، ويضيع هباء جزءا كبيرا من وقت التدريب فى اعداد المجندين الشبان لهذا الشكل البالى من أعمال الصدمة .

ولقد كان من المأمول أن يؤدى استخدام تكتيك النيران مع الحركة الى وضع حد للخسائر فى الجبهة الغربية . ولـكن ، حتى بهذا الخصوص لم تستغل اطلاقا المدفعية الى أقصى طاقتها ، وينطبق هذا الأمر بصفة مؤكدة على الحلفاء ، وبدرجة محدودة فقط على الألمـان . لقد زاد كثيرا حجم ونسبة المدافع وكمية الذخيرة لدى الجيوش ، وكانت مناطق كبيرة تقصف لعـدة ساعات بآلاف من القنابل قبل أى هجوم تقوم به المشاة ، وظلت أرقام الخسائر فى الازدياد . ولـكن هذا الأسلوب من معاونة المدفعية قد فشل فى كسر جمود الموقف على الجبهات المختلفة ، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية : السبب الأول هو ضعف السيطرة على استهلاك الذخيرة ، فكانت غلالات المدفعية (١) تستهلك كميات ضخمة من الذخيرة ، وأصبح الامداد بالذخيرة معقدا للغاية . وكانت هناك صعوبة بالغة فى تموين الأنساق الثانية من المدافع بذخيرة تكفى الغلالة الثانية مما جعل العمليات تنفذ ضد أهداف محدودة جدا . والسبب الثانى هو أن تركيز نيران المدفعية وطبيعة الغلالة

---

(١) يقصد بتمهيد المدفعية قصف النيران الذى يسبق الهجوم .

(٢) هى نوع من تمهيد المدفعية ، والنـوع الثانى هو تجمعات النيران المتتالية وهو أكثر مرونة .

(المترجم)

« الصندوقية » قد أفقد القوات عنصر المفاجأة ، اذ أعطى العدو فرصا كبيرة لتجميع احتياطيه للقيام بالهجوم المضاد بعد توقف غلالة المدفعية · ولم تستطع المدفعية بمداها المحدود من أن تتدخل ضد تحركات الاحتياطى خلف الخطوط الأمامية · لذا بدأ التخطيط للمعارك يهدف الى التأثير التدميرى للمدفعية لا الى الحصول على ميزة تكتيكية بواسطة تحرك المشاة · وكان السبب الثالث فى فشل الغلالات الكثيفة هو أن سياسة قصف مناطق شاسعة بالمدفعية الثقيلة قد خلقت مزيدا من الموانع أمام المهاجمين أنفسهم لقد أثبتت « المنطقة المكسرة » أنها مانع هائل أمام استمرار تقدم المدفعية وخدمات الامداد ، مثلها فى ذلك مثل الأسلاك المتشابكة غير المقطوعة أمام المشـــاة ·

وقد جاء الحل الحقيقى لهذه الحالة من الركود التكتيكى مع اختراع الدبابة التى استعادت كلا من خفة الحركة والأمن · لقد وفر تدريعها المضاد لطلقات الرصاص الوقاية لطاقمها من نيران الأسلحة الصغيرة والشظايا ، كما مكنها الجنزير من التغلب على دفاعات الخنـادق الواقعـــة خلف موانع الأسلاك ·

ظهرت الدبابة لأول مرة فى موقعة « السوم » فى يوليو عام ١٩١٦ ، ولـكن أول ظهورها هذا كان عديم الجدوى ، لأن قدرتها التكتيكية لم تستغل استغلالا كاملا(١) · ولم تنل أطقم الدبابات العناية اللازمة فى التدريب على استخدام السلاح الجديد · ولم يطرأ أى تعديل على نظام المواصلات الداخلية أو الامداد · ولم يبدأ التعاون بين الدبابات وفق مبادىء سليمة الا بموقعة آراس » عام ١٩١٧ ·

لقد أدرك ضباط الأركان العامة لقوات الحلفاء أن المدفعية قد فشلت فى تقديم مفتاح النصر ، ولكن لم يخطر ببالهم أبدا أن سوء الاستخدام التكتيكى لهذا السلاح هو الذى فشل لا قوة المدافع · لقد كانت المدفعية بين يدى نابليون سلاحا حاسما لأنها ـ بالاضافة الى تأثيرها التدميرى ـ قد جعلت المشاة قادرة على الحركة · لقد كانت تشكل جزءا من مبدأ النيران مع الحركة · وفى الحرب العالمية الأولى كان الاعتماد الرئيسى موقوفا على التأثير التدميرى للمدفعية ، لا على قدرتها فى دفع حركة القـوات · واسـتخدمت

---

(١) كان أحد الأسـباب الرئيـسية فى عدم نجاح الدبابات فى معركة السـوم هو أنها لم تـستخدم بأعداد كافية .

المشاة كقوة تطهير بعد أن تحدث غلالة المدفعية تأثيرها • لقد حرمت من ميزة النيران الساترة للمدفعية لتقوم بدورها التقليـــدى وهو التحرك الى الأمام لتحقيق الحسم • لقد قال نابليون : « ان الأرتال لا تستطيع أن تقتحم الخطوط دون معاونتها بنيران المدفعية المتفوقة جدا والتى تقوم بالتمهيـد للهجوم « أما بالنسبة لبيتان ، الذى أعمته أتربة القصف الشديد للمدفعية فقد كان التكتيك يعنى شيئا آخر ، وهو أن « المدفعية هى التى تستولى على الأرض ، وما على المشاة الا أن تحتلها » •

وجاءت الفرصة للبديل ـ أى تكتيك جديد للقتال ـ مع الاستخدام الذى جاء فيما بعد للدبابات • فلأول مرة منـــذ أربع سنوات يتم احراز المفاجأة التكتيكية فى كمبراى وذلك بالاستغناء عن غـلالة ما قبل الهجوم المعتادة ، بل ولم يسمح للمدفعية بالتدوين(١) قبل ساعة الصفر • وقامت الدبابات ، التى استخدمت كمنصة رشاشات مدرعة ، بمساعدة المشاة فى التقدم الى الأمام ، ومكنت لهم النجاح •

بل ذهب أداء الدبابات الى ما هو أبعد من ذلك ، اذ ظهرت قدرتها الـكامنة على الحركة الهجومية المستقلة ، وعلى تمتعها بقوة الاختراق • فاذا ما أمكن لنا معاونتها بقدر كاف على التقدم الى الأمام ، أفلا يكون فى وسعها تحقيق النتيجة فى ميدان القتال ؟ لقـــد كانت الاجابة فى متناول الأركان العامة البريطانية ، ولـكن مرة أخرى ، أثبتت التقاليـد والتحفظ أنهـا عوائق لا يمكن التغلب عليها •

ان القصور التكتيكى الذى أظهره القادة فى الحرب العالمية الأولى من كلا الجانبين قد جاء أساسا من عدم الاستعداد الذهنى لـكادر الضباط على تكييف أنفسهم بما يلائم النظم والأسلحة الجديدة • وكانت كافة الوسائل الفنية اللازمة لوضع نهاية لهذه الحالة من القصور متوفرة قبل بداية الحرب: مثل الرشاشات ، والمدافع الحديثة ، والمركبات التى تدار بالبترول ، بما فيها الجرارات ذات الجنزير • الا أن أحدا ـ حتى الالمان ـ لم يستغل هـذه الوسائل الفنية استغلالا كاملا فى وضع عقائد تكتيكية جديدة •

ولولا شخصية ونفوذ تشرشـــل لكانت اقتراحات صـنع الدبابات البريطانية الأولى قد أخمدت وهى ما زالت على الورق • وبعد الحرب ،عندما

---

(١) يعنى اصطلاح « التدوين » ايجاد مسافة واتجاه الهدف بواسطة الاشتباك معه بالنيران وليس بالطرق الحسابية .

(المترجم)

تأكدت تماما القيمة التكتيكية للدبابات ، كانت لاتزال هناك معارضة قوية من جانب القادة ضيقى الأفق فى وزارة الحربية للجهود التى كان يبذلها كل من « ليدل هارت » ، و « فوللر » وغيرهما من المتحمسين للمدرعات لادخال المفهوم الخاص بخفة الحركة ، وتكتيكات الصدمة المعتمـدة على التشـكيلات المدرعة ٠

وسوف نرى أن أياً من التطورات الكبيرة التى طرأت على الأسلحة فى الحرب العالمية الأولى ـ الرشاشات ، والمدفعية الحديثة ، ومركبـات القتال المدرعة ـ لم تحظ بالتقييم الصحيح من جانب قادة الحلفـاء العسكريين بالنسبة للاستخدام التكتيكى ٠ ولـكن الأمر لم يقتصر على ذلك فحسب ، بل ان هؤلاء القادة يتحملون مسئولية أكثر جسامة ، ذلك أنهم أعاقوا بشدة وعن عمد هؤلاء الذين رأوا بوضوح أكثر امكانيات هذه الأسلحة ٠ وبسبب سوء تقديرهم الجسيم سقط مئات الآلاف ، خلال أربع سنوات طوال من هجمات المواجهة المتكررة ، ضحايا بلا مبرر ٠٠ وكل ذلك من أجل الاستيلاء على مئات قليلة من الياردات المربعة من « الأرض الحرام » ٠

الفصل العـاشر

● الحرب العالمية الثانية :

لقد أحصينا فى بداية هذا الباب أسس التكتيك على أنها الاسلحة واستخدامها واتخاذ التشكيلات المناسبة واستخدام الارض وأخيرا النيران مع الحركة ٠ لقد أصبح أســاس التكتيكات فى عصر الميكنة يكاد يرتبط كلية بمزج النيران بالحركة ٠ ورأينا أن فشل التكتيك فى الحرب العالمية الاولى قد جاء نتيجة للاعتماد الزائد على القـوة التدميرية لأسلحة النيران الحديثة وعدم التأكيد الـكافى على مزج النيران بالحركة ٠ وكانت النتيجة أنه ما أن تحولت الجبهات الى حرب خنادق ثابتة حتى اختفت تقريبا تكتيكات المناورة من ميدان القتال ٠ ولقد كانت عناصر حرب الحركة كلها موجودة ــ نيران التغطية الـكثيفة ، ووســـائل النقل الآلى والتطورات الاولى فى المدرعات ــ ولكن لم يهبط الوحى على أحد قط ليكتشفها ٠

ان أكثر الاخطاء شيوعا لدى القادة العسكريين معدومى الخيال تكمن فى افتراضهم أنه يمكن التعبير عن التكتيك بعنصر واحد فقط من العناصر السابق ذكرها ، ألا وهو استخدام الأسلحة (خاصة اذا كان هناك تفوق فى السلاح) ٠ وقد أثبتت التجربة العسكرية أن هذا الافتراض مضلل ٠ وفى الحقيقة ، كان الفرسان المدرعون فى العصور الوسطى يعتمدون فى كسب مواقعهم الحربية على عنصر الصـــدمة فقط ، والذى كانوا يحققونه بهجماتهم فوق ظهور الخيل ٠ ولقد كان يمكن اعتبار هذا الوضع صوابا طالما أن القانون الأخلاقى الشرعى للفروسية كان يضـــع شروطا للنصر والهزيمة ٠ ولكن تحقيق الحسم فى الحروب الحديثة بقوة السلاح وحده ، حتى ولو كان التفوق فيه مذهلا ، يعتبر الاستثناء وليس القاعدة ٠

ان مجرد انزال تدمير أكبر بواسطة التفوق فى قوة الســلاح ليس تكتيكا ، ولكنه يعتبر حلا آليا فى غياب التكتيك ٠ انه فقط عندما تمتزج قوة السلاح بالحركة فان ذلك يكسبها (قوة السلاح) القوة الدافعة اللازمة للتنفيذ التكتيكى ٠٠ فمثلا ، عند الهجوم نجد أن قصف غلالة المدفعية

التى تهدف الى تدمير القوات المدافعة بفضل ثقل قنابلها ما هو الا عمل آلى ، مثله فى ذلك مثـــل الهجوم الكثيف بموجات من المشاة الذين لا تعاونهم التغطية النيرانية • ولا يمكن اعتبار المزج بين الغلالة وهجوم المشاة عملا تكتيكيا ، الا اذا استخدم أحدهما لتسهيل حركة الآخر ، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر • وبالمثـــل ، ففى الدفاع نجد أن التشبث بالموقع الدفاعى الثابت المدجج بقوة النيران (بالأسلحة) ، والذى اتخذ فقط بهدف تدمير قوات العدو والمهاجمة ، هو الآخر عمل آلى وليس تكتيكيا • ومالم توجد خطة للحركة على شكل مناورة لاعادة التجميع فى اللحظة والمكان الحرجين ، أو على شكل هجوم مضاد يمتزج بالقوة المميتة للأسلحة الدفاعية ــ فلن يكون هناك تنفيذ تكتيكى بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، كما أنه من غير المحتمل أن يؤدى الى نصر حاسم• ان التنفيذ الذى تمتزج فيه قوة الأسلحة بالحركة ؛ سواء فى الدفاع أم فى الهجوم ، هو الذى يمكن أن نسميه تكتيكا • ان ادراك هذه الحقيقة الأساسية هو أكبر خطوة نحو تنفيذ الموقعة الا أن العديد من الضباط يقضون مدة خدمتهم العادية دون أن يدركوها •

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة ، حاولت مجموعة صغيرة من المتحمسين للمدرعات (فوللر ، وليدل هارت ، وهوبارت وآخرون) أن يستحثوا الاهتمام بتجارب المدرعات ، ولكن محاولاتهم لم تنجح • ولو أن وزارة الحربية البريطانية قبلت مجمل جهـــودهم ونظرياتهم لتوفر ــ فى الواقع ــ للجيش البريطانى مشروع تفصيلى كامل لما سماه الألمان فيما بعـد بتكتيكات « الهجوم الخاطف » (الحرب الخاطفة) التى أخـذها الألمان من خبراء المدرعات البريطانيين • ولكن المتصلبين من قادة الفرسان فى وزارة الحربية البريطانية عارضوا كافة الآراء التى ربما كانت ستؤدى الى استبدال فرسان الخيالة بالدبابات ، وحتى فى منتصف الثلاثينات ، فقد كانوا يبذلون آخر محاولاتهم لاعاقة عملية الميكنة •

ويرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى أن انشغال كل من بريطانيـا وفرنسا بنظريات الدفاع الثابت منع القيادة العسكرية العليا من وضع حل ديناميكى لما يدور فى ميدان القتال ، كالذى اقترحه ليدل هارت • لقد كان الألمان هم الذين اهتموا بآرائه • ورغم أنهم بدأوا فى تجاربهم بعـد الحرب الأولى بعشر سنوات الا أنهم ثابروا على الاستمرار فيها ، على حين تخلى عنها الحلفاء فى « كمبراى » •

وفى معارك الدبابات الاخيرة من حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ثبت امكان استخدام الدبابات فى تحقيق الاختراق ، على حين فشل مجرد ثقل نيران المدفعية وما يعقبها من هجوم المشاة فى تحقيقه · ولكنهـــا (الدبابات) حققت ذلك بفضل الرشاشات التى تحملها ، وليس باستغلال خفـــة حركتها · ولقد كانت الدبابات الأولى تتحرك بسرعة المشاة وتقوم أساسا بدور المعاونة · وبعد ذلك بعشرين عاما ، برهن خبراء المدرعات النازيين فى موقعة « أراجون » ، فى أثناء الحرب الأهلية الاسبانية على أن الدبابات ـ اذا ما أحسن استخدامها وتمت معاونتها بالدرجة الكافية ـ قادرة على القيام بالعمليات خفيفة الحركة المستقلة لحسم المعركة ·

وبعد النجاح الخاطف الكبير الذى حققه جيش هتلر فى عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٠ بدأ التوسع فى استخدام كلمة الهجوم الخاطف بواســـطة رجال الصحافة والمعلقين العسكريين على السواء ، وذلك لكى يصـــوروا هجوما تشنه المدرعات المتفوقة تفوقا هائلا وتكتسح فيه دفاعات الحلفاء ، بفضل ثقل عددها وقوة نيرانها وحدهما · ولا يمكن أن يكون هناك شىء أبعد عن الحقيقة من هذا التصوير ؛ ذلك أننا نعرف الآن أن القوة المتحالفة فى أوروبا كانت فى مايو عام ١٩٤٠ تتمتع بالتفوق العددى ؛ سواء فى المشاة أم فى المدرعات · ولقد استطاع الألمان هزيمة تلك القوة باستخدام تكتيكات الحركة ، وليس بفضل الثقل .(التفوق) العددى · لقـد كانت خططهم التكتيكية تشتمل على اختراق مواقع العدو فى نقط مختارة قليلة ، يتلوه توغل باندفاع لتحقيق الاختراق العميق والتدمير النهائى لقـوات العدو الرئيسية · لقد تكشفت مبادىء هذه الفكرة عام ١٩١٨ ، ولـكنها استغرقت عشرين عاما قبل أن تتطور الى عقيدة تكتيكية ·

لقد اشتقت الفكرة الأساسية للهجوم الخاطف من المفهوم التكتيكى للتسلل · وكان أول من استخدم هذا التعبير ضابط فرنسى هو الكابتن « لافارج » فى أثناء الحرب العالمية الاولى · وكانت الخبرة التى اكتسبها من هجمات المشاة ضد المواقع الألمانية هى أنه حتى بعد ايقاف غلالة المدفعية فان واحدا أو اثنين من الرشاشات الموجودة فى حفرة جيدة يبقى سليما ، وأن قوة نيرانه كافية لكسر هجوم المشاة الذى يعقب الغلالة · وفى خلال الوقت الذى يكون قد أمكن فيه طلب نيران اضافية من المدفعية لاسكات هذه الجيوب المنعزلة ، يكون الدعم الألمانى قد وصل ، وبذلك تبدأ العملية كلها مرة أخرى من جديد · كانت وجهة نظر « لافارج » هى أنه بدلا من محاولة الهجوم على المواقع فى تشكيل خطى ، تقوم مجموعتان صغيرتان

أو ثلاث مجموعات من المشاة بأسلحتها الآلية الخفيفة بالتقدم على مسافة قليلة خلف نيران المدفعية (تجمعات نيران المدفعية) ، ثم تتحرك عبر الثغرات الناتجة عن الغلالة وتثبت نفسها داخل الموقع الألمانى وتشتبك مع جيوب المقاومة المنعزلة من الخلف • وقد يستطيع ذلك أن يوفر سترا كافيا يمكن قوة الهجوم الرئيسية من الاندفاع الى خنادق الألمان •

لقد قصر « لافارج » نظريته على تكتيكات المشاة على مستوى السرية أو الكتيبة ، ولكنها كانت تحتوى على نواة الفكرة يمكن تحويلها الى عمل على أى مستوى • ومع ذلك ، فان الكتيب الذى كتبه حول هذا الموضوع لاقى الاهمال من جانب الفرنسيين ، بل ولم يترجم مطلقا الى الانجليزية • ولكن الألمان الذين استولوا على نسخة منه أدركوا على الفور أهمية مافيه من آراء وقاموا بترجمته الى اللغة الألمانية وأصدروه كأحد كتب التعليم فى أثناء الحرب ، بل وكتب الجنرال « لوديندورف » كتابا حوله بعد أن جرب بنجاح استخدام عقيدة التسلل فى موقعة « شيمان دى دام » فى مايو عام ١٩١٨ •

كذلك لم ينس الألمان هذا الدرس عندما أعيد تنظيم الأركان العامة الالمانية فى الثلاثينات ، وبدأت تخطط لحروب هتلر • وبدلا من أن يجعلوا نظرية التسلل مقتصرة على مستوى الكتيبة واللواء ، جعلوها المبدأ الموجه للتكتيكات ، حتى على مستوى الفرقة والفيلق •

أما فى الدول الغربية ، فعلى الرغم من محاولات المصلحين أمثال ليدل هارت وفوللر لادخال الأفكار الديناميكية ، فقد استمرت العادة البالية والخاصة بالتقدم فى تشكيل خطى توجه التعليم التكتيكى • وكانت مناورات الجيش البريطانى حتى عام ١٩٤١ تدور طبقا لقالب نمطى للهجوم هو تحديد وثبات وأغراض محدودة ، والتوقف فى المراحل المتوسطة حتى تلحق تشكيلات الأجناب بالقوة الرئيسية ، ثم التقدم بحذر بعد تعزيز كل خط من خطوط الأغراض التى تم الاستيلاء عليها •

أما الألمان ، الذين كانوا أكثر تفتحا لنظريات المصلحين ، فقد تعلموا مبدأ « الهدف غير المحدود » • لقد كان الاستطلاع الاولى أو المخابرات تحدد أماكن الثغرات (أو نقاط الضعف) فى جبهة العدو ، سواء على مستوى الفرقة أم مجموعة الجيش • وبالرغم من أنهم كانوا يشنون هجومهم على جبهة واسعة لتثبيت القوات المدافعة ، الا أنهم كانوا يحشدون قوات ، أساسها المدرعات أمام هذه الثغرات ، وذلك للقيام

بعملية الاختراق فى مواجهة محدودة • وعندما يتحقق ذلك تقوم المشاة بضمان بقاء اجناب الثغرة مفتوحه ، على حين يقوم رتل اختراق مدرع ، ومعه الاسلحة المعاونة ، بالاندفاع بعمق نحو مؤخرة العدو لقطع خطوط امداده وارباك مراكز مواصلاته • ثم تقوم عناصر من المشاة الراكبة بالمتابعة مستغلة نجاح الاختراق لفرض الحسم بالقوة •

لقد تمكن النازيون من تجربة هذه النظرية فى الحرب الأهلية الاسبانية بالاتقان والكمال الألمانى المعهودين ، وأعدوا كافة التفاصيل اللازمة لوضع عقيدة تكتيكية فى نصوص دقيقة • لقد وجدوا أن اختراق مواجهة فرقة على اتساع من ألف الى ألفى ياردة يعتبر هو كل المطلوب عند كل نقطة • كما أن اختراقا أو اثنين من هذا النوع فى هجوم رئيسى يكفى لتحقيق الحسم • وكذلك تمت ، عمليا فى المعركة ، تجربة تجميع القوات اللازمة لكل مرحلة والتشكيل الذى تتخذه وسجلوها فى كتبهم التعليمية•

وسوف نرى أن نقطة الضعف الواضحة فى مثل هذا الاختراق هى أنه يعرض أجناب الأرتال المخترقة • ولكن الألمان كانوا يعتمدون على المفاجأة والسرعة فى خفض روح العدو المعنوية بدرجة لا يتمكن معها من شن هجوم مضاد منسق ، قبل أن تلحق الأرتال المعاونة من المشاة الراكبة برأس الحربة المدرع (١) •

والمشكلة الاخرى التى واجهت دعاةتكتيكات التسلل المعتمدة أساسا على الدبابات هى عدم كفاية المعاونة المباشرة بالنيران للقوات بعد الاختراق ، وكذا صعوبة احتلال الارض • ولم تكن المدفعية القديمة خفيفة الحركة بدرجة تمكنها من أن تتبع الاختراق السريع للدبابات ، ولم يكن من الممكن دفع المشاة بسرعة كافية لاحتلال الارض التى كسبتها الدبابات • وجاء الحل باستخدام الطائرة لتقديم المعاونة التكتيكية ، وخاصة القاذفات المنقضة • لقد قامت هذه الطائرات بدور المدفعية الطائرة ، وكانت قادرة على أن تساير أسرع تقدم للدبابات ، وكان هذا هو ما دعا اليه ليدل هارت فى انجلترا فى العشرينات منهذا القرن • وكان حل مشكلة المشاة مستمدا أيضا من آراء ليدل هارت بعد تعديلها • وهذا الحل هو نقل المشاة فى مركبات ميكانيكية ، وعلى الأخص العربات نصف جنزير المدرعة • وهكذا تمت « ميكنة » فرق كاملة من المشاة ، وبذلك أمكن لها

---

(١) أى الأرتال المدرعة التى سبقت واخترقت دفاعات العدو •

(المترجم)

أن تتقدم بأية سرعة تمليها الدبابات ، ثم تترجل للقيام بالأعمال المطلوبة على الارض ٠

وسوف نرى أن هذه التكيكات لم تكن سرا تحرص رئاسة الأركان العامة الألمانية على كتمانه ٠ فقد دعا ليدل هارت اليها فى بريطانيا قبل ذلك بعدة سنوات ، كما كتب فوللر سلسلة من المقالات والكتب حول هذا الموضوع ٠ وكانت توصياتهما ونظرياتهما متيسرة لكل من يرغب فى دراسة تكتيكات المدرعات ٠ لقد كان الألمان هم الذين اهتموا بهــــذه النظريات وأسرعوا فى تبنى ما فيها من أفكار ٠ أما فى بريطانيا فقد قوبل الذين ابتكروا هذه الأفكار بالنقد والمعارضة من جانب أصحاب السلطة فى الجيش ٠

وعند غزو الألمــان لأوروبا فى مايو ١٩٤٠ شــــنوا بالفعل هجومهم بعدد من الدبابات أقل مما كان لدى الحلفاء ٠ وكانت قوة الهجوم تتكون من ١٣٥ فرقة تضم ٣٥ كتيبة دبابات (٢٥٧٤ دبابة) دفعت الى قتال عدد اجمــالى من الدبابات بلــغ ٣٥٠٠ دبابة ٠ وكان الألمان يتفوقون فى الطائرات فقط ٠ ولــكن ، بينما كانت خطط الحلفاء مبنية على أساس مفهوم الخط الأحمر الرفيع الثابت(١) ، كان القادة الألمــان يهدفون الى القيــام بالتحرك وحشد القوات فى أماكن سبق اختيارها ٠ لقد كان ما يقرب من نصف دبابات الجيش الفرنسي موزعا فى مفارز صغيرة على طول « جبهته » لمعاونة الموقعة الثابتة ، وحتى النصف الآخر الذى كان يتكون من سبع فرق مدرعة فقد كان موزعا واستخدم على أجزاء ٠ ومن جهة أخرى ، فقد جمع الالمان فرق البانزر العشر فى ثلاثة فيالق بانزر ٠ وكانت هذه التشكيلات المدرعة المحتشدة هى رأس الحربة فى الهجوم على النقاط الثلاث المختارة وهى « دينان » ، و « مونثيم » و « ســـيدان » ، حيث كان المزج بين التخطيط الاستراتيجى والتحركات التكتيكية كافيا لتحقيق الاختراق فى كل نقطة من نقط الهجوم ٠

لقد أدى النجاح المثير لأساليب الهجوم الخاطف الألمــانى الى كشــف الضعف الكامن فى مفهوم الدفاع الخطى ، ذلك المفهوم الذى كان يعتمد

---

(١) ان تعبير الخط الأحمر الرفيع يعنى هنا ان الحلفاء فتحوا (نشروا) قواتهم على طول الجبهة او على جبهة عريضة ، وبالرغم من تفوقهم العددى على الالمان ، الا انهم لم يستغلوا هذا التفوق .. ان هذا التعبير كنــاية عن توضــيح فتح القــوات على الخريطة بخط أحمر رفيع ٠

(المترجم)

أكثر مما يجب على قدرة الدفاع على هـــزيمة هجوم العدو بقوة النـيران الدفاعية • لقد كان مبنيا على أساس الاعتقاد بأن الهجوم الالمانى سيكون من نفس النمط الذى كان عليه فى الحرب العالمية الأولى •••• أى الهجوم بسرعة تقدم المشاة على مواجهة واسعة ، وأن كل ما كان على القوات المدافعة أن تفعله هو صد الهجمات المتكررة ، حتى يتكبد العدو خسائر جسيمة بدرجة تجعل هجماته التالية مجدية •

وعندما استخدمت قوات البانزر تكنيكات خفة الحركة الجديدة بحشد ثلاث أو أربع فرق من البانزر على مواجهة محدودة اتساعها ميلان أو ثلاثة أميال ــ وهى درجة من التركيز تجعل الاختراق مؤكدا فعلا ــ لم يكن هناك (لدى الحلفاء) خطة تكتيكية تستطيع أن تتعامل بشـــكل كاف مع هـــذا الموقف •

وفى نظـام الدفاع الخطى ، ما ان تتمكن القوات المهاجمـة من تحقيق الاختراق حتى لا يجد هذا النظام أمامه بديلا سوى الارتداد على طول الخط الدفاعى كله للابقاء على استمرار اتصـــال الجبهة • وفى الأيام التى كان يبنى فيها التحرك التكتيكى فى ميدان القتال بدرجة كبيرة على أســـاس المشاة المترجلة ، كان الانســـحاب من خط الدفاع يعتبر عملية ممكنة التنفيذ ، نظر لأن مطاردة العدو للقوات المنسـحبة كانت بطيئة ومحدودة المجال ، حتى فى أحسن حالاتها • ولكن فى مواجهة الهجوم الخاطف كان الارتباك والاضطراب اللذان يعقبان مثل هذه العملية يحولان دون وجود أى فرصة كبيرة للنجاح ، وذلك كما ظهر بوضوح ، المرة تلو الأخرى ، فى أثناء الهجوم الألمـانى على فرنسا • وعلى أية حال ، فحتى لو أمـكن تحقيق الانسحاب بنجاح ، فهناك حد للمدى الذى تستطيع القوات المنسحبة أن تصل اليه • ولابد فى احدى مراحل القتال من توجيـــه ضربة مضادة للعدو ، لأنه بدون خطة تكتيكية للهجوم المضاد لا يمكن مطلقا دحر الهجوم• فهدف الدفاع ــ الذى لا يقل عن هدف الهجوم ــ يجب أن يكون هزيمة العدو ، وليس مجرد تكبيده الخسائر •

وكانت تكتيكات الدفاع الروسى فى أثناء الغزو الألمـانى عام ١٩٤١ هى التى أبرزت مفاهيم جديدة للحرب الدفاعية • فعنـدما تمـكن هجوم المدرعات الذى شنته مجموعات البانزر بقيادة « جورديان » و « هوت » ، و « رينهارت » من تحقيق اختراقات عميقة فى الأراضى الروسيـــة ، كانت « الأسافين » الألمـانية تمتد حول الجيوش الروسية المحاصرة لايقاعها فى فخاخ من الجيوب التى كونتها هذه الأسافين • ولـكن القوات الروسيـة

المحاصرة لم تتقهقر ، بل استخدمت هذه الجيوب كحصون واستمرت فى المقاومة حتى وهى منعزلة • ومن الصعب بعد مضى كل هذه السنوات أن نقول : ما اذا كانت تلك هى العقيدة الدفاعية للجيش الأحمر قبل الحرب أم لا • ولـكن الأساليب التى استخدمتها القوات الروسية فى الفترة من ١٩٤١ الى ١٩٤٣ قد قدمت عقيدة تكتيكية جديدة تماما فيما يختص بالحرب الدفاعية ، وهى نظام دفاع « المنطقة » أو « العنكبوت » الذى كان يتكون من سلسلة من النقط القوية أو المنـــاطق الدفاعية المنظمة بعمق لهزيمة الهجوم ، لا بمجرد المقاومة بالمواجهة والنيران ، وانما أيضا بالقيام بالمناورة التكتيكية من هذه الجيوب المحاصرة •

وفى هذا النظام الدفاعى ، افترضت القــوات المدافعة أن الضربات المدرعة المركزة التى توجهها القوات المهاجمة لابد أن تنجـــح فى تحقيق الاختراق • ولـكن العقيدة الجديدة نادت بأنه ينبغى بعد الاختراق التضييق على القوات المهاجمة وحصرها فى طرق سبق اختيارها • وتستمر المناطق الموجودة بين هذه « الأسافين » المدرعة فى المقاومة ، وشن غارات الازعاج ، والهجمات المضـــادة •• ليس فقـط لتقييد حركة جزء كبير من القوات المهاجمة ، وانما أيضا لمنع المدفعية والمشاة المعاونة من اللحاق برأس الحربة المدرع الرئيسى • وبعد ذلك ، تقوم قوات الاحتياطى الموجودة داخل جيوب المقاومة بشن سلسلة من الهجمات المضـــادة المنسقة على عنصرى الهجوم المنفصلين بهدف هزيمة القوات المهاجمة على أجزاء وذلك باستخدام مزيج من النيران والحركة •

لم يكن ذلك مجرد ابتعاد عن عقيدة الدفاع الخطى ، وانما كان أيضا دفاعا ديناميكيا معتمدا بدرجة كبيرة على المناورة وخفة الحركة ، على نقيض المفهوم السلبى القديم الذى كانت تتبعه الجيوش الغربية • ولقد كانت هذه العقيدة الجديدة هى التى قدمت رداً يمكن تحقيقه للنمط الخاطف من الهجوم وقد ثبتت صلاحيته فيما بعد فى ميادين القتال فى أفريقيا وأوروبا •

لم تكن الدروس التى استخلصها الحلفاء من أساليب الحرب الألمـانية هى الدروس الصحيحة دائما • وعلى ذلك فمن الجدير بالاهتمام دراســة التطورات التى أدخلها البريطانيون فى تكتيكات الدبابات على ضوء الحرب خفيفة الحركة للهجوم الخاطف • ان مثل هذه الدراسة تبين لنا كيف أن التفسير الخاطىء لأساليب المعـركة يؤدى بسـهولة الى استنباط عقـائد تكتيكية غير متوازنة •

كانت تكتيكات الاختراق الخاطف هى أن يـكون على رأس الهجوم

حشد مدرع ـ أحيانا بفرقة بانزر كاملة تتكون من ٢٤٠ دبابة تتحرك فى «تشكيل المعركة» ولكن تعاونه معاونة وثيقة تشكيلات ميكانيكية من المدفعية والمشاة . واستخدم البريطانيون ـ الذين تسيطر عليهم دائما فكرة ضرورة الاقتصاد فى قواتهم ـ هذه التكتيكات بما يناسب نظريتهم فى حرب المدرعات ... وهى نظرية معركة « دبابات ضد دبابات » مستخدمة تشكيلات مدرعة خفيفة وخفيفة الحركة(١) .

ولقد أدى ذلك بدوره الى سوء فهم مثير للدهشة ، وخاصة بين بعض قادة الفرسان السابقين من الفيلق المدرع الملكى (كشىء متميز عن فيلق الدبابات الملكى وضباطه الذين لم تعقهم قيود تقاليد الفرسان البالية) فأثناء بحث هؤلاء القادة عن دور مستقل ومسيطر للمدرعات ، قاموا بوضع نظرية مؤداها أن العامل الحاسم فى المعركة الجديدة سريعة الحركة هو « التفوق المدرع » (٢) فى منطقة العمليات ، وبذا ينبغى أن تصبح معركة « الدبابات ضد الدبابات » هى أساس وجود الفيلق المدرع . لقد تصوروا أن التشكيلات المدرعة الخفيفة ستقوم بأدوار مشابهة للدور الذى كانت تقوم به الأساطيل البحرية التى كانت تشتبك مع سفن العدو الحربية فى أعمال بحرية تقليدية لتحقيق حرية البحار . (وحتى الدبابة المصممة لتقوم بهذا الدور كانت تسمى الدبابة « الطراد » (٣) .

وطبقا لذلك ، فان العقيدة التكتيكية البريطانية خلال أعوام ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ كانت تنادى باستخدام القوات المدرعة الخفيفة فى تنفيذ مهام مستقلة خفيفة الحركة لكسب « التفوق المدرع » وذلك بالبحث عن مدرعات العدو وتدميرها . وتجلت عواقب هذا الوضع الخيالى بشكل واضح جدا فيما سببته أعمال الدبابات فى الصحراء الغربية من كوارث .

أما عقيدة المدرعات الألمانية فكانت تؤكد ـ فى الواقع ـ أمرا هو على النقيض من ذلك تماما ... ألا وهو استخدام المدرعات ضد القوات غير

---

(١) هناك فرق واضح بين كلمة خفيفة التى هى ترجمة كلمة light والتى تعنى خفة الوزن ، أما تعبير خفيفة الحركة الذى هو ترجمة لكلمة mobile فتعنى القدرة على سرعة الحركة وسرعة التجاوب مع تطورات المعركة .

(المترجم)

(٢) بمعنى التفوق فى القوات المدرعة .

(المترجم)

(٣) الطراد ترجمة لكلمة cruiser

(المترجم)

المدرعة ـ بل وضد أكثر هذه القوات ضعفا ـ وذلك لتحقيق اختراق سريع . أما مدرعات العدو فيتم التعامل معها بالعناصر المضادة للدبابات والقاذفات المنقضة ، وليس بالقوات المدرعة الألمانية التى كان واجبها الرئيسى دائما هو الاندفاع للأمام بأسرع ما يمكن ، والتسلل عبر النقط الضعيفة ، والتوجه نحو الأغراض الاستراتيجية . وفوق كل ذلك تمسك الألمان بالتعاون بين جميع الأسلحة ، لا بالاشتباك فى أعمال قتال منعزلة ـ على نمط الفرسان ـ على بعد مرحلة واحدة من ميدان القتال الرئيسى .

أما من جهة الحلفاء ، فقد وقع على عاتق « أوكينلك » ـ وهو جنرال من المشاة ـ اصلاح الموقف وتغيير دور المدرعات بالتدريج ، ليصبح التعاون بين جميع الأسلحة فى ميدان القتال الرئيسى ، بدلا من أعمال القتال المستقلة التى تقوم بها الدبابات .

الباب الثالث

أُسُس الاستراتيجية



الفصل الحادى عشر

● تطور الاستراتيجية عبر التاريخ

يشمل اصطلاح الاستراتيجية كما نستخدمه فى هذا البـــاب كافة المعانى التى يمكن بها تفســـير هذا الاصطلاح ··· أى الاستراتيجية الســـياسية ، والاســـتراتيجية العســـكرية ، و « التكتيكات العظمى » (أو « العمليات ») على حد تعبير نابليون ··· فرغم أن هذه الاصطلاحات المختلفة تعنى خطا استراتيجيا على مستويات مختلفة الا أن هناك بطبيعة الحال وحدة أساسية فى المفهوم العام · فالاستراتيجية اليوم ، فى أعلى مستوياتها ، هى مسئولية الحكومات · لذا يشار اليها على أنها « استراتيجية سياسية » · وعندما ينتقل هـــذا المفهـــوم الى قيادات أفرع القوات المسلحة ، فانه يسمى « استراتيجية عسكرية » ، على حين كانت اصطلاحات « التكتيكات العظمى » أو « العمليات » هى التعبيرات الشائعة فى عصر نابليون ، وكانت تعنى التفسيرات الجديدة للاســـتراتيجية والتكتيك كمـــا تصورها مجـــدد الأساليب العسكرية العظيم ·

تعرف الاستراتيجية ، فى معناها الكامل بأنها فن تعبئة وتوجيه موارد الأمة أو مجموعة من الأمم ـ بما فيهـــا القوات المسلحة ـ لدعم وحماية مصالحها من أعدائها الفعليين أو المحتملين · وانطلاقا من هذا المفهوم تأتى كافة الاستخدامات الأخرى لاصطلاح الاستراتيجية ·

وفى العصور القديمة ، عندما كان الملوك والاباطرة يجمعون بين أيديهم كل القوة السياسية والعسكرية ، كانت الاستراتيجية وقفا عليهم الى حد كبير · وكانت وظائفها الرئيسية هى تنظيم القـــوات المسلحة ، واتخاذ القرار فيما يتعلق بالعـــدو الذى ستخاض الحرب ضده ، وتوجيه الجيوش على طرق التقدم التى يرون أنها سوف تكسبها أكبر قدر من المميزات لخوض المعركة النهائية · كان هـــذا هو المفهوم أيام الاسكندر وقيصر ، وكذلك فى الشرق الى عهد قريب ·

ثم جاءت العصور المظلمة (١) فى أوروبا ، وهى أيام الفروسية والفرسان المدرعين ، عندما أصبحت الاعتبارات الاستراتيجية مقيدة تقييدا صارما ، فقد كانت فى الأغلب محدودة بالقوانين الاقطاعية والحماس الدينى • فعندما كان العاهل يقرر خوض المعركة ضد أعدائه ، فانه كان يقوم ببساطة بتشكيل جيش عن طريق فرض الخدمة العسكرية على فرسانه — الذين يدينون له بواجبهم فى مقابل الاقطاعيات التى أقطعها لهم سيدهم — ويتقدم الى الميدان على رأس أتباعه •

وفى هذه البيئة الاجتماعية — ذات الحروب الشخصية وقوانين الفروسية — وصل مفهوم الاستراتيجية الى أدنى مستوى له • وكان تخطيط الحرب لا يتم بغرض كسب أكبر ميزة ممكنة على العدو ، وانما كان يتم على أساس اتباع « قواعد اللعبة » • وكانت المواقع الحربية تتخلص عادة فى قتال بين أبطال فرديين ؛ وذلك عندما كان الملوك والقادة أنفسهم يقاتلون كجنود عاديين •

كان التطور الكبير الأول بعد عصر الاقطاع هو ظهور الاقتصاد النقدى ، وهو تطور حتم اجراء تغييرات فى نظام فرض الخدمة العسكرية• فحلت المرتبات النقدية محل العادة القديمة الخاصة بفرض الرسوم الاقطاعية • وأدى ذلك ، بمرور الوقت ، وبالتدريج الى تكوين جيوش نظامية ، صغيرة ، عالية التدريب ، وانضمام رجال من طبقات غير فئة الفرسان اليها •

وفى نهاية القرن الخامس عشر أدت هذه التغيرات الاجتماعية ، بالاضافة الى اختراع البارود ، وما تلا ذلك من تطور المدفعية ، الى ظهور اصلاحات بارزة فى تنظيم الجيوش وفى أساليب الحرب • ولكن التفكير الاستراتيجى لم يحقق ، مع ذلك ، أى تقدم ملحوظ • فاستمرت ادارة الحروب تتم كأعمال شخصية يقوم بها الملوك والأمراء ، وانحصر أثرها بدرجة كبيرة فى ميدان القتال • وكان الحكام المتخاصمون فى حالة حرب ، وقاتلت جيوشهم بعضها البعض ، ولكن نتائج الحرب لم تكن تمس ، فى واقع الأمر ، الدول المعنية والشعب عامة •

وتعتبر الحروب الصليبية مثالا جيدا لافتقار هذه الفترة الى

---

(١) من حوالى ٤٧٦ الى حوالى ١٠٠٠ ميلادية وتوسعا يمكن تسميتها القرون أو العصور الوسطى •

(المترجم)

الاستراتيجية · فبالرغم من أن معظم أوروبا كانت تساند الحملات فى الأرض المقدسة ، الا أن الجيوش التى قاتلت باسمها لم تكن تعكس أو تمثل قوة أوروبا · ولم تكن القوة الكامنة للدول المعنية هى التى قررت نتـــائج القتال بقـدر ما كانت تقررها الانتصارات العرضية فى ميدان القتال · وكانت ادارة الحـــرب لم تزل خلوا من المضامين السياسية والاجتماعية الرئيسية ·

وكان مكيافيللى هو أول مفكر سياسى عظيم يحاول انتزاع ادارة الحرب من مفاهيم عصره المجدبة · ففى مؤلفه الشـــهير « فن الحرب » فصل بشكل يدعو الى الاقتناع بين الحرب والمحرمات الدينية والأخلاقية وربطها بالعوامل الدســـتورية ، والاقتصـــادية ، والسياسية · وأدخل مفهوم اشراك كل الدولة فى خوض الحرب ، والاستمرار فيها حتى تحقيق الحسم السياسى لصالح الامة ككل (وليس فقط لرأس الدولة) ·

ولقد أثار عدة مسائل أخرى مرتبطة بالموضوع ووضع فى النهاية اطار لأول مبادىء رئيسية للاســـتراتيجية السياسية · واتسع ادراكه فشمل كل تعقيدات المشاكل العسكرية ، وبحث عن ارساء العـــلاقة الضرورية بين التفاصيل العسكرية والهدف العـــام من الحرب ، وكذا بين القوة العسكرية والتنظيم السياسى · ونظرا لأنه كان أسبق من عصره فى التفكير السياسى والبصيرة الاستراتيجية ، فقد كان مفهومه للسياسة هو أنها صراع من أجل البقاء بين الأنظمة النامية والراغبة فى التوسع ··· والتى كانت الحروب بينها أمرا طبيعيا وضروريا · ان الحرب يجب أن تخوضها الأمة كلها ، وفى مقابل ذلك يجب أن يكون الهدف من كسب الحرب لصالح الأمة ككل ·

وبسبب نظريته عن الأهمية الســـياسية للحـروب ، فقـد أكد مكيافيللى ضرورة التخطيط والاعداد للحرب بواسطة كل الأمة ، بحيث لا تتوقف نتائجها على فرد أو على نصر يأتى عرضا · ولقد أدت هذه النظريات الى اعادة التنظيم والى اصلاحات جذرية فى النظم والاجراءات القائمة : مثل ادخال التجنيد وارساء القوة العسكرية على أساس المشاة وكذا الحرب النفسية ، وتجديدات عديدة أخرى ·

وفى القرنين اللذين جاءا بعد مكيافيللى كانت التطورات الرئيسية فى أساليب الحرب هى الزيادة التدريجية فى حجم الجيوش ، وادخال مفهوم السيطرة المدنية على القوات المســـلحة ، وازدهـار الهندسة

والتكنولوجيا • ورغم أنه لم يكن هناك تقدم ملحوظ فى التفكير خلال تلك الفترة ، الا أن هذه التطورات قد خلقت الجو الملائم للقفزة الكبرى الى الأمام التى خطاها عصر نابليون •

ونستطيع أن نرى فى هذه العملية العـــلامات الأولى لتقسيم الاستراتيجية الى استراتيجية سياسية وأخرى عسكرية • وقد ازداد هذا المفهوم ثبـــوتا على يد « ريشيليو » الذى وضع أساس اصلاحات الادارة المدنية ، ووضع القوات المسلحة تحت السيطرة المدنية الحازمة•

وبعد ادخال الادارة المدنية ، واجه انعزال القوات المسلحة عن الأمة أو تحد له • فقد بدأ التقدم العلمى لهذه الفترة يتسرب الى الجيش • وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وجه عدد من أبرز علماء انجلترا ، وفرنســــا ، وايطاليا اهتمامهم الى الجوانب التكنولوجية للحــرب • ولم يؤد ذلك فقط الى تدفق الأسلحة الجديدة (البندقية القديمة (الموسـكيت) ، والبندقية ذات الزند المصـــون ، ومدفعية الحصار) ، وانما أدى أيضا الى ادخال التعالم الهندسية فى الجيش • وبفضل تأثير المهندسين العسكريين العظام أمثـــال « دىفوبان » ، و « كارنوت » ، و « روبرت هوك » تم ادخال أسلوب كامل من فن الحصار : التحصينات ، والخنادق ، وأعمال المهندسين • ومع ذلك فان هذه الأساليب قد أدت الى أن الوضع الدفاعى قد أصبح هو السائد فى الحرب • وهكذا رغم أن الحرب قد استفادت من تأثير العلم ، الا أن النتيجة المباشرة كانت هى أن استراتيجية الحصار البطيئة قد منعت نمو الأساليب الهجومية العدوانية خفيفة الحركة فى المعركة •

ومع ذلك ، فقد مهدت هذه الاصلاحات الجذرية الطريق أمام عصر التطور الاستراتيجى الكبير الذى جاء بعدها ـ أى فى الفترة من ١٧٤٠ الى ١٨١٥ ـ والذى بدأ بحروب فريدريك الأكبر امبراطور بروسيا ، وانتهى بهزيمة نابليون فى ووترلو • وقد شاهدت هذه الفترة اكتمال وتحسين الشكل القديم للحرب ، كما شاهدت كذلك ادخال نمط جديد لايزال باقيا فى شكله الأساسى حتى الوقت الحاضر • لقد حلت حروب الحركة محل حـــروب المواقع ، وحلت استراتيجية الحسم (النتيجة الحاسمة) محل المفهوم القديم للكسب الاقليمى المحدود •

الفصل الثانى عشر

• العصر النابليونى

فى القرن الثامن عشر وبعد استخدام البندقية وصليات النيران المميتة التى تطلقها الكتائب مستخدمة التكتيكات الخطية ، أى عندما أصبحت المواقع الحربية أشد فتكا بالأرواح البشرية ، مرت الاستراتيجية بمرحلة غريبة ••• مرحلة تجنب المعارك بدلا من البحث عنها • وأصبح الاسلوب المتبع هو ادارة الحروب بالقيام بالمناورات المشابهة لمناورات رقعة الشطرنج المحسوبة على أســـاس التهرب من ضرورة اشتباكات المواجهة الفعلية وأصبح القادة يفضلون حروب احتلال المواقع واحتـــلال الاراضى بالسير المتواصل دون انقطاع ، وبالسير المضاد••• أى تفضيل استراتيجية تبادل احتلال الاراضى على تحقيق الحسم (النتيجة الحاسمة) بالمعركة • مثال ذلك ، أن حروب فردريك الاكبر ، رغم أنها تعتبر عملا تكتيكيا ، الا أنها اتبعت أساسا استراتيجية مناورة رقعة الشطرنج هذه •

ويرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى أن الاقتصاد النقدى فى تلك المرحلة الانتقالية جعلهم ينظرون الى الجيش النظامى المحترف والذى يحقق مستوى عاليا فى التدريب العسكرى على أنه قوة اقتصادية ثمينة للدولة يتكلف استعواضه أموالا باهظة • لذا كان القادة ينفرون من أن يعرضوا جيوشهم للخسائر فى أثناء القتال ، وبدا لهم أن المناورة والتهديد أكثر منطقية من استنزاف القوات واستهلاكها فى معركة فعلية •

وكانت « الثورة الفرنســية » هى التى عملت على نمـــو وتطوير الامكانيات التى أدركها نابليون واستغلها • ونبدأ أولا «بلجنة الامن العام» التى أسسها الثـــوار فى باريس والتى أدخلت مبدأ التعبئة أو الخدمة العسكرية العامة ، وبذلك أطلقت العنان لاحدى القوى الرئيسية التى أثرت على النظام العســـــكرى الجديد على يد نابليون وبدلا من الجيوش المحترفة ذات المستوى التدريبى العالى والخاصة بالعصر السابق ، تكونت جيوش شعبية فى فرنسا الثورية ، وأصبحت قوة ضخمة يتوفر لديهـا

احتياطى بشرى هائل . وعندئذ أمكن خوض المواقع الحربية حتى نهايتها القصوى مهما كانت أليمة ، وذلك بواسطة حشد لا ينفد من الجنود الذين يمكن استهلاكهم . واستطاع نابليون ، نتيجة لذلك ، أن ينفذ استراتيجية الحسم (١) ، وهى الاستراتيجية التى استطاع بهـــا أن يوطد التفوق العسكرى الفرنسى . وانطلاقا من هذا المفهوم الأساسى تدفقت التجديدات الاخرى التى أدخلها نابليون .

وكذلك ، فقد كشف نشوء نظام الفرق - أى تشكيل وحدات ثابتة منظمة تحت قيادة مستقلة وقادرة على القتال المســتقل - عن امكانيات استراتيجية وتكتيكية جديدة ، كما أدى التطور الذى طرأ على الطرق ونظم النقل الى زيادة قوة المناورة والى خلق مفاهيم جديدة مثل « خطــوط العمليات » و « الخطــوط الداخلية والخارجيـــة » ، وبينما وجد أعداء نابليون الذين كانوا ينفذون عملياتهم بحشود ضخمة وثقيلة من القوات تحت قيادة مركزية - أنه من الصعب القيام بالمناورة التكتيكية - استطاع نابليون أن ينفذ خطة المعركة بمرونة وحرية أكبر ، وذلك بفضل الفرق المنفصلة التى كانت تعمل كوحدات منتشرة وقادرة على المناورة الذاتية . لقد كان نابليون قادرا على أن يقسم عملية تنفيذ الموقعة الحربية الى مرحلتين متميزتين : الاولى هى المناورة قبل الاشتباك (أو « العمليات » كما كان يحب أن يسميها) . والمرحلة الثانية هى الموقعة الحربية نفسها . وكان فى المرحلة الاولى يعمل على كسب الميزة فى مواقع قواته ، وذلك بالقيام بسلسلة متوالية من تحركات الفرق وعمليات الالتفاق وحصار العـــدو بفضل خفة الحركة المتفوقة (كما حــدث فى « أولم ») ، أو بقطع خط مواصلات العدو (كما حدث فى « يينا ») . وفى النهاية عندما يصبح العدو فى موقف ليس فى صالحه يقوم بتنفيذ المرحلة الثانية .. أى يطبق على العدو فى تشكيل الاقتحام .

ولقد قام اثنان من المفكرين العسكريين الكبـــار فى ذلك العصر - « جومينى » و « كلاوزفتز » - بتسجيل وتحليل تجديدات نابليــون الاستراتيجية والتكنيكية وأصبحت مؤلفات جومينى هى المرجع العسكرى المثالى فى أوروبا لأكثر من قرن . ولم يكن جومينى - على خلاف كلاوزفتز - مهتما بالاعتبارات الفلسفية للحرب ، ولكنه اقتصر فى كتاباته على مناقشة

---

(١) ان الحسم العسكرى بمعناه الحرفى هو نتيجة الموقعة الحربية الناجحة .
(المترجم)

الجوانب الميكانيكية للاستراتيجية ، والنتائج العملية للحرب · وكان هو مفسر استراتيجية نابليون العسكرية على حين ركز كلاوزفتز على التأثير السياسى الهائل لاستراتجية نابليون الخاصة بتحقيق الحسم عن طريق ابادة العدو ·

كان هـــدف جومينى هو بلورة الافتراضات ، والأقوال المأثورة ، والاعتقادات التى يحيط بها الغموض ووضعها فى شكل منظم محدد · وقد وضع المبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية كالآتى :

« بواسطة التدابير الاستراتيجية يتم حشد الجزء الأكبر من القوات المسلحة بشكل متوال للسيطرة والتأثير على المناطق الحاسمة من مسرح الحرب ، وكذا على خطوط مواصلات العدو بقـــدر الامكان ، دون تعريض خطوطنا للخطر » · « القيام بالمناورة بحيث تشتبك قواتنا الرئيسية مع أجزاء فقط من قوات العدو » ·

« وعلاوة على ذلك ،فأثناء الموقعة الحربية يتم ــ بواسطة المنـــاورة التكتيكية ــ حشد قواتنا الرئيسية للتأثير على المنطقة الحاسمة من ميدان القتال أو على جزء من خطوط العدو يكون من المهم ارباكه » ·

« ويجب وضع الترتيبات بحيث لا يتم حشد هذه الحشود من الرجال فى المكان الحاسم فقط ، بل أيضا لكى تقوم بعملها بسرعة وبشكل جماعى ، حتى تتمكن من القيام بجهودها فى وقت واحد » ·

وقد أضاف جومينى الى هذه المبادىء العامة بعض الأساليب المحددة سماها «خط العمليات» و «الخطوط الداخلية» و «المبادأة الاستراتيجية» ·

لقد عرف خط العمليات بأنه ذلك الجزء من نطاق الحملة العسكرية الذى يختاره القائد لتنفيذ تحركاته ، سواء كان طريقا مفردا أم شبكة من طرق المواصلات · وأعطى أمثلة لذلك من حملات فريدريك ليبين أنه حتى عندما يتخذ الجيش خطا مزدوجا للعمليات فمن الممكن تجنب الأخطار الكامنة فى تجزئة هذه القوة ، وذلك بالاحتفاظ بقيادة موحـــدة لكلا الخطين ، والسرعة فى توحيد العنصرين قبل أى معركة رئيسية · ثم أضاف وأوصى بأن أفضل استخدام لاستراتيجية الخط المزدوج يكون عنـــدما يتمتع الجيش بميزة « الخطوط الداخلية » ، أو عندما يتمتع بتفوق عددى مذهل على قوات العدو · وكان جومينى يؤكد تأكيدا كبيرا فى كل مؤلفاته على أهمية التفوق فى « الخطوط الداخلية » ·

وأخيرا يؤكد جوميني أن هذه المناورات الاستراتيجية ستظل الى حد كبير غير مجدية ، اذا ما أعطت العدو فرصة دراسة نقطة الهجوم ٠ لذا فهو يبرز أهمية الاحتفاظ الدائم « بالمبادأة الاستراتيجية » التى يعرفها بأنها مزيج من المخابرات (اكتشاف نقط العدو الضعيفة واخفاء نقط ضعفنا » ، والحشد (بالاستخدام الصحيح لخطوط العمليات) ، والمطاردة (بعد معركة منتصرة) ٠

لقد استطاع جوميني أن يفسر أساليب نابليون بلغة المفاهيم الميكانيكية للاستراتيجية والتكتيك ، ولكن غاب عنه التحليل الذهنى وديناميكية هذا النوع الجويد من الحرب ٠ وللحصول عليهما علينا أن نتجه الى كلاوزفتز الذى أصبح مؤلفه العظيم « عن الحرب » عرضا كاملا ومحددا لكافة جوانب العلاقة بين السياسة القومية واستراتيجية الحرب ٠ وقد غطى فى هذا العمل كل ما يفيض به من موضوعات مثل « طبيعة الحرب » ، و « نظرية الحرب » ، و « الاستراتيجية ، والتكتيك ، والهجوم ، والدفاع ، وتنظيم القوات » ، وأخيرا « خطة الحرب » ٠ ومن سوء حظ القراء العسكريين أنه عرض أعماله مستخدما أسلوب الحوار الشائع عند بعض الفلاسفة أمثال « كانت » و « هيجل » اللذين قام بدراستهما باحترام وفير ٠ وبناء على ذلك كان من الصعب فهم أعمال كلاوزفتز التى كانت معرضة لسوء التفسير ، والتى غالبا ما كان يساء اقتباسها ٠ وفى الواقع ، لولا «فون مولتكة» الأكبر الذى كان يعمل فى الاركان العامة الكبرى لمدة ستين عاما ، قضى منها ثلاثين عاما كرئيس لها) ، والذى استهوته نظريات كلاوزفتز ـ لتظل الأخير رجل نظريات مغمورا لا يعرف قيمته أحد ٠

لقد أدرك كلاوزفتز ، من خلال دراسته لحروب الثورة الفرنسية ودراسته لنابليون ، ظهور استراتيجية الحسم (تحقيق النتيجة الحاسمة) ، وهى استراتيجية لم تتضمن فقط المطالب الاقليمية ومطالب الأسر الحاكمة ، بل تضمنت كذلك الوجود ذاته للأمم والمجتمعات المعنية ٠ انه « بذل الجهد لأقصى حد » الذى تنبأ به سوف يميز كل الحروب منذ ذلك الوقت فصاعدا ٠ لقد رفض أيةقوانين أو معاملة دمثة تتضمن « مبدأ الاعتدال » باعتبارهما أوهاما ٠ فالحروب فى تعريفه هى « عمل من أعمال العنف يهدف الى ارغام خصمنا على الرضوخ لارادتنا » ٠ وبما أنه من المفروض أن يكون لكل من الجانبين نفس الهدف فان الحرب « هى عمل من أعمال العنف يدفع به الى أقصى حد له » يجب دائما أن ينتهى بابادة العدو أو بالاطاحة به ٠ هذا هو ما سماه « الحرب المطلقة » أو « الحرب المثالية »

كنقيض « للحرب الشـــاملة » بالمعنى المكيافيللى التى كانت تعنى فقط الشمول فى تعبئة الموارد ٠

ويجب أن ندرك أن كلاوفتز عندما يتحدث عن «الحرب المثالية» فان ذلك لا يعنى أنه كان بالضرورة متعطشا للدماء أو قاسيا فى تفسيره ، ولكنه كان يستخدم الكلمات بمعناها الفلسفى ، ليعنى أن هذا العمل العنيف الذى ينتهى الى نتيجة منطقية ـ أى اخضاع ارادة العدو تماما ـ هو فقط الذى يمكن أن يعطى صورة كاملة « لفكرة » الحرب ٠ انه يعترف فعلا بوجود أعمال مثل التى نسميها فى اصطلاحاتنا الحديثة بالحروب « المحدودة » أو « القصيرة » والتى تتوقف على الظروف العسكرية أو الســـياسية الخاصة بل انه ضمن دراساته فضلا عن حرب العصابات ولكنه أشار اليها باعتبـــارها عراكا وليست حربا بمعناها المطلق ٠ ان القتـــال لا يعنى بالضرورة الحرب وانمـــا حســـمية النتيجة هى التى تـــحول المعركة أو سلسلة المواقع الحربية الى « حرب » ٠ ويجب أن تـــكون نظرتنا الى تفرقته بين التكتيك والاستراتيجية داخل هذا المحتوى ٠ « فالتكتيك هو استخدام القوات العسكرية فى المعركة ٠٠ » (أى أن التكتيك ينطبق على «العراك» كما ينطبق على «الحرب» ، ولكنه ربما لا يكون فى حد ذاته حاسما) ، بينما « الاستراتيجية هى نظرية استخدام المعارك من أجـــل تحقيق هدف الحرب » ، وهى التى تعمل على تحقيق الحسم النهائى ٠

لقد سيطرت نظرية كلاوزفتز عن الحرب المطلقة والهجوم الحاسم على تفكير الأجيال التالية ، واكتسبت قوة دافعة أكبر من جراء الانتصارات السهلة التى حققها البروسيون على النمسا وفرنسا فى العقد الاول من القرن الثامن عشر وفى سبعيناته ٠ وحتى فى القرن العشرين فقد استمر الزعماء من الجانبين خلال حربين عالميتين مؤمنين تماما بمفهوم كلاوفتز الخاص بالوسائل المطلقة والأهداف القصوى ، مهملين كلية تحليله الذى تعمق فيه عن العلاقة بين السياسة والاستراتيجية ، وهو تحليل يعادل فى ذكائه مفاهيمه الاخرى ، بل ويفوقها حذقا ودهاء ، والذى ناقش فيه ، لأول مرة فى تاريخ الاستراتيجية ، احتمالات « الحرب المحدودة » ذات الأهداف المحدودة ٠

لقد كتب كلاوزفتز مؤلفه الشهير قبل العصر الصناعى والانتاج الضخم للأسلحة الفتاكة بفترة طويلة ٠ ولم يكن فى مقدوره بالتأكيد أن يتنبأ بظهور القوة النووية والأســـلحة المطلقة الحالية ٠ وحتى مع

ذلك ، فقد قادته أساليبه الجدلية الى تصور تقييد استخدام القوة فى بعض المواقف العسكرية ٠ وفى الواقع فانه يمكن الادعاء بأن مفهومه عن الحرب المطلقة كان بالفعل شكلا مجردا من أشكال الحرب ٠٠ أى شكلا نظريا يجب قياس واختيار الحرب الفعلية بمقتضاه ٠ وقد نسيت الأجيال التالية وأساءت تفسير ، وربما لم تفهم مطلقا ـ عرضه للعلاقة بين الوسائل العسكرية والغايات السياسية ٠ وربما كان هذا القول متسرعا ، لأن المغزى الكامل لهذه العلاقة لم يتكشف الا بظهور الأسلحة النووية ٠ وانها لسخرية من سخريات التاريخ أنه حتى فى الأزمنة الأخيرة عندما أصبحت الحروب مدمرة أكثر فأكثر ، فقد ظلت المفاهيم شبه الكلاوزفتزية الخاصة بالحسم (النتيجة الحاسمة) ، وليس تحليله للسياسة والاستراتيجية هى التى توجه مصير الأمم ٠

الفصل الثالث عشر

● الحرب العالمية الأولى

كان لنظريات كلاوزفتز · الاســــتراتيجية نفوذ كبير على القادة العسكريين البروســيين خلال القرن التاسـع عشر · وقد قام كل من « تشارنهورست » (Scharnhorst) ، وفون مولتكه باصلاحات تضمن خلق جهاز عسكرى ملائم يســتطيع أن يتمشى مع متطلبات استراتيجية الحسم الجديدة · فأعيد تنظيم جهاز القيادة العليا وكذا الأركان العامة ، ووضعت سياسة للتجنيد أكثر تطرفا ، حتى من سياسة الفرنسيين · وبحلول عام ١٨٦٠ برز الجيش البروسى كأقوى قوة فى أوروبا ، وكان نتاجا لنابليون ومفسريه العسكريين بقدر ما كان نتـاجا لتشارنهورست وفون مولتكه ·

كيف حدث اذن فى خــلال نصــف قرن بعد « ســادوا » ، وسيدان أن تورط هؤلاء الذين ورثوا هذه التعاليم فى حرب هائلة من التدمير الثابت غير الحاسم ، خالية من التوجيه والتخطيط الاستراتيجيين؟ ان دراسة الحرب لم تبلغ مطلقا مثل هذه الدرجة من السمو كالتى بلغتها خلال القرن الذى ســبق الحرب العالمية الأولى ، ونادرا ما كان تطبيقها يظهر مثــل هــذا الجدب فى التوجيــه كالذى أظهره خلال الفترة من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ ·

وبالرغم من صعوبة الوصول الى تفسير مرض تماما لهذا الانحلال الاستراتيجى الفرنسى والألمانى معا ، فلربما أمكن القاء بعض الضوء على هــذه العملية ، وذلك بالربط بين التأثيرات الثلاثة الرئيســية التى وجهت الأمور العســكرية فى أوروبا خلال العقـود الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين · ففى الجانب الألمانى نجد العسكرية المتطرفة للدولة البروسية ، وفى الجانب الفرنسى نجد التفكير المشوش والعقائد الجامدة لكل من « دى بيك » ، و «فوش» ، وأخيرا الغموض العام فى التفكير الاستراتيجى الذى جاء بسبب ما سماه البروفسور « كوينسى رايت » فى كتابه الكلاسيكى « دراسة الحرب »

بتعبير « ديكتاتورية الحرب » (١) وهو تعبير مربك ، ولكنه تصويرى ويعنى النزعة المفاجئة والمحددة تجاه التوسع فى ميكنة الحرب ، وتجاه التزايد فى حجم الجيوش ، وتجاه عسكرة الشعب وتأميم المجهود الحربى وتجاه تكثيف (زيادة حدة) العمليات العسكرية والشئون الادارية ٠

لقد أحبطت بالتدريج تطلعات المصلحين الأوائل فى ألمانيا نحو خلق جيش الشعب ، واخضاع الوسائل العسكرية للغايات السياسية طبقا لنظريات كلاوزفتز ، وذلك بسبب ظهور البيروقراطية العسكرية الرجعية ، وهى عسكرية طبقية على نمط الاقطاع الجديد ، والتى وضعت ولاءها الأعمى للحاكم وللمزايا المهنية الخاصة التى تتمتع بها فوق الاعتبارات السياسية والاستراتيجية ٠ ومع نهاية ذلك القرن كانت الطبقة العسكرية المتميزة ـ جنرالات مجلس الحرب ـ تتمتع بقوة أكبر كثيرا من الحكومة المدنية ، بل وكانت لها الأسبقية عليها ٠ وفى تلك الظروف أصبح الجهاز الذى يمارس الاستراتيجية العسكرية منعزلا أكثر فأكثر عن الاقتصاد والمصالح القومية ، انتهىء النظام الى ديكتاتورية عسكرية حقة عندما عين القيصر كلا من «فون هندنبرج» و «لودندورف» محل « فون فالكنهاين » وزير الحربية ٠

كانت النتيجة الحتمية لذلك هى أن قادة الحرب البروسيين عام ١٩١٤ كانوا يمارسون الاستراتيجية العسكرية مولين اهتماما ضئيلا لامكانيات العصر الصناعى ٠ وانعكست القيود التكنولوجية لعسكرية ما قبل الحرب على ألمانيا فى اهمال السلاح الجوى حديث التطور ، وعلى اهمال تطوير المواصلات والهندسة ، وكذا على اهمال التعبئة الاقتصادية العالية التى تطلبتها ضخامة الحرب الكبرى ٠ ونظرا لأن الأركان العامة الألمانية لم تكن قادرة على التنبؤ أو التمشى مع متطلبات حرب طويلة على نطاق واسع ، فقد وضعت كل ثقتها فى هجوم قصير وحاد ، كما تصورته خطة شليفن ٠ وعندما فشلت تلك المحاولة وانحدرت الحملة الى مستوى المواجهة العسكرية الثابتة بحشد من القوات والأسلحة المنتشرة على مئات الأميال من خطوط الخنادق ، لم يبد أن هناك مشاركة هامة سوف تبذل لاصلاح الموقف بواسطة التخطيط لحرب المناورة والحسم ٠

---

(١) ان كلمة ديكتاتورية هى ترجمة أمينة لكلمة Totalitarianisation التى استخدمها المؤلف ، وقد يمكن استخدام كلمة شموليه مجازا بدلا منها ٠
(المترجم)

وفى فرنسا كانت عقائد الكولونيل « اردان دى بيك » هى التى توجه ، بصفة أساسية ، الأوضاع العسكرية فى منعطف ذلك القرن • لقد ادعى دى بيك ، مقيما حججه على أســاس المعلومات المتيسرة من معارك التاريخ ، أنه قد برهن على أن الصدمة ـ أى التدمير المادى الذى يحدثه الرجال والأسلحة فى أثناء المعركة ـ ليست هى العامل الحاسم فى تحقيق النصر ، بل هو ارادة القتال لدى المقاتلين • فالجانب الذى يتحطم تماسكه المعنوى قبل الآخر هو الذى يتكبد خسائر أكبر ويخسر الموقعة • ولذا فالنتيجة ، كما يدعى دى بيك ، تتقرر بالفعل حتى قبل بدء الموقعة. وهذا وحده يمكن أن يفسر السبب فى هزيمة الجيش الأكبر عددا أو الأفضل عدة أو الجيوش المتخندقة خلف تحصينات رهيبة بواسطة قوات أضعف منها من الناحية المادية •

وكان دى بيك مستغرقا فى تطوير هذا الخط النفسى فى ابداء حججه لدرجة أنه كان على وشك أن يستنتج أن الحرب لن تكون أكثر هلاكا بازدياد حجم قوة النيران ، حيث ان الجنود المدربين يستطيعون التمشى مع هذه التطورات ـ مثل زيادة مدى الأسلحة أو زيادة معدلات النيران ـ وذلك بزيادة مهارتهم فى استخدام الأرض ، واستخدام تشكيلات أكثر فتحا (انتشارا) ، وكذا باظهار الروح الهجومية • لقد قال : ان النتيجة لا تتوقف بالضرورة على الأسلحة بقدر ما تتوقف على تصرفات المقاتلين •

لقد اعتنق فرديناند فوش هذه التعميمات المضللة ، وكان وقتها برتبة ليفتنانت كولونيل (مقدم) ويعمل فى مدرسة الحرب بباريس ، كما كان رائدا معترفا به فى الدوائر العسكرية الفرنسية • لقد أيد فوش ما قبله بيك بعدم تبصر من تفوق الهجوم بكل أشكاله ، تكتيكية كانت أم استراتيجية ، ونبذ أهمية التخطيط الاستراتيجى أو المناورة الاستراتيجية ، اذ كتب يقول : « ان أحدا لا يستطيع ان يجبر العدو على الانسحاب بالعمل فى اتجاه تم اختياره مقدما بطريقة علمية » • بل وجادل قائلا : « ان الاقتراب المبدئى يجب أن يكون بسيطا ومباشرا ـ هجوما أماميا ـ وتأتى العمليات التالية بناء على النتيجة التى يحققها هذا الصدام المبدئى » • ومع مرور الوقت تطورت هذه النظرية الى الاعجاب الى حد العبادة بعقيدة الهجوم حتى نهايته القصوى •• أى الهجوم الأمامى بأقصى عنف باعتباره العمل الضرورى الأول للحرب • وكانت هذه هى النظرية الاستراتيجية التى رسمت على أساسها الخطة الفرنسية التى لا تصدق

لحملة ١٩١٤ ـ الخطة ١٧ المخزية ـ والتى تصورت هجوما أماميا فى اتجاه الشرق يقوم به الجيش الميدانى الفرنسى كله ضد الغزو الألمانى الضخم • كان هذا فى القيم الاستراتيجية الذى تأصل فى الأركان العامة الفرنسية عام ١٩١٤ هو السبب الرئيسى فى الهجمات الأمامية المتكررة التى لا معنى لها عبر خطوط الخنادق المتصلة ، والتى ظلت لأربع سنوات تؤخذ فى الجبهة الغربية على أنها استراتيجية •

واخيرا ، فان « ديكتاتورية الحرب » التى أدت اليها الثورة الصناعية قد أسهمت فى خلق الظروف التى أصبح من الممكن معها للجيوش الكبيرة أن تشتبك مع بعضها البعض فى حرب طويلة تتميز بانعدام المناورة ، وبتجميد المواقف ، وبتصاعد أرقام الخسائر بصفة مستمرة •

لقد رأينا فى بروسيا أن فشل الطبقة العسكرية المتميزة فى استيعاب أهمية العصر الميكانيكى الجديد هو الذى تسبب فى الجمود الاستراتيجى • ومن جانب الحلفاء كانت الأسباب أقل وضوحا من ذلك ، ولكنها لم تكن تقل فى عواقبها •

اما فى الدول الديمقراطية ، فقد تغير النظام القديم الذى كانت الحروب فيه أمرا يخص الجنرالات والأدميرالات أساسا ، وحل محله النظام الجديد الذى انتقلت فيه المسئولية الى زعماء الحكومة المدنيين • ولم يتم هذا الانتقال نتيجة لعملية التطور السياسى فقط ، بل لأن الحروب الحديثة بجيوشها الضخمة وشئونها الادارية الهائلة قد جعلت تعبئة الموارد القومية فى نفس درجة أهمية الاستراتيجية العسكرية ، كما أن لها تأثيرا مباشرا عليها • لقد أصبح من الضرورى لادارة مثل هذه الحروب أن يتولى رجال السياسة السلطات الفنية والمهنية ويوجهونها ، ذلك لأن هؤلاء الرجال هم وحدهم الذين لديهم المعرفة التى تمكنهم من فهم القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية الفعالة ، ولديهم فى نفس الوقت القدرة على تركيزها لتحقيق غاية واحدة •

كانت تلك هى ، على الأقل ، النظرية التى تشكلت خلال فترة طويلة من السلام ، ولكنها عند التطبيق نفذت بطريقة مختلفة نوعا • فقد أدى عدم الاهتمام الذى كان القادة المدنيون يبدونه عادة بالشئون العسكرية الى اضعاف استعدادهم ـ عندما جاءت الحرب فى النهاية ـ للقيام بالدور الاستراتيجى المتزايد فى ايجابيته ، والذى حتمه التقدم

التكنولوجى والصناعى . وفى نفس الوقت ، فان النظام العسكرى للدول الديمقراطية ـ وخاصة بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ـ قد وجد نفسه فجأة غير جدير بهذا العمل . وبقبول أركان حرب الدول الديمقراطية انتقال المسئولية تدريجيا من على كاهلهم ، فانهم بذلك قد فشلوا فى الارتقاء بأسلوبهم المهنى مثلما فعل الألمان . ولم يكن لدى بريطانيا أو أمريكا هيئة محترفة يمكن مقارنتها بالأركان العامة البروسية ، وكانت النتيجة التى أسفر عنها ذلك هى أن كلا من القيادة السياسية والقيادة العسكرية وجدت نفسها غير كفء لتقييم وتوجيه امكانيات الشكل الجديد للحرب .

لقد أدى مزيج من هذه المؤثرات الى ايجاد ضعف وذبول فى التفكير الاستراتيجى ، مما أدى الى نشوب حرب تشن فيها هجمات ضخمة انتحارية لا غرض منها ... حرب ماتكاد تبدأ حتى لا يبدو أن هناك أحدا يعرف كيف يوقفها أو يتمتع بالقدرة على ذلك . وتحت تأثير فوش قام الفرنسيون ـ حتى مواقعهم الدفاعية ـ بشن سلسلة من الهجمات العنيفة مثلما حدث فى « فردان » وتكبدوا فيها خسائر أكبر كثيرا مما تكبده الألمان . وفى الهجمات الأمامية الكبيرة عام ١٩١٥ التى شنها « جوفر » بدون توقف ضد الالمان العنيدين بلغت الخسائر الفرنسية أكثر من مليون وربع مليون جندى على حين تكبد الالمان ثلث هذا العدد من الخسائر . وقد حدث نفس الشىء فى الجبهة البريطانية ـ فى « السوم » ، و « آراس » ، و « باسشينديل » .

ولقد كان رجال السياسة عاجزين عن ايقاف هذه الهجمات المروعة التى لا معنى لها ، كما كانوا عاجزين عن ربط مدى العمليات بالأهداف السياسية المتواضعة نسبيا لكلا الجانبين . وفى ألمانيا كان هذا النظام نفسه هو الذى وضع العسكريين فوق سيطرة الحكومة المدنية . ولكن رجال السياسة فى الدول الديمقراطية كانوا يشعرون بأنهم غير قادرين على فرض ارادتهم على العسكريين . لقد قيدهم جهلهم بالمبادىء الاستراتيجية والشئون العسكرية مما كان يبدو معه أنهم يتخلون عن مسئوليتهم لقيادة عسكرية بارزة وقوية ، الا أن هذه القيادة كانت ، فى التقدير النهائى لها ، لا تتمتع بالكفاءة . ولم يكن هناك سوى رجل دولة واحد فقط فى معسكر الحلفاء اظهر استيعابه للمشاكل الاستراتيجية ، الا أن التأثير الكامل لبراعته هذه لم يكن ملموسا الا عندما بدأت حرب أخرى بعد ذلك بخمسة وعشرين عاما .

الفصل الرابع عشر

● الاستراتيجية فى الحرب العالمية الثانية

تميزت الفترة بين الحربين ، أى العشرينات والثلاثينات ، بأوضاع استراتيجية متناقضة تناقضا حـــادا بين الدول الديمقراطية والدول الديكتاتورية . ففى أحد المعسكرين نجد الركود العسكرى والعقلية الدفاعية الجامدة وانخفاض الروح المعنوية ، وفى المعســـكر الآخر نجد النظرة الاستراتيجية الايجابية النشطة التى تمتزج بالبناء الهادف للقوات المسلحة .

كانت فرنسا تعتبر فى السنوات التى سبقت الحرب العـــالمية الثانية القوة العسكرية الرئيسية بين الدول الديمقراطية ، ولذلك فقد لعبت دورا حاســـما فى رسم الاستراتيجية المشـــتركة . الا أن القوة العددية لجيشها هى التى وضعت فرنســـا فى هذا الموقع الرئيسى . أما فيما يتعلق بالشئون الداخلية فقد كانت الأمور داخل الجيش فى حالة سيئة للغاية . ففى خلال نصف القرن السابق للحرب العالمية الثانية تدهورت كفاءتها وقدراتها القتالية بصفة مستمرة بسبب التآكل والتناحر الســـياسى ، وكل مايتضمنه هذا من تطبيق على القوات المسلحة .

لقد كانت المحاولات الدائبة لرجال السياسة الفرنســـيين لتحويل الجيش الفرنسى القديم الى قوات ميلشيا كبيرة (١) ، مع الابقــاء على كادر

---

(١) الميليشيا :

لفظ اصطلاحى يطلق على الجيش الاحتياطى ، وهى قوات عسكرية مدربة تدريبا محدودا لا تمثل وحدة من وحدات الجيش العامل ، ولكنها تلحق بقيادته لأعمال الدفاع الاقليمى ، ولا تستدعى الا فى حالة الطلب ؛ وتعمل عادة فى المناطق التى تم تجنيـدها وتدريبها فيها لهذا تعتبر ذات صفة محلية ، وتبرز اهميتها فى الظروف التى تستدعى وجود الجيش العامل بعيدا عن حدود الوطن .

يقابل الميليشيا فى النظام المصرى قوات الرديف وكانت قائمة ابان الحرب =

صغير فقط من العسكريين المحترفين ذوى الخدمة الطويلة هى ـ فى المقام الاول ـ السبب الأساسى فى الانهيار التدريجي للروح المعنوية للقوات المسلحة • وأصبحت هذه المحاولات مجالا للدسائس بين « الاشتراكيين » و « المحافظين » ، وكان لابد من أن تتسرب هذه الدسائس الى صفوف الجيش نفسه • ان هذه الأحوال السيئة ، بالاضافة الى قضية « دريفوس » (١) وذكرى حالات التمرد التى اتسع نطاقها عامى ١٩١٦ ـ ١٩١٧ كل ذلك كان له تأثيره غير المرغوب فيه على تقسيم القوات المسلحة الى معسكرين سياسيين متميزين ، خاصة بعد أن لاقى مفهوم « الميلشيا » النجاح ، وانتهى بالفعل وجود الجيش النظامى الفرنسى •

ان الاستراتيجية المبنية على قوات الميلشيا أساسا لابد أن تؤدى فى النهاية الى وضع دفاعى بحت • وكان هذا ـ فى الواقع ـ هو ما حدث بالضبط • فكان مفهوم خط ماجينو ـ وهو خط كثيف من التحصينات الذى كانت قوات الميلشيا تفتح خلفه فى وضع دفاعى ثابت ـ ينخر كالقرحة التى تنهش الكيان المعنوى للجيش الفرنسى • وبالتدريج أغفلت كل خطط الهجوم المضاد لصالح النظرية الدفاعية الشاملة •

ان الافتقار الكامل للروح الهجومية ، وما تلاها من انهيار فى الروح المعنوية والذى ساد القيادة العليا قد ظهر بينا ليس فقط فى خطط الدفاع الفرنسية لعام ١٩٣٩ ، ولكن أيضا فى ادارة العمليات التى أعقبت غزو

= العظمى والقوات المرابطة التى تشكلت ابان الحرب العالمية الثانية ، وقد نص المرسوم بانشائها على أنها قوات موزعة فى جهات القطر ، وتؤلف من المكلفين بالخدمة العسكرية ولم يطلبوا للتجنيد ، كما تقابل من حيث تكوينها واغراضها قوات « الحرس الوطنى » التى تألفت بعد الثورة عام ١٩٥٣ ، ثم قوات الدفاع الشعبى التى تكونت فى عام ١٩٦٨

(١) **الفريد دريفوس : (١٨٥٩ ـ ١٩٣٥) :**

ضابط فرنسى (يهودى) قبض عليه فى ١٥ أكتوبر عام ١٨٩٤ بتهمة الخيانة العظمى وفى ديسمبر عام ١٨٩٤ حوكم وحكم عليه بالنفى مدى الحياة • بعد ذلك بدأت الشكوك تظهر حول صحة الأدلة المقدمة ضده ، وعملت أسرته على اظهار براءته وبدأت اثارة قضيته بعد خمس سنوات قضاها فى المنفى ورافقها بعض القلاقل والفتن .

وفى سبتمبر عام ١٨٩٨ أعيد بحث القضية وفى شهرى أغسطس وسبتمبر عام ١٨٩٩ أحضر من المنفى لتعاد محاكمته . ووجدته مذنبا مرة أخرى . وفى عام ١٩٠٤ قررت المحكمة اعادة بحث القضية وفى عام ١٩٠٦ أعطت محاكم الاستئناف قرارها برفض الحكم السابق . وفى ٢٢ يوليو أعيد اليه اعتباره ومنح وسام الليجيون دونيه .

وكان لهذه القضية آثار بعيدة المدى على الجمهورية الفرنسية الثالثة سياسيا واجتماعيا ودينيا .

(المترجم)

هتلر لبولنده • وفى ذروة الحملة البولندية – أى فى أوائل أكتوبر – ترك الألمان ثلاثا وثلاثين فرقة فقط لمواجهة فرنسا فى الغرب ، وكان المستوى النوعى لهذه الفرق أقل من غيره • وكان العدد الاجمالى للقوات الفرنسية البريطانية فى ذلك الوقت يبلغ ١١٠ فرقة • وبهذا التفوق العددى المذهل – وهو تفوق كان أكثر وضوحا فى عدد الدبابات – فان الحلفاء لو كانوا قد حاولوا القيام بهجوم مدبر ضد ألمانيا ، فلربما كانوا قد حققوا نتيجة حاسمة حتى فى تلك الفترة المبكرة من الحرب • وبدلا من ذلك قاموا بتقديم محدود فى الاراضى الألمانية ، واحتلوا عدة قرى قليلة بالقرب من « ساربروكين » • وعندما ظهرت أمامهم ثلاث فرق ألمانية انسحب الفرنسيون مرة أخرى الى مواقعهم خلف التحصينات • ان السبق فى الهجوم كان – على الأقل – سيخلق روحا قتالية لدى الجيش مما يعده للمقاومة الفعالة عندما شن الالمان هجومهم أخيرا فى الغرب ، ••• وذلك بدلا من التقهقر المزرى والافتقار الكامل للروح الهجومية التى ميزت الادارة الفرنسية للعمليات قبل الاستسلام •

واذا كان السبب فى الضعف العسكرى الفرنسى هو الانهزامية وانهيار الروح المعنوية ، فقد كان فى بريطانيا يرجع الى أوهام السلام والأمن التى أدت الى ظهور حالة مزمنة من عدم الاستعداد العسكرى • كان الايمان مطلقا فى شعارات « لا حرب لعشر سنوات قادمة » و « لا حرب فى عهدنا » لدرجة أن الجيش سرح الى حد العودة الى نظام « كارديل » فيما قبل عام ١٩٠٦ • وبدا أن الخسائر البشرية الهائلة خلال الأعوام من ١٩١٤ الى ١٩١٨ والاستنزاف الذى لم يسبق له مثيل للاقتصاد ، قد خلق فى الامة احجاما نفسيا عن مواجهة حقائق الموقف عندما تجمعت سحب الحرب فى أوروبا خلال الثلاثينات •

وحتى داخل الجيش ، فقد سادت درجة من الركود والتحفظ ، بحيث أصبح من الصعب على العناصر التقدمية أن تطور أسلحة وأساليب حرب جديدة • وبدأ فيلق الدبابات الملكى ، وهو فخر بريطانيا فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨ ، فى الذبول تدريجيا ، لأن وزارة الحربية قامت فى عهد عدد متعاقب من رؤساء أركان الامبراطورية العامة المتزمتين بالتقليل المنظم من شأن نظرية الميكنة ، حتى أصبحت لا تزيد الا قليلا عن موقف وسط غير فعال •

وظل الحال كذلك حتى قام هتلر بتحركاته الاولى فى اتجاه الغرب

واحتل منطقة الراين ورفض « معاهدة لوكارنو » (١) وعندها بدأ البريطانيون يخطون نحو اعادة التسليح وان كان ذلك لبناء بوارج عتيقة للبحرية الملكية • وأخيرا وبعد الفشل الدبلوماسى فى « ميونيخ » أدخلوا التجنيد بدرجة محدودة فى عام ١٩٣٩ بهدف ضم فرقتين أخريين الى الجيش الاقليمى ، وبذا وصلت القوة الوطنية الى ست فرق • وكانت النتيجة أنه عندما ذهبت قوة الحملة الحربية الى فرنسا فى سبتمبر عام ١٩٣٩ كان مجمل ما أسهمت به بريطانيا هو أربع فرق فقط من المشاة ، كانت نسبة كبيرة منها من أفراد الاحتياطى الذين تلقوا القليل من التدريب ـ أو لم يتلقوا تدريبا على الاطلاق ـ على الاسلحة اوالتكتيكات الحديثة • وحتى بعد فترة « الحرب المصطنعة »(٢) كان أقصى ما يمكن دفعه للقتال فى عام ١٩٤٠ هو ثلاث عشرة فرقة •

وفى مقابل هذه الحالة من عدم الاستعداد ، والميل الى الدفاع ، وانهيار الروح المعنوية فى الدول الديمقراطية ، كانت هناك محاولة عنيفة لانتشال القوات الالمانية من حطام الجيش الامبراطورى القديم • وكانت

---

(١) معاهدة لوكارنو :

عبارة عن سلسلة اتفاقيات تمت عام ١٩٢٥ بمقتضاها ضمنت المانيا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا السلام فى أوروبا الغربية ، وتعهدت المانيا بأن تعرض أى نزاع لها مع بلجيكا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا وبولنده للتحكيم . ووقعت هذه الاتفاقيات بالحروف الأولى فى لوكارنو فى سويسرا فى ٢٦ اكتوبر ووقعت فى لندن فى أول ديسمبر . وتعتبر هذه المعاهدة ـ الى حد ما ـ بديلا لبروتوكول جنيف الذى ناقشته عصبة الأمم فى عام ١٩٢٢ ، ولنها لم تصدق عليه .

والمعنى الواضح لمعاهدة لوكارنو هو ان المانيا نبذت استخدام القوة لتغير حدودها الغربية ، ولكنها وافقت فقط على تحكيم المحكمين بخصوص حدودها الشرقية ، وان بريطانيا وافقت بأن تدافع عن بلجيكا أو فرنسا وليس عن بولنده او تشيكوسلوفاكيا .

وفى مارس ١٩٣٦ أرسلت المانيا قوات الى ارض الراين ـ منطقة منزوعة السلاح طبقا لمعاهدة فرنساى ـ معلنة ان الموقف الذى جابهته معاهدة لوكارنو قد تغير نتيجة للتحالف الفرنسى ـ السوفيتى لعام ١٩٣٥ • واعتبرت فرنسا هذا التحرك من جانب الالمان بمثابة انتهاك صارخ لمعاهدة لوكارنو . ولكن بريطانيا امتنعت عن ان تسلك نفس السلوك ، ولم تتخذ اى اجراء . كما أن المانيا لم تبذل اى جهد لعرض نزاعها مع تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ أو مع بولنده عام ١٩٣٩ للتحكيم .

(المترجم)

(٢) هو تعبير يطلق على الحرب بين المانيا والحلفاء فى مرحلتها الاولى نظرا لعدم جدية انجلترا وفرنسا فى القتال .

(المترجم)

هذه الخطوة قد بدأت خلسة قبل وصول هتلر الى السلطة بفترة طويلة ، وكان الذى بدأها هو « فون سيكت » وزملاؤه المختارون من نواة العسكريين البروسيين · ولكن ديناميكية هتلر والنزعة التوسعية (التبرير الجيوبولوتيكى « السياسة الطبيعية » الزائف للتوسع والذى أخذ من تعليمات « بولو » ، و « هاوشوفر ») هما اللتين تشكلان القوة الدافعة للطموح الاستراتيجى الألمانى ·

ومهما يقال عن الأخطاء الجسيمة التى ارتكبها هتلر عند تنفيذه للحرب فى مراحلها الأخيرة ، فان الفضل يرجع بدرجة كبيرة اليه فى الانتصارات التى تحققت فى المراحل الاولى منها · فحتى يتمكن هتلر من أن يخلق جهازا عسكريا يستطيع أن يساند أهدافه السياسية مساندة فعالة ، كان عليه أن يضمن أن الاستراتيجية العسكرية الالمانية ــ التى كانت لم تزل ترسمها فئة من الضباط الذين كانوا ، بالضرورة ، متحفظين ــ قد أصبحت مشربة بالراديكالية الديناميكية الجسورة التى ميزت استراتجيته السياسية ، واستطاع باللجوء الى الضغط السياسى المستمر المصحوب بعمليات التطهير من أن يحقق ، بالتدريج ، السطوة النفسية على القادة القدامى الذين لم يكن فى مقدوره ــ دون الاستعانة بخبرتهم المهنية ــ أن يواجه المهام التكتيكية والادارية التى انبثقت من سياسته الاستراتيجية · ولم يستطع فقط أن يبنى الجيش الألمانى ويجعل منه آلة عسكرية رهيبة ، بل لقد كان مسئولا الى حد كبير عن نشوء المفاهيم الجديدة الخاصة بالاسلحة والتكتيك والاستراتيجية العسكرية · وبتشجيعه للأراء الجديدة حول الميكنة والحرب خفيفة الحركة استطاع هتلر أن يمهد الطريق أمام أساليب الهجوم الخاطف الذى لاقى نجاحا كبيرا فى بولندة وفرنسا ·

كما لا يمكن القول بأن استراتيجيته العسكرية قد دلت على أنها كانت غير صائبة عندما واجهت الحرب الفعلية · ففى ادارته للحملات الاولى كانت بصيرته واستخدامه الاستراتيجى يبدوان كما لو كانا خارقين للطبيعة ·· وكانت النتيجة تلك الانتصارات العظيمة التى حققها فى عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٠ · ان استراتيجيته الفائقة فى شن الحملة على النرويج ، قبل أن يتحول أخيرا الى فرنسا ، قد ضمنت له تأمين الجنب الشمالى وفى نفس الوقت وجهت ضربة قاصمة الى القوة البحرية البرطانية · وكانت الحملة التى شنها ضد فرنسا ، والتى تعتبر حربا من حروب خفة الحركة على أعلى مستويات الكفاءة ، تدين بالكثير لما فعله هتلر من تبنيه لاقتراحات

« مانشتين » الخاصة باختراق الاردين (التى كانت القيادة العسكرية العليا تناصبها العداء علنا) • وفى الحقيقة ، فانه يمكن القول ، صوابا ، بانه لو لم يقلل هتلر من قدر العظمة الكامنة فى بريطانيا ، وأمر بغزو الجزر البريطانية وقهرها قبل أن يتحول شرقا الى روسيا لما تكشفت أبدا أخطاؤه كرجل استراتيجية • وكان سوء التقدير الكبير الأول هـذا وما أعقبه من هزيمة السلاح الجوى الالمانى على يد السلاح الجوى الملكى هو نقطة التحول فى الحرب •

وبعد « عملية بربراوسا » (١) فقط ، أى الهجوم على روسيا ، بدأ يكشف عن علامات الضعف التى أدت فى النهاية الى هزيمة ألمانيا • وكانت علامات الضعف هذه هى الاحجام عن قبول المخاطرة الكبيرة ، والفشل فى التركيز على موسكو ، وما تلاه من تردد وتأخير • ولكن حتى فى ذلك الوقت لم يكن الضعف الحقيقى يكمن فى نظريته الاستراتيجية ، وانما كان يرجع الى نصائح جنرالاته التى غالبا ما تجعله يبحث عن حل وسط • فمثلا ، عند الهجوم على أوكرانيا لم يكن الخطأ فى استراتيجيه ، وانما كان فى مرور شهر كامل قبل اتخاذ قرار حاسم ، وبذا ضاع شهر حيوى من شهور الصيف قبل وضع حل للصراع الذى قام بين نصيحة العسكريين المحترفين و « حدس والهام » هتلر • وعندئذ كان الوقت متأخرا أكثر من اللازم ؛ اذ أصبح من المحتم شن الحملة فى الشتاء •

ومن جهة أخرى ، فان افاقة هتلر من هزيمته أمام موسكو وكذا أمر الصمود والتشبث فى شتاء ١٩٤١ يبرهنان على أنه كان على حق ، وأن جنرالاته كانوا هم المخطئين • ولسوء الحظ فان هذه التبرئة كانت هى نفسها السبب فى فشله،اذ ثبتت لديه أوهام جنون العظمة المتزايدة والتى جعلته يعتقد أنه معصوم من الخطأ • ففى توجيهاته الحربية التى تلت ذلك نستطيع أن نتتبع الانحدار التدريجى من مستوى التحديد الجازم والدقيق للأهداف والأساليب التى ميزات خططه الاولى ، الى الشكوك والتكرار والنداءات الهستيرية للمقاومة التى ميزت سنواته الاخيرة والتى كانت خالية من أى منطق استراتيجى •

---

(١) الاسم الرمزى لعملية غزو ألمانيا للاتحاد السوفيتى .

(المترجم)

الفصل الخامس عشر

● مفاهيم الاستراتيجية التقليدية

قبل أن نختتم دراستنا لتاريخ الاستراتيجية فيما قبل العصر النووى ، من الجدير بالاهتمام أن نقارن بين المداخل والمواقف ووجهات النظر المختلفة بالنسبة لادارة العمليات التى كانت ملحوظة بوضوح فى مسارح العمليات المختلفة ، أو بين أطراف الصراع فى الحرب العالمية الثانية • وبهذه الطريقة نستطيع أن نقيم مزايا ومساوىء ما يسمى « مدارس » أو « تقاليد » الاستراتيجية التى برزت نتيجة لسير التاريخ • وحتى لو كان من غير المحتمل أن نشاهد حربا تقليدية على هذا النطاق الواسع ، الا أنه من الضرورى أن نسجل دروس وتجارب الماضى ، لأنها تلقى حاليا ظلالا تنذر بالسوء على العالم المعاصر باعتباراته النووية •

وفى دراستنا لتاريخ الاستراتيجية فى القرن التاسع عشر شاهدنا كيف ظهر بالتدريج المفهوم النابليونى الخاص بالاستراتيجية العظمى كتطور منطقى للأحوال السياسية والعسكرية التى سادت أوروبا فى ذلك العصر • الا أننا نبسط الأمور أكثر من اللازم اذا ما افترضنا أن التاريخ فى تطوره قد ألقى أمامنا نمطا واحدا فقط للاستراتيجية • بل على العكس من ذلك، اذ طالما سادت ظروف اجتماعية أو اقتصادية أو جغرافية مختلفة اختلافا كبيرا فى دولة أو اقليم ما ، فان عبقرية الشعوب تستنبط أنماطا خاصة من الخطوط الاستراتيجية التى تتطور الى تقاليد استراتيجية متميزة •

ففى روسيا ، مثلا ، حيث تشمل متطلبات الاستراتيجية الخواص المميزة لأراضى أوراسيا الشاسعة ـ أى المساحات الشاسعة ، والمسافات الطويلة ، والمجتمعات غير النامية نسبيا ، والموارد البشرية الضخمة ـ فان الاستراتيجية التقليدية تعبر عن نفسها بأشكال وأوضاع تختلف اختلافا ملحوظا عن الشكل النابليونى أو « القارى » • فقد بنيت مفاهيم الحرب منذ أيام « كوتوزوف » حتى حملات ستالين ضد هتلر على أساس العمق

والكتلة (١) لا على أساس الدفاعات الثابتة أو المناورة الموضوعية. فمثلا ، كان مفهوم الاستراتيجية الروسى يقتضى أن يكون الدفاع قادرا على « امتصاص » رأس حربة الهجوم بدلا من اعداد خط دفاعى جامد ، أما فى الهجوم فقد نادى هذا المفهوم باكتساح مراكز المقاومة بواسطة ثقل الكتلة بدلا من القيام بالاختراق بواسطة النفاذ من حيز ضيق على نمط الهجوم الخاطف . وبمعنى آخر ، فان الاستراتيجية الروسية التقليدية تحسب امكانيات الدفاع كمحصلة للمقاومة مضروبة فى العمق والمسافة ، والهجوم على أساس القوة الدافعة (أى الكتلة مضروبة فى سرعة التحرك) بدلا من حشد القوات . هذه هى التقاليد الروسية الخاصة بالكتلة والعمق والمسافة ، وهو نمط متميز من الاستراتيجية كان ملموسا فى المواقع الحربية بالجبهة الشرقية .

ومن جهة أخرى ، فان البريطانيين الذين نشئوا على تقاليد الخبرة البحرية وكانوا ملتزمين بميراث تركته لهم امبراطورية اتسعت على نطاق عالمى ، وكذلك بنقص مزمن فى القوة البشرية والموارد القومية ... قاموا بوضع استراتيجيتهم على أساس الاقتصاد فى المجهود . وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هى أن يوزعوا ، بعناية وعلى اتساع العالم ، قوتهم ومواردهم على أغراض ملائمة ومكملة لبعضها البعض . وكان ذلك هو المفهوم « الجزرى » (٢) أو « البحرى » للاستراتيجية كنقيض للتقاليد « القارية » أو تقاليد « الكتلة والعمق » .

وبناء على ذلك ، فعندما سقطت فرنسا وأصبحت بريطانيا ودول الكومنولث تقف وحدها ضد العدوان الألمانى (ثم اليابانى فيما بعد) ، عبر مفهوم الاستراتيجية « البحرية » عن نفسه تعبيرا كاملا تحت رعاية تشرشل . وكان هذا هو الحل العسكرى الذى ظل فى جعبة الامبراطورية لأكثر من ثلاثمائة عام ، وكان تشرشل هو القائد الذى بعث الحياة فى تقاليد الماضى وسخرها بنجاح لخدمة الحاضر .

وشاهدت السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية تحقيق الاستراتيجية البحرية البريطانية وذلك بنجاحها فى احباط المطامع

---

(١) يقصد بالكتلة حجم القوات المستخدمة .

(المترجم)

(٢) اى ذو علاقة بجزيرة (البريطانية) .

(المترجم)

التوسعية الألمانية . ففى تلك الظروف العصيبة لم يكن هناك غير العناية بتوزيع الموارد الهزيلة حول محيط دائرة العدوان الألمانى - فى الجزر البريطانية وفى شمال افريقيا وفى العراق وايران - لكى تستطيع احتواء التفوق المذهل للقوة العسكرية الألمانية فى تلك السنوات القلقة .

الا أنه بعد زيادة نطاق المشاركة الأمريكية التى بدأت فى خريف عام ١٩٤٣ ، كان لابد من ان يصطدم هذا النمط من الاستراتيجية مع ما أملاه المفهوم الأمريكى . ان الولايات المتحدة ، الواثقة من مواردها المادية التى لا نظير لها ، والتى تتعود الحروب الطويلة ضد عدو متفوق عدديا ، لم تكن أبدا تقدر حق التقدير اعتماد تشرشل على الاقتراب غير المباشر . لقد كانت عقيدتهم الاستراتيجية أكثر مباشرة ... أى اختيار هدف عسكرى واحد واستخدام كل الموارد الممكنة بجرأة تكتيكية لتحقيق تفوق مذهل من أجل تنفيذ هذا العمل . وعلى عكس التقاليد البريطانية التى تقتضى المرونة دائما فى اختيار الأهداف ، بسبب احساسهم بعدم الأمن فيما يتعلق بتوفر الموارد ، فان النظرة الأمريكية سلمت - كافتراض أساسى - بأن الموارد الضرورية سوف تتوفر من أجل العمل الذى تقوم به . ولذلك كانت الولايات المتحدة تنظر بعين الشك الى أية محاولة للخروج عن الخطة المتفق عليها .

وليس معنى ذلك أن هذا النوع من المدخل الاستراتيجى على صواب وأن الآخر على خطأ ؛ اذ لا يمكن تبسيط الحرب بأسلوب الأشياء المطلقة. فالتقاليد المختلفة تنبثق من الظروف المختلفة ، كل لها مدخلها الخاص لأى مشكلة عسكرية معينة ، وذلك على ضوء الموارد المادية المتيسرة ، والأحوال الجغرافية والاجتماعية ، وموقف القوة البشرية ، والعوامل الأخرى المشابهة . وتظهر الصعوبة عندما ينزع أحد المواقف (وجهات نظر) الاستراتيجية من مجاله ليطبق على وضع تتطلب ظروفه مدخلا أو حلا آخر مختلفا .

ان البريطانيين ، على سبيل المثال ، عرضة للوقوع فى خطأ الافتراض بأن اتباع المفهوم البحرى للاستراتيجية سيكون دائما مفيدا لهم ، وأن استخدام المفهوم القارى سيكون باستمرار سوء توزيع لقوتهم ومواردهم. ان هذا المفهوم يتجاهل تماما حقائق التاريخ . واحدى هذه الحقائق هى أنه فى الحرب الوحيدة التى خاضتها ضد غريمتها فرنسا ، والتى لم تبذل فيها بريطانيا أية مشاركة هامة نحو اعداد استراتيجية قارية وحلف قارى

– لاقت فيها هزيمة قاسية وفقدت ، بالتالى ، مستعمراتها فى أمريكا الشـــمالية • والحقيقة الاخرى هى أنه فى حربين عالميتين – مهما كان المدخل الى كل منهما فى السنوات الأولى – لم يكن من الممكن اجبار المانيا على الاستسلام الا بهزيمة الجيوش الألمانية باستخدام الاستراتيجية القارية والحرب القارية • حقا ان الاقتراب « غير المباشر » للمفهوم البحرى قد أنقذ بريطانيا عندما كان ظهرها الى الحائط ، ولكن لا يمكن كسب الحروب الكبرى أو هزيمة الأعداء الرئيسيين دون استخدام الموارد الضخمة فى هذه الجهود •

نعود الى الصدام بين المواقف الاستراتيجية فى الفترة الحرجة من الحرب العالمية الثانية ، فنجد أن الضوء قد ألقى على الاختلاف بين المدخلين الأمريكى والبريطانى لأول مرة فى مؤتمر «كويبيك» الذى عقد فى أغسطس عام ١٩٤٣ لوضـــع أسس الاســـتراتيجية الهجومية لأوروبا • وحتى فى سياق الاتفاقية طويلة الأمد الخاصة بفتح جبهة ثانية فى الغرب ، كان البريطانيون يلحون بشدة على استغلال الفرص الملائمة فى البحر الأبيض المتوسط التى وفرتها الحملة الايطالية ، وعلى توسيع مجال الهجوم ليشمل منطقـــة بحر ايجة والبلقان • وكان الأمريكيون – الذين يتسمون دائما بسرعة الملاحظة والشك فى أية بادرة تدل على تشتيت الجهد على « مشاهد جانبية » – اعتبروا البحر الأبيض المتوســـط بالوعة تســـتنزف الموارد المطلوبة للموقعة الرئيسية على أرض القارة • ومع استمرار سير الحرب ، فان هذا الانشقاق الأساسى فى الرأى كان موجودا فى الحلول الاستراتيجية البديلة الأخرى ، واستمر مصدرا دائما للخلاف بين الحلفاء الغربيين حتى المراحل الأخيرة من الحرب • وعلى الرغم من أن الأساس الذى قام عليه التحالف كان قويا بدرجة تسمح له بامتصاص أى خلاف حتى بهذا الشكل الكبير ، الا أن المشادات التى أثارتها هذه القضايا ظلت محتدة لســـنوات ، كما أنها ما زالت تقوى الشكوك حتى فى الوقت الحاضر •

وبخلاف هذه التقاليد الرئيســـية الثلاثة لوجهة النظر الاستراتيجية التى ذكرناهـــا فى الصفحات الســـابقة من هذا الكتاب ، فان هنـــاك مدرسة اســـتراتيجية أخرى انبثقت من الحرب العـــالمية الثانية ••• وهذه الاستراتيجية مبنية على أساس أن القوة الجوية هى العامل الغالب •

وفى حقيقة الأمر فقد كان مفهوم « الاستراتيجية الجوية » على وشك أن ياخذ وجهة خاطئة فى أثناء عملية تطوره • لقد كان دعاة القوة الجوية

الأوائل ـ الجنرال الايطالى «دوويه» Douhet ، والجنرال «متشيل» من السلاح الجوى للولايات المتحدة ، ولورد ترنشاد من بريطانيا ـ مقتنعين بمناعة القاذفات التى لا تقهر وبدورها الحاسم لدرجة أنهم نجحوا تقريبا فى أن يوطدوا مفهوم « الاستراتيجية الجوية المستقلة » فى معسكر الغرب. ويكمن جوهر نظريتهم فى أن القوة التدميرية الحاسمة للقاذفات قد جعلت من القوات الجوية السلاح المسيطر ، وفى أن حروب المستقبل سوف تحسم أساسا بناء على القصف الجوى ، بينما تلعب القوات الأخرى(١) أدوارا مساعدة فقط . وعلى عكس الألمان والروس الذين كانوا يقيمون ، بوضوح أكبر ، الامكانيات الاستراتيجية والتكتيكية للسلاح الجديد ، ويركزون على دمج القوات الجوية والبرية فى فريق تكتيكى فعال يفتح للقتال من أجل هدف استراتيجى عام ، كان رجال الدولة الغربيون فى الحرب العالمية الثانية ينساقون فى الغالب الى التفكير فى استخدام السلاح الجوى فى أبعد (ساحات) استراتيجية منعزلة ، وذلك كما دعا اليه ، على سبيل المثال « أقطاب قاذفات القنابل » فى خطة « بوينت بلانك » عام ١٩٤٤ التى اقترحت أن تقوم القوات الجوية الاستراتيجية بشن هجوم جوى مستقل عن خطة « أوفر لورد » (٢) لتدمير المقاتلات الألمانية ووسائل انتاجها . ومن حسن الحظ أن الرأى الأكثر صوابا هو الذى ساد ، والسبب فى ذلك يرجع الى حد كبير الى أن نائب القائد الأعلى كان نفسه أحد رجال القوات الجوية (مارشال الجوتيدر) ، والذى كانت له وجهات نظر أكثر اتزانا وموضوعية مبنية على أساس خبرته العريضة بالاستراتيجية والقيادة الجوية . وعلى عكس ما هو مألوف ، فقد كان أحد أفراد القوات البرية هو الذى اكتشف الأحوال الاستراتيجية التى يمكن فيها للسلاح الجوى أن يكون الشريك الأكبر .

عند صياغة السياسة الاستراتيجية توجد ظروف قد يتولى فيها أحد الأسلحة القيام بالدور المسيطر . ففى أنواع معينة من العمليات ـ مثل التقاليد القارية للحرب ـ تكون القوات البرية هى العنصر الذى تبنى حوله الخطة الرئيسية . وفى التاريخ البريطانى ، كما رأينا ، فان

---

(١) النص الحرفى للكاتب هو قوات السطح Sur Face Forces أى القوات التى تعمل على سطح .. اى سطح يابسا كان أم ماء . وبعبارة أخرى القوات البرية والقوات البحرية .

(المترجم)

(٢) الاسم الرمزى لعملية غزو الحلفاء لفرنسا عام ١٩٤٤ .

(المترجم)

الاستراتيجية البحرية المبنية على أساس السيطرة البحرية (التفوق البحرى) كانت هى الاستراتيجية السائدة على حين لعبت القوات البرية دورا ثانويا ، وان كان ضروريا . وبالمثل فهناك مناسبات يلعب فيها السلاح الجوى الدور المسيطر فى الاستراتيجية المباشرة ، وهناك مثال مناسب لذلك فى مسرح عمليات المحيط الهادى فى الحرب العالمية الثانية الذى بشر باقتراب عصر جديد من الحرب المبنية على أساس حاملات الطائرات .

لقد تبين بوضوح فى موقعة « جزر ميدواى » البحرية الكبرى فى يونيو عام ١٩٤٢ مدى الدور المسيطر الذى لعبه السلاح الجوى فى الحرب البحرية . وكما حدث من قبل فى موقعة « بحر الكورال » لم تر الأساطيل البحرية المتضادة بعضها البعض على الاطلاق ، ولم تتبادل طلقة مباشرة واحدة . لقد كانت طائرات الحاملات ، تعاونها طائرات كانت تقلع من مطارات أرضية فى ميدواى ، هى التى حسمت النتيجة البحرية . واعترف جنرال « ماك أرثر » فيما بعد ، حتى فى عمليات القوات البرية ، بأن استراتيجيته خلال الحملة كلها ـ من غينيا الجديدة حتى الفيليبين ـ كانت مبنية أساسا على قدرة السلاح الجوى . وكانت كل مرحلة من مراحل تقدمه تحدد أحد المطارات كهدف لها يمكن أن يصلح كنقطة ارتكاز للتقدم التالى . ثم بعد دفع « الخط الجوى » الى الأمام بدأت القوات البحرية ، تحت الغطاء الجوى المنشأ حديثا ، فى استعادة الممرات البحرية . وكان دور القوات البرية هو الآخر دورا مساعدا ، ذلك أن هجمات المواجهة كان يتم تجنبها بقدر الامكان ، وبدلا من ذلك فقد قاموا بسلسلة من عمليات الالتفاف والتطويق ، وعزلوا الجيوش اليابانية وتركوها تهلك فى ميدان القتال .

لقد انبثق مفهوم الجنرال ماك أرثر الخاص باستراتيجية الوثوب على الجزر والمبنى على أساس السلاح الجوى من الأحوال الجغرافية التى واجهته فى مسرح المحيط الهادى ، وهو يعتبر شكلا متميزا من استراتيجية « المحيطات » . ومع ذلك ، فعلى الرغم من أنه قد رأى بوضوح الدور المسيطر للقوات الجوية الا أنه أكد أن التعاون بين القوات البرية والبحرية والجوية هو السبب الرئيسى فى النجاح الذى حققه . وقد وصف ذلك

بقوله : « انه نوع جديد من الحملات وهى حرب ذات أبعاد ثلاثة ٠٠٠ أى مفهوم برماجى » (١) ٠

ان السبب الذى من أجله ذكرنا فى هذا الباب ، انبثاق «مدارس» الاستراتيجية المختلفة يرجع الى أنه حتى فى العصر الحاضر بسياساته النووية والشاملة (التى سنشرحها فى الباب السادس) لم تفقد المفاهيم التقليدية القديمة أهميتها ٠ فقد قام مثلا أقطاب السلاح الجوى فى الولايات المتحدة لفترة قصيرة فى السنوات الأولى من العصر النووى ، عندما كانت القاذفات بعيدة المدى هى الوسيلة الوحيدة لحمل الرءوس الذرية ، بمحاولة مدبرة للعودة الى نظرياتهم الخاصة « بالاستراتيجية الجوية المستقلة » و « السلاح الجوى الحاسم » ٠٠٠ وهى نظريات يجب اعادة تعديلها فى عصر الصواريخ٠وحتى المفهوم البريطانى الخاص بالاستراتيجية البحرية الذى كان يعاب عليه كثيرا يعود الآن -فى عصر التوازن النووى- الى الرواج ٠ وبما أن أمريكا تجد نفسها فى الوقت الحالى ملزمة بأن تلبى المطالب الموزعة على نطاق واسع والتى يفرضها عليها دور رجل الشرطة العالمى ، وهى الوظيفة التى اختارتها لنفسها ، فان عليها أن تنبذ استراتيجيتها « القارية » التقليدية لصالح النمط البريطانى للاستراتيجية « البحرية » ٠ ان مفهومها الحالى الخاص بالفرق « الضاربة » الأمريكية المعدة للقتال الفورى والتى يمكن نقلها الى أى ركن فى العالم هو بالضرورة استنباط من التاريخ الاستراتيجى البريطانى (على الرغم من التورط « القارى » فى فيتنام) ٠ وكما أثبتت تطورات الشرق الأوسط فى صيف عام ١٩٦٧ وما أعقبها من الوجود البحرى السوفيتى فى البحر الأبيض المتوسط ، فان حكومة الاتحاد السوفيتى آخذة فى اللجوء الى المفهوم البريطانى القديم ، مع وعيها المتزايد بأن تقاليدها الخاصة بالكتلة والعمق والمسافة تعبر عن نفسها فى أراضى أوراسيا الشاسعة فقط لا فى المحيط العالمى ٠

---

(١) كلمة تعبر عن القدرة على القتال فى البر والبحر والجو ، كما أن كلمة برمائى خاصة بالقدرة على القتال فى البر والبحر فقط .

(المترجم)

الباب الرابع

إدارة العمليات



الفصل السادس عشر

● الأساليب والقواعد

كانت دراستنا للحرب – حتى الآن – تتم من وجهة نظر موضوعية، وذلك بتحليل وظائفها وخطواتها ، كما تتم أيضا بتتبعنا من خلال التاريخ لعلامات التحول الرئيسية فى تطور التكتيك والاستراتيجية • ومن الطبيعى أن يبنى أى بحث شامل لطبيعة الحرب بالدرجة الأولى على أساس دراسة نظرية من هذا النوع • ولكن تأتى مرحلة يصبح فيها المدخل الأكثر ذاتية والتزاما أمرا ضروريا ، حتى يمكن أن نستخلص من نظرية وتاريخ الحرب مجموعة من القواعد والدروس أو الأساليب التى تتعلق بالمواقف الفعلية فى تخطيط العمليات واداراتها • وهذا أمر له أهمية خاصة بالنسبة لمن ترتبط أعمالهم بطريقة ما بالتخطيط والتحضير للعمليات الحربية ، أو بقيادة القوات والسيطرة عليها فى القتال • ان أية دراسة للحرب لن يكون لها معنى ، بالنسبة لهم ، الا اذا استطاعوا أن يحصلوا منها على بعض التوجيه الذى يرشدهم الى تنفيذ واجباتهم •

لقد كانت ادارة المعركة ، حتى وقت قريب جدا – عملية غير معقدة نسبيا تنفذ فى الغالب كتدريب عسكرى موضوع (طابور تدريبى) • ففى حروب القدماء ، مثلا ، عندما كانت قوات الفالاناكس واللجيون تلتحم للمعركة لم يكن تسلسل الأعمال المطلوب تنفيذها يترك لمبادأة القادة الأصاغر • فما ان كانت آلة القتال تبدأ فى التحرك حتى تلتزم القوات التزاما صارما بالخطوات المفروضة سلفا • وهذه الخطوات هى أن يتخذ كل فرد محله فى خط القتال (تشكيل المعركة) ، ويتقدم فى جمع من القوات ، ثم يختار خصمه المباشر ، ويطلق عليه سلاحه • وأخيرا فقد أدت القذائف بعيدة المدى والسلاح الأكثر حداثة ، وكذا التنظيمات الجديدة للجيوش والأحوال المختلفة للأرض والحركة الى ادخال مفاهيم استراتيجية وتكتيكية أكثر تعقيدا ••• مثال ذلك ضرورة وجود الاحتاطيات ودفعها للاشتباك ، والقيام بالمسيرات المائلة ، والمناورات لاتخاذ الأوضاع المناسبة • لذلك أخذت مسئوليات القادة الميدانيين تزداد

مشقة ، الا أنه على الرغم من ذلك فقد كان يعهد بها عادة الى فرد واحد هو القائد العام · وانحصرت مبادرة القادة الأصاغر فى ممارسة القيادة التكتيكية المباشرة بعد أن يتم الاتصال بالعدو ··· أى فى مرحلة «التدمير» فقط من دورة الحرب · لذا أصبحت دراسة الحرب ، بالنسبة لمعظم الضباط ، مفهوما محدودا لا يستلزم الا القليل بجانب التدريب على أعمال المهارة فى الميدان واستخدام الأسلحة ·

وكانت القفزة الكبيرة الى الأمام التى حققتها حروب نابليون هى التى فتحت الطريق أمام القيادة غير المركزية فى الميدان ، وذلك بما أدخلته هذه الحروب من مفهوم التنظيم فى فرق ، ووسائل النقل الحديثة ، والتحركات والمناورات التى تقوم بها الحشود المنفصلة ، ثم تتلاقى للقتال ··· أى « التكتيكات العظمى » باختصار · وهكذا فان مراحل التخطيط والحركة ــ التكتيكية والاستراتيجية ــ ذاتها قد دخلت فى مجال عمل القادة الأصاغر ، وتوقف مصير المواقع الحربية على مبادأتهم وقراراتهم الخاصة بالعمليات ذات المستويات المتعددة · وعندئذ برزت الحاجة الى مجموعة منظمة (مقننة) من القواعد والمبادىء التطبيقية (التشغيلية) لارشاد القادة الميدانيين ·

وكما رأينا فقد قام جومينى باحدى المحاولات الأولى لبلورة دروس التاريخ فى مجموعة من الأحكام الخاصة بالحرب · وعند جمعه وتنسيقه لهذه الأحكام لم يكتف بأن يدمج فيها الدروس المستفادة من حملات نابليون ، وانما استعار أيضا الكثير من المؤلفات العسكرية للقرن الثامن عشر التى كتبها « هنرى لويد » ، وهو رجل انجليزى لا يؤمن بالعقائد المتبعة وكذلك « هنرى بولو » الألمانى · وكان تفسير جومينى لفن نابليون تفسيرا ميكانيكيا ، ولم يكن تفسيره يتمشى دائما مع وصايا نابليون ، الا أن محاولات جومينى كانت تمثل أول محاولة واسعة الادراك لتقنين أسلوب الحرب ، وقد برهنت هذه المحاولة على أنها كانت كافية بالنسبة لذلك العصر ·

وكانت الدراسة الشهيرة التى أعدها كلاوزفتز عملا كلاسيكيا بطبيعة الحال ، ولكن أسلوب الكتابة كان فلسفيا وغامضا ، فكان محكوما على هذه الدراسة بأن تظل صعبة الفهم على معظم المحترفين ولا زالت كذلك ــ فى الحقيقة ــ حتى يومنا هذا ·

وقام « فون مولتكه الأكبر » وكذا « ليوال » و « جرووارد » الفرنسيين

و « دودج » الأمريكي في الخمسين أو الستين عاما التالية بمحاولات اتبعوا فيها طرقا متنوعة لتفسير العادات المتبعة في الحرب · ولكن كانت هناك في الدراسات التي تمت بعد العصر النابليوني محاولة دائبة للافراط في تبسيط الوثائق (المؤلفات) المعقدة التي كتبها جوميني وكلاوزفتز ووضعها في قواعد مبنية على الخبرة العملية أكثر منها على المعرفة العلمية· فهناك ، على سبيل المثال فكرة تستحوذ على تفكيرهم في تفسير العمليات بعبارة « الخطوط الداخلية » (أى الموقع المركزى الذى قيل ان نابليون كان يفضله) أو بعبارة « الخطوط الداخلية » (التي كانت تعنى الهجمات المتلاقية ، وقيل انها كانت تعاليم فون مولتكه ومدرسته البروسية) · ولم تكن قابليتها للتطبيق أو حتى مضمونها يتمشى دائما مع تعاليم الفكر العسكرى النابليوني · وربما كانت محاولة تحويل هذا الفكر العسكرى الى مستوى المفاهيم المبسطة تصلح لغرض محدود هو تفسير وشرح الكتابات الغامضة والخاصة بتلك الفترة للقارىء العادى · ولكن هذه المحاولة أدت أيضا الى انتشار الأساليب الجامدة والتفصيلية في القوات المسلحة · واستمر هذا الاتجاه حتى وقت قريب جدا · فعلى سبيل المثال - وحتى بعد الحرب العالمية الثانية نجد أن الكولونيل (عقيد) أ·هـ بيرن قد طرح في محاضراته ، التي قدمها عام ١٩٤٦ والتي بلغت كتابا في حجمها ، نظريته قائلا : ان كل الانتصارات الكبيرة في هذه الحرب قد أحرزت بسبب التمسك بالهجمات على « الخطوط الخارجية » التي شعر بأنها تتفوق من حيث الشكل على « الخطوط الداخلية » ·

ولحسن الحظ فان الوصايا الأصلية التي سجلها جوميني وكلاوزفتز ظلت باقية في عدة دوائر كمرجع أساسى للادارة التطبيقية (التشغيلية) ، وقد آل الينا من هذه الوصايا ما نعرفه اليوم « بمبادىء الحرب » ·

الفصل السابع عشر

● مبادىء الحرب

ان هناك ، كما يعى كل من يألف « التقديرات » العسكرية ـ عدة عوامل يجب دراستها ، وعددا من مسارات العمل (طرق الحل) المختلفة التى يتم وزنها فى مقابل بعضها البعض ، وذلك قبـل أن توضع خطـة العمليات فى النهاية • والمهم فى هذه العملية هو الاحتفاظ بالذهن خاليا من أى ارتباط تاركا الموقف السائد ـ وما يستنتج منه منطقيا ـ ليحدد أفضـل الطرق المنـاسبة للعمل ، وليس الاعتماد على القواعد الجامدة أو الاجراءات المبنية على الخبرة فقط •

وفى نفس الوقت ، فان تحليل تاريخ الحرب يشير الى وجود حقائق واتجـاهات أساسية معينة تتطلب مراعاتها واتباعها ، كما توجد بعض المخاطر التي يجب تجنبها ، اذا أردنا النجاح فى تنفيذ الخطة الحربية •

لقد رأينا أنه خلال حملات نابليون قد تحررت الحرب لأول مرة من الشعائر المقيدة والأنماط الجامدة التى كانت تقيد ادارة الحرب من قبل • وكان النجاح المباشر لأفكار نابليون الثورية هو الذى ألهم كبار المفكرين العسكريين فى عصره دراسة الطرق التى استخدمها وأن يخرجوا منها بدروس أساسية معينة « وقواعد » عامة لارشاد قادة المستقبل عند تخطيط وادارة العمليات • ان « مبادىء الحرب » ، كما هى اليوم ، مشتقة أصلا من نمط الحرب النابليونى •

وفى عام ١٩٢٣ اتخذت « قواعد خدمة الميدان » للجيش البريطانى ثمـانية من « مبـادىء الحرب » (كمـا عددها ماجور جنرال (لواء) « ج • ف • س فوللر » ، وهو أحد المفكرين العسكريين الكبار فى ذلك الوقت) • وفى كتابنا هذا سوف نستخدم مجموعة النصوص الأصلية التى وضعها فوللر كأساس لدراستنا •

ان مبادىء الحرب كما ذكرت فى « قواعد خدمة الميدان » هى المحافظة على الهدف ، والعمل الهجومى ، وحشد القوة ، والاقتصاد فى المجهود ، والتعاون ، والأمن ، والمفاجأة ، وخفة الحركة •

وقبل أن نبدأ فحصنا لهذه المبادىء يجب أن يكون واضحا أنه ليس فى نيتنا على الاطلاق أن نعنى حتمية استخدام كل المبادىء الثمانية فى كل مسارات العمل فى كل الأوقات • فلا يمكن أن نجعل من الحرب علما محكم الدقة ، تسيطر عليه القواعد والقوانين سيطرة صارمة • وهناك كثير من الأمثلة لمواقع حربية تحقق فيها النصر رغم عدم التقيد ببعض مبادىء الحرب • وفى الحقيقة فان القادة يواجهون باستمرار عند ادارتهم للحرب مواقف قد يؤدى فيها التقيد بأحد المبادىء الى خرق مبدأ آخر • ولهذا السبب نفسه فانه اذا كان على القائد أن يواجه اختيارا مدروسا بين مبادىء متعارضة ، فيجب عليه أولا أن يتفهم تماما مضامينها العديدة، وعندها فقط يكون فى موقف يمكنه من التقييم الصحيح لامكانيات النجاح لخطة أو لمسار عمل بالذات •

وحتى يمكن دراسة مبادىء الحرب من وجهة نظر أيسر لفهم العلاقات المتبادلة بينها ، فقد جمعتها فى هذا الكتاب فى ثلاث قوائم • فجمعت مبدأ المحافظة على الهدف ومبدأ الهجوم معا ، لأنهما من البديهيات الأساسية • وفى المجموعة الثانية وضعت مبدأى الموقف أو المدخل ••• وهما المفاجأة والتعاون • وقد أطلقت عليها اسم « القيم النوعية » لأنه ليس من السهل ترجمتها الى عوامل قابلة للحساب وانما هما يصلحان لاقتراح مداخل نحو الالتزام بمسار عمل ما •

وفى النهاية وضعت فى المجموعة الثالثة المبادىء الأربعة التى سأسميها « بالمبادىء الكمية » ، وهى حشد القوة ، والاقتصاد فى المجهود، والأمن ، وخفة الحركة ، والغرض منها هو تحديد مسارات منظمة وميكانيكية للعمل وهى التى تؤثر تأثيرا مباشرا فيما سماه جومينى « خطوط العمليات » •

ان البديهيات الأساسية – أى المحافظة على الهدف ومبدأ الهجوم – هى حقائق أساسية تشكل أساس النجاح • ومهما غمر ضباب الحرب الموقعة الحربية المباشرة ، فيجب التقيد دائما بهذين المبدأين ، لأن اهمالهما لن ينتهى الا بالفشل أو عدم الحسم ، بالهزيمة أو بتجميد الموقف ، وليس أبدا بالنصر •

ومن جهة أخرى ، فان المبادىء النوعية والكمية تدخل أكثر فى طبيعة الخطوط المرشدة للادارة ، وليس المقصود منها أن يذعن أحد لها اذعانا صارما ، كما ينبغى أن يكون تفاعلها هو الذى يشكل الاطار العام للخطة ، وليس بالضرورة تطبيقها تطبيقا كليا •

الفصــل الثامن عشر

● البديهيات الأساسية

مهما كان المستوى الذى يدير منه القائد العمليات ـ سواء كان على مستوى معركة السرية أم على مستوى الفرقة ـ فان هدفه (أو واجبه) يحدد له بواسطة القائد الأكبر التالى فى سلم القيادة ، أما خطته ، من جهة أخرى ، فهى من اعداده هو شخصيا ٠ وهذا ما يضع الهدف والخطة على مســــتويين مختلفين من المسئولية ٠ تلك حقيقة ـ كما يوضحها لنا التاريخ العسكرى بوفرة ـ غالبا ما يميل القادة فى الميدان الى نسيانها ٠ وأحيانا ينزع هؤلاء القادة ـ وهم فى وطيس القتال أو عند انهماكهم فى مواقف عاجلة ـ الى التحول الى أهداف جديدة ، وخطط جديدة ، لكى يستغلوا فرصة غير متوقعة أو يتقوا خطر كارثة ٠

ان مبدأ المحافظة على الهدف يضع بديهية أساسية للحرب ، وهى أنه على الرغم من أن كل قائد حر فى أن يغير خطته الا أنه يجب عدم تغيير الهدف نفسه ٠ ان تغيير الهدف ـ اذا كان تغييرا ضروريا على الاطلاق ـ هو دائما حق مقصور على الرئاسة الكبرى التى وضعته أصلا ٠

ان النقد الأكثر شيوعا الذى يوجه الى هذا المبدأ ـ وهو أن التمسك الدائم به قد يؤدى الى الجمود فى ادارة العمليات ، والى كبح مبادأة القادة ـ انما ينبثق من الفهم غير الكافى لمضمون هذا المبدأ ٠ فهو لا يضع حظرا على حرية القائد فى تغيير خطته ليواجه موقفا جديدا ، بل على العكس من ذلك ، فان المبادىء الأخيرة التى سنشرحها فى الفصول التالية من هــذا الباب تؤكد أهمية المرونة ٠ حقا ، ان احدى صفات القائد الكفء فى الحرب هى مقدرته على مواجهة المواقف المتقلبة فى الحرب ، وذلك بدوام تعديل أو تغيير خطته ، ولكن لا يمكنه أن يتصرف على هواه فى الهــدف الذى حدد له لأن هذا الهدف يشكل جزءا من خطة القائد الأكبر التالى ، واذا لزم تغييره فعلى الأخير فقط أن يقوم بهذا التغيير ٠

وقد يبدو للبعض كذلك أن متطلبات هذا المبدأ تعتبر من البديهيات ولكن ما على المرء الا أن يقوم بدراسة الحملات التاريخيـــة ، ليجد أمثـلة عديدة لقادة من كافة المســتويات اتخذوا ـ فى أثناء اعدادهـم لخطـــة جديدة لمواجهة مجموعة من الظروف الجديدة ـ مسارات عمل ، وان كانت ناجحة فى حد ذاتها ، الا أنها فى الواقع قد أغفلت الواجب المحدد أصلا ، وهكذا فشلوا فى الاسهام فى تحقيق الهدف العام • وأحيانا ، كان هذا التغيير الذى يفرضه القادة على أنفسهم يؤدى الى كارثة •

وفى الحقيقة ، ان مضامين هذا المبدأ تمتد الى ما هو أبعد من ذلك • فالحروب الحديثة بما فيها من ميكنة ضخمة ودفع للقتال للقوات على نطاق واسع ، وشـــئون ادارية كبيرة يجعل حتى الرئاسات الكبرى تعدل عن تغيير الهدف الأصلى المحدد لمستوى القيادة الأصغر ، هذا اذا كان مستوى دفع القوات للقتال على مستوى واسع • ان طبيعة فتح المواد والقوات فى الحرب الحديثة يعطيها سمة من سمات التورط والتعهد ، مما يدعو الى تجنب التغييرات المفاجئة فى الهدف على المستوى العالى • وأفضل توضيح لذلك هو مثـــال نســتمده من الحرب العالمية الثـانية ••• من عملية برباروسا ، أى الغزو الألمانى لروسيا عام ١٩٤١ •

ان التوجيهات الأصلية رقم ٢١ التى أصدرها هتلر كانت تحـدد بوضوح أن هدف الضربة الشمالية الرئيسية ، التى كانت ستقوم بهـا مجموعتان من الجيوش ، هو « سرعة الاستيلاء على موسكو » • وتسابقت مجموعات الجيوش الشمالية لانجاز هذا الواجب ، وفى ٢٧ يوليو كانت أكثر من سبعين فرقة ـ منهم ١٢ بانزر ـ قد فتحت للمعركة فى المناطق الشاسعة فى وسط وشمال روسيا فى محاولة لحصار موسكو والاستيلاء عليها • واستولت مجموعة جودريان من البانزر على « سمولنسك » ، وظلت بعدها تنتظر فى كل لحظة أن يصدر اليها الأمر للقيام « بالوثبات » التالية ••• بريانسك وموسكو • ولشدة دهشة جودريان فقد صدرت اليه الأوامر ـ عن طريق التدخل المباشر من هتلر ـ بايقاف الهجوم واعادة تجميع مجموعة البانزر لدفعها فى الجنوب لمعاونة هجوم مجموعة الجيش الجنوبى فى أوكرانيا •

لقد غير هتلر هدفه لأن النجاح الرائع الذى تحقق فى الجنوب جعله يستجيب لاغراء الموارد الاقتصادية فى أوكرانيا • وبدا فجاة أن أهمية تحقيق النصر فى الجنوب تفوق الأهمية السياسية لموسكو ، وربما كان

ذلك له ما يبرره • ولكن الدفع (التورط) المبدئى للفرق الضخمة قد اثبتت أنه أكبر من أن يستطيع القادة معه اعادة تجميع قواتهم ، واعادة فتحها فى الوقت المناسب • ولو أنه احتفظ فى الأصل باحتياطى كبير لاستطاع أن يدفعه بنجاح لمعاونة مثل هذا الغرض المناسب ، ولكن الذى حدث هو أن هذا التغيير المفاجىء للهدف قد أدى الى ضياع شهر فى أعمال تخبط غير حاسمة • وكانت النتيجة أن الجيش الألمانى وجد نفسه أخيرا متورطا فى حملة شتوية مشئومة لم يعد نفسه لها ، كما لم يستطع أن يشفى منها أبدا •

والبديهية الأساسية الأخرى ـ أى المبدأ الثانى من مبادىء الحرب ـ هو العمل الهجومى •

هناك شىء يجب أن يكون واضحا منذ البداية ، وهو أن هذا المبدأ لا يستوجب من القائد ـ كما فعل مارشال فوش ـ أن يلجأ دائما الى الهجوم مهما كان الموقف التكتيكى الذى يواجهه ، بل على العكس من ذلك ، فان هذا المبدأ يرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف التى تدفع القائد الفطن الى أن يتخذ الوضع الدفاعى ؛ ذلك لأن هذا المبدأ ينادى بأنه مهما كان التكتيك المباشر الذى نلجأ اليه ، فان النجاح النهائي يتحقق فقط بالعملية الهجومية • أما ما يسمى بالعمليات الحربية الأخرى ـ أى الدفاع والانسحاب ـ فهى اما مقدمات أو مراحل متوسطة وليست « عمليات حربية » كاملة فى حد ذاتها • واذا ما أريد الحسم (النتيجة الحاسمة) ، فانه يمكن أن يتحقق فقط بواسطة العمل الهجومى •

ان أحد الموضوعات المفضلة لدى المؤرخين والمعلقين العسكريين هو الجدل الأبدى الذى يدور حول موضوع « الهجوم ضد الدفاع » • ان هذا الجدل ، اذا أخرج عن سياقه يمكن أن يؤدى الى استنتاجات مضللة • ان تفوق الأسلحة الدفاعية والمواقع الدفاعية اذا ما قورنت بتشكيلات الاقتحام ، وكذا بنسبة التفوق العددى التى يجب أن يحققها أحد الجانبين ، لكى يشن هجوما على الآخر ، وبصعوبات التحرك فى ميدان المعركة الذى تسيطر عليه النيران ••• كل ذلك يعتبر حججا يمكن أن تثار لاثبات النظرية التى تقول بان اتخاذ الدفاع هو أفضل الطرق الملائمة فى بعض الظروف • ولكن فى الواقع ، ان ما تبرهن عليه فقط هذه الاعتبارات هو أن الدفاع ، كعملية حربية فى حد ذاتها ، شكل أقوى من الهجوم •

وقد دلل « كلاوزفتز » في تحليله الفكرى للهجوم ضد الدفاع على أن الدفاع يجب أن يكون « الشكل الأقوى من أشكال الحرب » لان الجانب الأضعف كان هو عادة الذى يتخذ الدفاع ٠٠٠ ونظرا لأن اللجوء الى الدفاع قد أعاد التوازن الى مواجهة كانت ـ بغير ذلك ـ غير متوازنة بين جانب أقوى وآخر أضعف ، لذا يجب أن يتبع ذلك ، منطقيا ، أن هناك خاصية « أقوى » كامنة فى الدفاع تصلح من الموقف غير المتساوى ٠ وبالتالى فمن الناحية الاستراتيجية يجب اعتبار الدفاع أقوى فى الشكل من الهجوم ٠ ومع ذلك فخشية أن يظن أحد أن كلاوزفتز كان يؤيد اتخاذ وضع دفاعى من الناحية الاستراتيجية أو اتخاذ سياسة السلبية التكتيكية ، فقد أوضح أن الدفاع ، وان كان الشكل الأقوى ـ ذو هدف سلبى وأن الهجوم ، وهو الشكل الأضعف ، ذو هدف ايجابى ٠ لذا فالدفاع المطلق يتناقض مع طبيعة الحرب ذاتها ، لأنه لا يمكن أن يكون وسيلة للحصول على هدف سياسى ٠ واستمر فى جدله قائلا : ان الدفاع يجب لذلك أن يضع لنفسه دائما هدف اللجوء الى الهجوم ، فالدفاع فى حد ذاته ليس عملية حربية كاملة ٠ « ان السرعة والعنف فى اتخاذ الهجوم ، سيف الانتقام الماضى ـ هى أكثر النقاط بريقا فى الدفاع » ٠ وطبقا لهذا الرأى فان الاختبار الحقيقى للقيادة يكمن فى القدرة على اكتشاف « نقطة الذروة » التى يتغير عندها الميزان ، ويستنزف هجوم العدو نفسه أمام الدفاعات ، ويصبح من الممكن شن الهجوم العام المضاد ٠

هذا هو جوهر مبدأ العمل الهجومى ـ أى أنه حتى ولو أجبرت القوات على اتخاذ وضع دفاعى ، فان المعركة الدفاعية نفسها يمكنها أن تنجح فقط عندما تتحول الى الهجوم ٠

ان القائد العظيم (نابليون) الذى كانت ادارته للعمليات هى أول ما أخذ منها ، بشكل رسمى ، مبادىء الحرب ، لم يشتبك فقط فى معركة دفاعية بحتة ٠ فحتى فى ليبزج ، أو لاروثيير ، أو آرسيس أوب عندما دفع نابليون الى اتخاذ الدفاع الاستراتيجى ـ اما لأسباب سياسية أو بسبب النقص العددى ـ فقد تخلل ادارته للحملة الدفاعية سلسلة من المسيرات السريعة والهجمات العنيفة ٠ لقد قال « ان فن الحرب كله يتلخص فى دفاع متبصر وحذر يتبعه هجوم سريع وجرىء » ٠

ان الذين قاموا بدراسة نقدية للتاريخ العسكرى ، أو كانت لهم تجربة حرب فعلية سوف يتذكرون أمثلة عديدة قامت فيها احدى الامم ،

عندما واجهت موقفا دفاعيا بسبب ظروف سياسية أو ظروف أخرى ، باعداد خطط لعمليات دفاعية بحتة ٠ وهذه فى الواقع سمة تتكرر عند التخطيط للحرب فى الدول الديمقراطية ، كما نرى فى الخطط الانجليزية الفرنسية عام ١٩٤٠ ، والخطط البريطانية للدفاع عن الملايو وبورما ، وكذا فى خطط أخرى كثيرة ٠ لقد كانت هذه الخطط دفاعية بحتة ، ولم يكن من الممكن على الاطلاق أن تسفر عن حسم ناجح ان مبدأ العمل الهجومى يؤكد أنه حتى عند ادارة العملية الدفاعية يجب أن تصل الخطة الدفاعية أخيرا الى أوجها بالهجوم العام المضاد الذى تكون الخطة بدونه غير كاملة وغير حاسمة ٠ وينبغى على الاستراتيجية الدفاعية أن تفى فقط بغرض التعويض عن الميزة المبدئية لدى المهاجم ، ولكن يجب فى النهاية على القوات المدافعة أن تتخذ الهجوم مهما استغرق ذلك من وقت ٠ ان التطبيق العملى لكيفية تنفيذ هذا العمل يستنبط من بين المبادىء الكمية ؛ فمبدأ العمل الهجومى ينشد فقط اقناعنا بضرورة القيام بالهجوم ، لأن الدفاع فى حد ذاته لا يستطيع أن يؤدى الى النصر ٠

الفصل التاسع عشر

• القيم النوعية

على خلاف المبدأين الأولين اللذين يطرحان البديهيات الاساسية للحرب (وعلى خلاف المبادىء الكمية ـ كما سنرى فى الفصل التالى ـ التى تقترح مسارات عمل فعلية مستخدمة أسلوب الكتلة والحركة) ، فان مبدأى المفاجأة والتعاون يمثلان القيم النوعية التى تصلح لتكييف نظرة القائد بما يتفق مع بعض خصائص الحرب التى أبرزتها الدراسة والخبرة العسكريتين . ان هذه المبادىء ـ أكثر من كونها ارشادا للقائد نحو خطة محددة للاشتباك أو الفتح ـ تؤثر فى الاحوال التى يكون فيها نجاح الخطة التى تقررت بالفعل أكبر احتمالا .

فمبدأ المفاجأة مثلا ، لا يدل بالضرورة على مسار عمل مستقل ولكن ما ان يتقرر مسار عمل ما ، فانه من المؤكد أن فرص نجاحه تصبح أكبر اذا ما استهل فى أحوال يفاجأ فيها العدو بحيث يفقد توازنه.

ان الاستخدام غير المتوقع لأى عامل تقريبا يستطيع أن يخلق المفاجأة كما يمكن تحقيقها على كافة المستويات .. من أكثر الخططالاستراتيجية شمولا الى أكثر التحركات التكتيكية بساطة . ومع ذلك ، فانها يمكن أن تكون مؤثرة فقط اذا كان تطبيقها يحرم العدو من فرص اتخاذ التدابير المضادة فى الوقت المناسب . ومن أساليب تحقيق المفاجأة الاستراتيجية: التعبئة السريعة للجيش ، والحركة السباقة الحاسمة قبل اعلان الحرب رسميا ، والنقل السريع للقوات من مسرح لآخر . أما اختيار ما هو غير متوقع من طريق اقتراب أو غرض أو وقت هجوم ، وكذا استخدام الارض الوعرة ، أو أنواع جديدة من الاسلحة أو المعدات ، وكذا استخدام خفة حركة أكبر ، فهى وسائل متنوعة لتحقيق المفاجأة على المستوى التكتيكى .

واذا كان للمفاجأة مثل هذه الاهمية فى الحرب ، فانه ينبغى بالتالى أن تكون الوقاية من مفاجأة العدو محل اهتمام اساسى عند التخطيط .

وينبغى على القائد أن يكون دائما بعيد النظر فى تفكيره وأن يحاول التنبؤ بالأعمال غير المتوقعة التى قد يقوم بها العدو • فلا يكفى أن يضع فى اعتباره ، عند تقديره للموقف ، « مسارات العمل (طرق الحل) المفتوحة أمام العدو » ، بل يجب على القائد أن يكون مستعدا باستمرار لمواجهة حتى أبعد تحركات العدو احتمالا • لقد قال فون مولتكه :«ألاحظ أن هناك دائما ثلاثة طرق حل مفتوحة أمام العدو ، وأنه عادة ما يختار الطريق الرابع » ، ان أحد متطلبات القيادة أن تكون مستعدة دائما لهذا الطريق الرابع •

وهناك بعد ذلك مبدأ التعاون ، وهو أيضا حالة عقلية أكثر منها عاملا قابلا للحساب • ويتضمن التعاون كلا من التنسيق وملكة الرؤية لكافة نواحى الموقف من وجهة نظر موضوعية • فمن الطبيعى أن يميل القائد عند تخطيطه وتنفيذه للعمليات لأن يكون مشغولا بواجبه ومشاكله الخاصة • فاذا كان هذا هو الأساس الوحيد لخطته النهائية ، فان الخطة العامة ستفتقر الى التماسك ، وقد تكون النتيجة سلسلة من العمليات التى تنجح بصفة فردية ، ولكنها لا تتجه بالضرورة نحو النتيجة النهائية الحاسمة •

ويجب اقامة التعاون من أعلى مستويات التخطيط السياسى الاستراتيجى الى أصغر أوساط الخطة التكتيكية •• أى الوحدات والوحدات الفرعية للقوات المسلحة • ولهذا السبب فان الشكل الديمقراطى للحكم ـ الذى لا يسمح بوجود جهاز عسكرى مركزى كامل السلطة فى وقت السلم ـ يعانى من عيب أساسى فى التخطيط ، وهو أن التدابيرالعسكرية التى تتخذ لتنفيذ التنسيق الكامل لا تفرض دائما فى وقت السلم • لذا يجب على الدول الديمقراطية اتخاذ ترتيبات خاصة عند التخطيط وقت السلم لضمان امكانية التنسيق العسكرى المركزى فى حالة الحرب • ان الفشل فى تحقيق ذلك سوف تتبعه مساوىء لا تعد ولا تحصى فى حالة الحرب مع دولة ديكتاتورية أو مع دولة تكون قيادة الجهاز العسكرى فيها منوطا بها الى فرد واحد أو مجموعة واحدة •

ويمكننا أن نرى مثالا جيدا للفوضى التى يمكن أن تظهر نتيجة للافتقار الى سلطة تنسيق مركزية ، وذلك فى الادارة العشوائية للسياسة الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الاولى • ففى مرحلة واحدة ، خلال الايام الاولى من عام ١٩١٥ ، وصلت ست خطط مختلفة لادارة الحرب

الى مجلس الوزراء البريطانى ؛ اذ أن كلا من وزير البحرية ، ورئيس أركان البحرية ؛ وسكرتير مجلس الحرب ، ووزير الخزانة ، وكذا كل من القائد العام الفرنسى والبريطانى قد قدموا توصياتهم من أجـــل كسب الحرب • وفى أثناء ذلك كان وزير الدولة لشئون الهند قد بدأ تنفيذ خطة سابقة ، وذلك باصدار الأمر الى الحكومة الهندية لتبـــدأ العمليات فى رأس الخليج الفارسى (العربى) • ان النتائج المنكوبة لهذا الافتقار الى التعاون على أعلى المستويات قد وجدت الحل أخيرا بوضع ادارة الحرب فى يد مجلس حرب يتكون من وزراء استطاعوا أن يكرسوا كل وقتهم لتنفيذ واجبهم فى ادارة الحرب ، دون أن تعوقهم مسئولياتهم الفردية أمام ادارة الحكومة •

وفى المجـــال العسكرى يتم تحقيـــق التعاون الى حد كبير بواسطة نظام القيادة واصدار الاوامر ؛ فالقائد مسئول عن تنسيق التحركات المختلفة للوحدات التى تحت قيادته ، ويستطيع القائد ــ عن طريق اصدار الأوامر بواسطة ضباط الأركان ومراقبة تنفيذها ــ أن يوجه التعاون بين العناصر المختلفة تحت قيادته •

لقد برزت الى حد كبير أهمية مبدأ التعاون فى الحرب الحديثـــة بسبب الاعتماد الوظيفى للأفرع الرئيسية للقوات المسلحة على بعضهـا البعض اعتمادا وثيقا ، الا أن التنافس واختلاف وجهات النظر بين هذه الأفرع كان غالبا ما يتنكر لهذا الاعتماد • ولقد كان نظـام القيادة الموحدة التى أدخل فى الحرب العـالمية الثـــانية خطوة كبيرة الى الأمام فى هذا الشأن •• أى فيـــما يختص بالعمليـــات التى فى منطقة واحدة • أما على المستويات العليـــا ، فقد استمر وجود الافرع الرئيســـية للقوات المسلحة ككيانات منفصلة فى دعم النظام القديم • وتتزعم بريطانيا حاليا محاولة توفير أكبر من التنسيق بين المستويات المتوسطة ، ولكن التنظيم الجديد للدفاع لم يبلغ بعد حدا كافيا • وطالما استمر التنافس والشكوك التقليدية فى العمل كعوائق بين الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، فسيظل التعاون الكامل فى المجهود الحربى القومى وهميا الى حد ما •

الفصل العشرون

● المبادىء الكمية

اذا كان مبدأى المفاجاة والتعاون هما من طبيعة القيم المجردة ، فان المبادىء الاربعة التى نناقشها فى هذا الفصل هى ارشادات محددة لتخطيط وتنفيذ المعركة ، وهى مساعدات مادية تقترح مسارات عمل فعلية لفتح القوات · وهذه المبادىء هى : حشد القوة ، والاقتصاد فى المجهود والأمن ، وخفة الحركة · وسنسميها مبادىء كمية لأنها ، وان لم تكن بديهيات جامدة من بديهيات الحرب ، الا أنها مع ذلك تعبر عن حقائق أساسية معينة تحدد الطريق الى « توازن القوة » الصحيح ·· وهو الاطار الذى تصمم داخله المناورة وفتح القوات ·

ان مبدأ الحشد يتضمن أنه بمجرد ما أن يتم الاتفاق على مسار عمل حاسم ، يجب توفير أقصى قدر من القوة لتحقيق هذا الحسم · وقد قال نابليون ، الذى كان أول من ذكر الحشد كمبدأ من مبادىء الحرب : « ان فن الحرب قد يختصر فى مبدأ واحد هو جمع قوة أكبر من قوة العدو فى جهة واحدة » · وحتى اذا ما كان ذلك يبدو وكأنه نوع من التعميم ، فهناك مجال ضئيل للشك فى أنه ينبغى أن يكون الغرض الرئيسى للقائد الذى يواجه مهمة محددة له هو حشد أقصى ما يستطيع من موارد مادية للحصول على ميزة قاطعة على العدو ·

ومن النادر فى الحرب أن تتحول مهمة القائد الى مسار عمل واحد ؛ فهو فى العادة يواجه الكثير من المواقف يشكل كل منها مطلبا مستقلا على موارده المحدودة · ان المخرج السهل يبدو غالبا أنه الطريق الحسابى الواضح ، وهو تخصيص جزء من قوته الاجمالية على أساس تحديد حصة لكل منها لمواجهة كل تهديد على حدة · ولكن قد تكون النتيجة الحتمية لمثل هذا الحل أنه عندما تأتى اللحظة الحرجة فى المعركة التى تلى ذلك ، فربما لا تكون لدى القائد قوة كافية فى أى مكان تمكنه من فرض نتيجة حاسمة · وهذا هو الشرك الذى يحذرنا منه مبدأ الحشد

الذى يؤكد ضرورة انتخاب المسار (طريق الحل) الحاسم من بين عدد من المسارات البديلة المحتملة ، ثم بعد ذلك حشد قوة تتعامل أساسا مع هذا الموقف ، وهكذا يضمن أنه مهما كان المسار المختار على أنه المسار الحاسم فانه سينفذ بأقصى قدر من التفوق والمزايا • وقد كتب نابليون: « يتلخص فن القيادة فى التفوق على العدو فى ميدان القتال عندما تكون أقل منه بالفعل ، من حيث العدو » • ان مغزى هذا القول هو أن القوة الاقل عددا تستطيع ، اذا ما حشدت على الوجه الصحيح أن تهزم ، بصفة عامة ، قوة متفوقة لم يحسن حشدها •

ويجب أن يكون واضحا أن مبدأ الحشد يشترط فقط توفير أقصى قدر من الموارد ، وليس بالضرورة دفعها للاشتباك • ان الجهد اللازم لتحقيق أى عمل معين هو الذى يجب بناؤه الى أقصى حد كتمهيد للعملية ، أما الدفع الفعلى للقوات التى تم بناؤها فيتقيد بتطبيق المبادىء الاخرى أيضا ، وليس بمبدأ الحشد فقط • واذا كانت الجهود المتيسرة تدفع كلها دائما منذ بداية العمليات لتنفيذ هذه المهمة ، فقد يؤدى ذلك الى الافتقار التام الى المرونة فى التنفيذ ، وقد يصبح أى تغيير مفاجىء فى الموقف ـ يتطلب تعديل الخطة أو تحويل القوات من جهة الى أخرى ـ أمرا صعب التنفيذ ان لم يكن مستحيلا •

ان مبدأ الاقتصاد فى المجهود هو الذى يحدد أساسا دفع القوات (كشىء متميز عن جمع القوات) ، ويقتضى هذا المبدأ عندما يتم تجميع القوة لتنفيذ المهمة أن يدفع منها فى كل مرحلة فقط ذلك الجزء الذى يعتبر ملائما للظروف ، ويحتفظ بالقوات المتبقية دون أن تدفع • وهكذا فان هذا المبدأ ، فى جوهره ، هو الذى يعلمنا الاحتفاظ بقوات احتياطية

ونادرا ما يكون لدى القائد ، عند اعداده لخطة المعركة ، معلومات وافية عن العدو يبنى على أساسها تقديره للموقف • وهكذا فعلى الرغم من أن عليه اتخاذ قراره بخصوص مسار العمل المنتخب ، فسيظل هناك دائما عنصر من عدم اليقين كامن فى الموقف • لذا يجب عند دفعه للقوات أن يضع فى حسابه التطورات غير المتوقعة • ولهذا السبب يتخذ مبدأ الاقتصاد فى المجهود أهميته كمرشد كمى • وهو يقتضى عند تخطيط وتنفيذ العملية ، ورغم تنفيذ الحشد لتوفير أقصى قدر ممكن من القوات، فانه ينبغى أن يدفع فعلا للقتال أقل قدر ضرورى من القوات ، ويحتفظ بالباقى كاحتياطى يعطى القائد المرونة فيما يعقب ذلك من تنفيذ •

وغالبا ما يبدو لغير المطلعين أن هذين المبدأين ــ أى حشد القــوة والاقتصاد فى المجهود ــ متناقضان حتى من الناحية اللغوية ، ولكن ليس هناك شيء أبعد عن الحقيقــة من ذلك · فحشد القوة يتضمن البنـــاء الواعى المسبق للطاقة العسكرية ، وقد يستطيع المرء أن يقول: انه يتضمن مفهوما « استراتيجيا » ، على حين يكون الاقتصاد فى المجهود مرشدا لما يلى ذلك من فتح لهذه القوة نفسهــا بمعنى تكتيكى أكثر منـــه استراتيجى · لذا يصبح هذان المبدآن مكملين لبعضهما البعض ، وليسا متناقضين ·

أما المبدأ الآخر الذى يوفر مرشدا تجاه « توازن القوة » الصحيح فهو مبدأ الامن الذى يقتضى ، قبل دفع القوات لتنفيذ المهمة الرئيسية ضرورة الاعداد لتأمين كل الأغراض الحيوية أو المعرضة ــ مثل القواعد ، وخطوط المواصـــلات ، والاجنـــاب المكشوفة ــ حتى لا يؤدى أى تهديد مفاجىء لها بعد بدء العمليات الى تعريض تحقيق الهدف الرئيسى للخطر

ويجب ألا يفسر مبدأ الامن بأنه يدعو الى الافراط فى الحذر أو الى تقييد القائد فى تقبل المخاطرة فى المعركة · فهو فى الواقع ينطبق أساسا على مراحل التخطيط للحرب ، وهكذا فانه يمهد الطريق أمام التنفيذ · واذا تم ابعاد كل الأخطار المحتملة أو تم الاعداد لمواجهتها فى أثناء التخطيط للحملة ، فسيكون لدى القائد حرية أكبر فى العمل فى أثناء المعركة ، وسيتمكن ، بفضل الأمن القائم ، من التركيز على مهمته الرئيسية · ومن جهة أخرى ، فان هذا المبدأ اذا ما أهمل عند التخطيط ، فان القائـد سوف يتورط باستمرار فى اعتبارات الامن ، ويكون تحت رحمـــة استراتيجية العدو ·

واننا نجد من دراستنا للتــاريخ العسكرى أن أكثر القادة جسارة ونجاحا كانوا مع ذلك يعتبرون الامن عاملا مهيمنا عند التحضير للحملة· وقد قال نابليون ، وهو واحد من أكثر القادة جسارة : « اننى أحاول جاهدا أن أستعرض فى ذهنى كافة الأخطار المحتملة لأتنبأ بكل الصعاب» وقال مرة أخرى « ان العلم العسكرى يتلخص فى العناية بوزن كل العواقب الممكنة ثم ابعاد الصدفة بطريقة حسابية تقريبا » ·

واذا ما نجح القائد فى ابعاد الصدفة « بطريقة حسابية تقريبا » فى أثناء التخطيط ، فانه يعطى نفسه كل المزايا عند تنفيذ خطته · ولا ينبغى تأويل « ابعاد الصدفة » على أنه « تجنب المخاطرة » · فعلى العكس

من ذلك يستطيع القائد ، بابعاد الصدفة منذ البداية ، أن يكون أكثر استعدادا لتقبل المخاطرة اذا دعت الحاجة الى ذلك .

ومن المغالطة أن نربط بين الأمن والتهيب أو الجبن . ويجب دائما التمييز بين الأمن الايجابى والامن السلبى ، سواء فى الهجوم أم فى الدفاع ، وسواء فى التقدم أم فى الانسحاب ؛ فالقائد الذى يسمح للعدو بأن يملى عليه تحركاته وأوضاعه يلجأ الى الامن السلبى . أما الامن الايجابى فيمكن تحقيقه بواسطة الاستطلاع المستمر ، ودفع الدوريات القوية والتحرك الدائم . ان التقدير السليم للأمن ، سواء فى التكتيك أم فى الاستراتيجية ، يمهد الطريق أمام العمل الجسور لثابت العزم ويجب على القائد بعد « أن يستعرض فى ذهنه كل الصعاب والاخطاء المحتملة » أن يعد نفسه لها ، وبعد أن يفعل ذلك يصبح قادرا على ادارة المعركة كما يشاء .

ان المبادىء الكمية الثلاثة التى نوقشت حتى الآن تشكل المقومات الاساسية اللازمة لوضع قاعدة عسكرية للفتح المتوازن للقوات . وفى نفس الوقت ، فان العلاقة بين متطلباتها المتصارعة ، أو التوفيق بينها ، ليس عاملا دائما فى الحرب ، فهو يمر بتغييرات متكررة فى أثناء المراحل المتتالية من العملية . ففى المعركة الدفاعية ، مثلا ، نجد أن ضرورة الاحتفاظ بالقوات الرئيسية دون دفعها للقتال هى أكبر ما تكون فى المراحل الاولى ، أما دفع القوات ، خاصة الاحتياطية ، فيبدأ بصفة رئيسية بعد أن تتضح نوايا العدو . ولكن قد تتعارض الحركة والمناورة الضروريتين للمرحلة الأولى مع حركة ومناورة المرحلة الثانية . فاذا كانت هناك فى البداية درجة أكبر من اللازم من الحشد فى أى منطقة ، فقد يكون الوقت متأخرا أكثر مما ينبغى لاعادة فتحها ، عندما يكون العدو قد قام بالاختراق الرئيسى فى نقطة غير متوقعة . ونظرا لأن موارد القائد نادرا ما تكون كافية لتلبية كافة الاحتياجات فى وقت واحد ، فان درجة تخصيص القوات والتوقيت الدقيق لاجراء أى تغيرات ضرورية تتفق مع المبادىء الثلاثة المذكورة آنفا ، تشكل مشكلة ضخمة بالنسبة للقائد .

ان مبدأ خفة الحركة هو الذى يوفر الحلقة المرنة التى تربط بين المتطلبات المتصارعة للمبادىء الأخرى . وتؤكد خفة الحركة ضرورة تخطيط وتنفيذ العملية ، بحيث يتمكن القائد من احداث التغيير الذى يتطلبه فيما بعد توازن (أو توزيع) قواته قبل ان تتكيف ردود فعل

العدو معها • واذا تم بذل مجهود واع لاحراز خفة الحركة فى التخطيط فسيصبح من الممكن تلبية احتياجات المبادىء الكمية كل بدورها مثلما وعندما تقتضى تغيرات الموقف اجراء تبديل فى الأهمية من مبدأ لآخر • وسوف يتمكن القائد من أن يحشد ، ويفتح ، ويدفع احتياطياته ، ويعيد التجميع ، ويعيد انشاء الاحتياطيات ، ويعيد الفتح •• وهكذا يستطيع، بكمية الموارد نفسها أن يحقق مراحل متتالية من التفوق الاستراتيجى أو التكتيكى الذى لا يمتلكه من الناحية الحسابية • لقد تحدث « الكونت دى درفيو » فى كتابه « تحولات الحرب » عن أساليب نابليون فقال : « ان الحركة هى روح الحرب النابليونية ، تمـاما مثلما تشكل المعركة الحاسمة وسيلتها • ان بونابرت يجعل قواته تتحرك بسرعة محسوبة •• وبذا تضاعف نفسها بسرعتها •• وتستعيض عن العدد بسرعة المسير »•

وبالرغم من أن خفة الحركة هى واحدة من أكثر مفـاهيم الحرب شيوعا ، الا أن دارسى الحرب غير المنتظمين غالبا ما يغفلون مضمونهـا الكامل • فخفة الحركة تعنى شيئا أكبر كثيرا من الحركة السريعة •فالرتل الميكانيكى ، مثلا ، هو « جسم » سريع الحركة ، ولكنه لا يحقق بالضرورة دائما خفة الحركة فى المعركة • ومن جهة أخرى ، تستطيع المشـاة المترجلة أن تحقق درجة عالية من خفة الحركة فى أحوال معينة • ومن الضرورى لفهم مكونات خفة الحركة فهما كاملا تحليل العوامل التى تتحكم فى هذا المبدأ •

يجب أن ندرك منذ البداية أن أفضل ما يعبر عن مبدأ خفة الحركة هو الاسلوب التنافسى •• أى بمقارنة خفة حركتنا بخفة حركة العدو • ويمكن تعريف خفة الحركة بأنها القدرة على الحركة أو العمل بأسرع من العدو • وفى الحقيقة ، فان خفة الحركة ، فى أحوال الحرب الثابتة ، قد تعنى مجرد القدرة على الحركة عموما •

وحتى فى الحرب الحديثة الميكانيكية سريعة الحركة أو المحمولة جوا فانه ستظهر مناسبات يجد فيها أحد الجانبين أنه من الحيوى اكتسـاب ميزة خفة الحركة على خصمه ، ولن يكون فى مقدوره دائما أن يحصل عليها بأسلوب الحركة الميكانيكية وحدها • ان مفهـوم خفة الحركة ينطوى على افق أكثر اتساعا من ذلك •

لقد كان الأسلوبان التقليديان فى التحكم فى عامل الوقت بما يحقق الفائدة هما « الأرتال المتوازية » فى التقدم ، والعمليات من « خطوط

داخلية » . ففى التقدم فى أرتال متوازية طبق المبدأ الاول ، وهو أن الجيش الذى يتقدم على طريقين أو أكثر تجاه نفسى الغرض يصل اليه فى وقت أقل مما لو تحرك على طريق واحد فقط . وينطبق هذا على نظام الامداد كما ينطبق على حركة القوات . وأدى الافتقار الى خطوط التقدم الكافية الى الحاق الضرر بكثير من العمليات . وقد تزايدت كثيرا أهمية هذا المبدأ نتيجة للتحركات المقيدة بالطرق للحرب الميكانيكية .

أما استراتيجية الخطوط الداخلية فغالبا ما أسىء فهمها . فهى لاتدعو بالضرورة الى تنفيذ العمليات فى منطقة محدودة ، حتى يمكن شن هجمات متفرقة ومتباعدة (كما يساء تفسيرها غالبا) ، فهى تتعلق بالقدرة على تحويل القوات أكثر مما تتعلق بأى عملية حربية بوجه خاص .

ففى الأيام التى كانت سرعة الحركة الاستراتيجية تتحدد بواسطة المشاة المترجلة ، كان يعتبر من الملائم ادارة العمليات من داخل دائرة محدودة ضد عدو ينتشر حول محيط هذه الدائرة ، ذلك لأن القدرة على تحويل القوات أو الاحتياطيات تصبح آنذاك أكبر كثيرا . وبعد ذلك الوقت ، عندما استخدمت وسائل نقل أسرع ، أصبح هذا المفهوم الجغرافى لخفة حركة « الخطوط الداخلية » مقيدا أكثر مما ينبغى للقدرة على المناورة .

ان استراتيجية « الخطوط الداخلية » تعامل الآن على أنها تعبير نسبى بوجه ، بما له من مضامين ، تخطيط الاوضاع الاستراتيجية حتى يمكن اجراء الحشد من منطقة حاسمة الى أخرى بأسرع من حركة العدو المماثلة . ان تمركز القوات فى دائرة داخلية ما هو الا أحد أساليب تنفيذ هذه الخطة الحربية ، وهى ليست أكثر الاساليب ملاءمة فى الحرب خفيفة الحركة . وتفسر « الخطوط الداخلية » اليوم أساسا بأسلوب النقل .. أى الطرق ، والسكك الحديدية ، والمواصلات الجوية (١) . ولكن يجب التمييز هنا بين خفة الحركة الاستراتيجية وخفة الحركة التكتيكية فجندى المظلات ، مثلا ، يمتلك وهو فى الطائرة خفة حركة استراتيجية ولكن ليست لديه حركة تكتيكية على الاطلاق . ولفرد المشاة فى الارض

---

(١) من المعلومات أن اسرائيل كانت تتميز قبل عدوان ٥ يونيه بميزة العمل على خطوط داخلية أكثر مما تتمتع به الآن بالنسبة لقلة الطرق وصعوبة التحرك فى سيناء .

(المترجم)

الجبلية خفة حركة تكتيكية ، ولكن ليست لديه خفة حركة استراتيجية ·
ومن جهة أخرى ، فان القوات الميكانيكية تمتلك خفة حركة تكتيكية كبيرة،
كما تمتلك درجة من خفة الحركة الاستراتيجية · ولذلك يجب على القائد
عند التخطيط للعمليات أن يستغل خصائص كل جزء أساسى من قواته
لتلبية متطلبات هذا المبدأ ·

وفى الحرب الحديثة حيث تتطلب القوات الميكانيكية الضخمة معاونة
ادارية مستمرة ، يمكن زيادة خفة الحركة المحتملة للجيش زيادة كبيرة
فى مراحل التخطيط ، أى قبل فتح القوات بالفعل فى الميدان بفترة
طويلة · وهكذا فان التجميع الصحيح للأجزاء التى تتكون منها القوات ،
وما ستتخذه من تشكيلات ، وتوزيع الحمولات والنقل ، وترتيب
المواصلات الاشارية ، وتنظيم السيطرة التشغيلية الفعالة لضباط الاركان
·· كل ذلك يعتبر عوامل تخطيطية تزيد من المرونة فى التنفيذ ، وبالتالى
من خفة الحركة ·

الفصل الواحد والعشرون

● وقائع (١) الحرب

بعد أن ناقشنا مضامين مبادىء الحرب مناقشة تامة سوف نرى أن كثيرا من الاصطلاحات والاساليب المستخدمة فى ادارة العمليات لاتزيد فى الواقع عن كونها اشكالا مختلفة ومزيجا من هذه المبادىء نفسها . فمثلا يعتبر « احراز المبادأة » ـ وهو فكرة تنطبق على الاستراتيجية ذات المستوى العالى بنفس المغزى الكبير الذى تنطبق بها على معارك قادة السرايا ـ ما هو فى الواقع الا مزيج من المفاجأة والعمل الهجومى وخفة الحركة وتتحقق « الهزيمة على أجزاء » بتطبيق حشد القوة وخفة الحركة .وبالمثل فعند اعداد التقدير العسكرى فان عوامل « الوقت والمسافة » و « القوى المتضادة » ، والاستنتاجات التي تحدد مسارات العمل (طريق الحل) المكنة تتحكم فيها جميعا الى حد كبير المبادىء الكمية .. أى حشـــد القوة ، والاقتصاد فى المجهود ، والامن ، وخفة الحركة . وفى الحقيقة، فان هناك نواحى قليلة جدا للتخطيط والتنفيذ لا تلعب فيها مبادىء الحرب دورا رئيسيا .

ومع ذلك ، فخشية أن يقوى الانطباع بأن هذه المبادىء هى قواعد سحرية تستطيع أن تقدم حلولا ســـهلة للنجاح ، فقد آن الأوان لنطلق اشارة تحذير . ان الاعتماد الزائد عليها كطرق مختصرة تقود الى النصر يؤدى الى اتخاذ مواقف ومداخل مضللة فى تخطيط الدفاع ، وحتى فى الادارة الفعلية للعمليات . ان تاريخ المائة عام الماضية يقدم أمثلة عديدة لنظريات عسكرية لا يمكن الدفاع عنها برزت من فكرة أن الحروب يمكن كسبها بثمن بخس بواسطة التطبيق الحكيم للخدع والخطط الحربيـــة أو القواعد التكتيكية ـ وبتعبير آخر فكرة أن مفتـــاح النصر يكمن فى

---

(١) وقائع جمع واقع ولقد فضلت استخدامها عن كلمة حقائق ، الأولى ترجمة لكلمة Reality على حين ان الثانية ترجمة لكلمة Fact

(المترجم)

استخدام القوات - ربما يتضمنه ذلك من عدم التأكيد على حجم ونوع القوة نفسها ٠

انه اتجاه خاطىء وخطير ٠ فبينما يستطيع التطبيق الصحيح لمبادىء الحرب والاساليب التى تقترحها أن يساعد القائد على احراز ميزة على العدو (أو يعوض عيبا) فى مجموعة محددة من الظروف ، فانها (المبادىء) لا تستطيع أن تغفل واقع الحرب ٠٠ انها لا تستطيع أن تدعى أن المعارك يمكن كسبها بواسطة أعداد أو نوعية أقل ٠

وهناك مثال جيد للمآزق المسببة للكوارث التى يؤدى اليها مثل هذا التفكير التواق (١) ، وذلك فى تطور السياسة العسكرية فى بريطانيا بعد الحرب العالمية الاولى ٠ ان التجارب المؤلمة التى كبدت البريطانيين خسائر ضخمة فى المواقع الحربية بالجبهة الغربية - التى لم يعان منها الجيش البريطانى لأكثر من قرن ، على خلاف جيوش القارة - كان لها أثر نفسى على الامة جعل قادتها ينصرفون عن تصور التخطيط للمواقع الحربية الكبيرة ، باحثين عن نظام يمكنه مستقبلا أن يضمن انتصارات سريعة ، دون أن يكون عليهم دفع القوات للقتال على نطاق واسع ٠

لقد رأينا فى باب سابق أن القادة العنيدين بوزارة الحربية فى فترة ما قبل الحرب قاوموا لفترة طويلة نظريات خبراء المدرعات التقدمية ولكن حتى بين هؤلاء الذين تنبأوا بشكل أكثر وضوحا بالدور السائد الذى ستلعبه المدرعات مستقبلا ، وحاولوا وضع نظريات عن حرب المدرعات ، كانوا يركزون دائما على الدبابات الخفيفة والقوات الميكانيكية الخفيفة ٠ وبدا كما لو كان النفور النفسى من تجارب حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ قد أدى الى أن استحوذت عليهم نظرية تقول : ان المواقع الحربية واسعة النطاق يجب تجنبها مستقبلا وان القوات الخفيفة ذات خفة الحركة تستطيع ، اذا أحسن استخدامها أن تكسب الحروب بالتفوق فى المناورة على حشود العدو ٠٠ أى أن النتائج الحاسمة فى ميدان القتال يمكن احرازها أساسا بالمناورة والخبرة وبذا يمكن تجنب ضرورة المواجهة المباشرة مع قوات ضخمة ٠

---

(١) التفكير المبنى على اعتقاد تمنى المرء صحة شىء ما ، لمجرد رغبته فى أن يكون ذلك الشىء صحيحا ٠

(المترجم)

ورغم أن الألمان كانوا قد تبنوا عقيدة « السيل الجارف المدرع » من البريطانيين ، الا أنهم لم يقعوا فى مثل هذا الخطأ • فلم ينتقص فون سيكت وخلفاؤه ، فى أى مرحلة من مراحل بناء القوة العسكرية ، من قيمة التفوق المادى وقيمة المدافع والمشاة الضخمة فى معاونة تشكيلات البانزر • لقد كان نجاح الهجمات الخاطفة يدين بالكثير للاستخدام الماهر للمدرعات ، ولكن لم تكن الكتائب الكبيرة التى كان عليها استغلال الاختراق تتأخر خلفها بمسافة كبيرة أبدا •

ولسوء الحظ استمرت أوهام العمليات غير الدموية مستحوذة على البريطانيين ، مثل قدرة القوات الصغيرة خفيفة الحركة على احراز انتصاراتها بواسطة «استراتيجية الاقتراب غير المباشر» وبالقيام بمناورات تشبه حركات الشطرنج التى كان التكتيك الرئيسى فيها هو « إماتة الشاه » لا الاشتباك الحاسم • وقد وجدت هذه العقيدة المتفائلة تعبيرا عنها حتى فى كتاب تعليمى رسمى صدر آنذاك ، هو « التشكيلات الميكانيكية والمدرعة (١٩٢٩) » •

وكانت التكتيكات الخاطئة للمواقع الاولى فى الصحراء الغربية (قبل أن يتدخل أو كتلك ليستعيد الواقعية) هى النتيجة المباشرة لهذا النوع من التفكير التواق على غير أساسى •

ان البريطانيين ليسوا وحدهم الذين عرف عنهم أنهم يستسلمون لهذا النوع من العقائد الوهمية ، ففى مجال صنع سياسة ما بعد الحرب فى دول حلف شمال الاطلنطى كان عدم التوازن المزمن فى القوات التقليدية يرجع بدرجة غير قليلة الى الاعتماد المتزايد لبعض الدول الأوروبية على نظرية « الجيوش الصغيرة الجيدة » (هذا على الرغم من تجاربهم فى الحرب العالمية الثانية) •

ولقد استطاع « أوكونر » بالتنفيذ الماهر وبالقيادة الخبيرة أن ينتصر فى موقعة « بيضاء فم » (١) فى مواجهة أعداء متفوقة للغاية ولكن مثل هذه الانتصارات الباهرة لاتثبت النظرية التى تقول : ان الحروب يمكن

---

(١) احدى معارك الحرب العالمية الثانية . وقعت فى فبراير ١٩٤١ بين روميل والقوات الانجليزية ، وتقع بيضاء فم على مسافة ٨ أميال شرق الطريق الساحلى بين بنى غازى واجدابيه .

(المترجم)

كسبها دائما بواسطة التكتيكات المتفوقة أو بالتطبيق الأفضل لمبـــادىء الحرب ، أكثر مما تســـتطيع موقعـــة العلمين أن تثبت أن الحذر الزائد وفلسفة « الدوى الهائل » هى أفضل صفات القائد الناجح .

كما لا يمـكن أن نجعل من مبـــادىء الحرب أو من الاعداد المذهلة شيئا مقدسا . فرغم أن لكل منها مزاياها ، فليس فى امكان احداهـــا في حد ذاتها أن تضمن النصر . وعلى العكس فان نتائج الموقعة الحربية سوف يتحكم فيها دائما « واقع حرب » معين .. وهذا لا يحط اطلاقا من قدر المناورات الماهرة ، كما لا يقسر النجاح بأسلوب هجمات المواجهـــة أو القوات الضخمة وحدها .

ان هذه « الوقائع » - وهى حقائق الحرب التى لا يمكن التهرب منها - يمكن التعبير عنها فى شكل قوانين حتمية ثلاثة هى : -

أولا - اذا تساوت كل العوامل النوعية الأخرى أو تقاربت ، فان القـوة الأكبر (من حيث القوات ، وقوة النيران ، والتأمين الادارى) قد تسحق القوة الأصغر .

ثانيا - عندما تكون القوات المتصارعة متساوية تقريبا فى القوة ، فان الاستخدام الأكثر كفاءة للقوات (مبادىء الحرب) قد يغير الميزان

ثالثا - اذا تساوت أو تقاربت كل العوامل النوعية والكمية ، فان العامل البشرى - نوعية القوات ، وايمانهم بقضـــيتهم ، وارادة النصر لديهم - هى التى تحسم النتيجة .

وتعتبر قدرة القائد التنفيذية - أى استخدامه وفتحه الصـــحيح للقـــوات - احدى الاعتبارات الرئيســـية فى نجاح أو فشل العمليات الحربية ، ولكنها ليست الاعتبار الوحيد . ففى التكتيك (كمـــا فى الاستراتيجية) لا يمكن التغلب بالحيلة على ثقل القوة المادية - أى الكتائب الكبيرة . ويستطيع « الاقتراب غير المباشر » للاستراتيجية أو الفتح الحاذق فى الميدان التكتيكى أن يساعد على الحصول على ميزة - بل وأن يتقى الكارثة عندما يميل الميزان ضده - ولكنه لا يستطيع أن يقيم قاعـــدة سهلة للنجاح ، ان النتيجة الاخيرة لأى حرب كبرى ســوف تحسم دائما داخل اطار أوسع هو « واقع الحرب » .

الباب الخامس

حرب العصابات

الفصل الثانى والعشرون

● المفهوم الدفاعى فى الماضى

اذا كانت كل أنواع الصراع تنظمها قوانين الحرب الموضحة فى الباب الأخير ، فقد يعنى ذلك أن مجموعات الأفراد أو الأمم الضعيفة لن تكون قادرة أبدا على مقاومة القوى العسكرية التى تتفوق عليها تفوقا كبيرا . ولكن النفس البشرية ، مهما كانت طبيعتها ، لا يمكنها أن تقبل هـذا الموقف . فمنذ الفجر المبكر للتاريخ ، والمجتمعات الضعيفة والمقهورة تقاتل ضد قوات متفوقة ، وغالبا ما كانت تحقق النجاح . لقد واجه يوليوس قيصر مثل هذه المقاومة فى بلاد الغال . وفى حرب المائة عام قاست الجيوش البريطانية الكثير على أيدى قطاع الطرق السريين من رجال دى جيسكلان كونستابل فرنسا (١) . وفى العصر الحديث ، فان الثورة الجزائرية ضد فرنسا فى الخمسينات تعتبر مثالا جيدا للكفاح الناجح الذى تقوم به قوات أضعف من خصمها .

ويكمن وجه الاختلاف فى أن المعارضة المسلحة التى تقوم بها مجموعات المقاومة هذه لا تتخذ شكل الحرب التقليدية المألوفة ، اذ أن الضرورة حتمت عليها أن تتخذ أساليب خاصة بها .. أساليب تساعدها على تعويض النقص فى العدد ، والأسلحة ، والمعدات .

لقد اشتق اسم هذا النوع من الحروب من حملة المقاومة التى شنها الأسبان ضد نابليون بعد هزيمة قواتهم النظامية . فقامت عصابات من الوطنيين الأسبان ، تدفعهم حوافز قوية بتنظيم مجموعات سرية صغيرة مسلحة ولجأوا الى استخدام تكتيكات الازعاج ، وارباك خطوط مواصلات الفرنسيين ، ونهب القطارات التى تنقل مهمات الجيش ، ومهاجمة وحدات منعزلة من الجنود ، ولكن متجنبين المعارك المنظمة مهما

---

(١) وظيفة عالية فى القرن ١٤ فى فرنسا ، وكان صاحبها يعين قائدا أعلى للجيش (المترجم)

حدث . لقد تكبد الجيش الفرنسي عددا كبيرا من الخسائر على يد أفراد هذه العصابات . وعندما دخلت القوات النظامية البريطانية الحرب بقيادة ويلنجتون ، أسهمت حركة المقاومة هذه اسهاما له شأنه فى تحقيق النجاح النهائى . وقد أطلق الأسبان على هذا الشكل من القتال اسم « حرب العصابات » أو « الحرب الصغيرة » .

وللأسف ، فقد تعرض اصطلاح « حرب العصابات » لسوء الاستخدام المتكرر فى اللغة العسكرية . ففى كثير من المطبوعات الرسمية وحتى فى الكتب التعليمية ، كان يستخدم غالبا كاصطلاح عام للتعبير عن أى شكل من أشكال التكتيك الجريئة وغير التقليدية ، مثل الاستخدام غير المتوقع للأرض المقترن بخفة حركة بالغة ، أو هجمات التسلل المفاجئة. وفى الحرب العالمية الثانية ، لم يكن من غير المألوف لدى العسكريين المحترفين أن يصفوا الأسلوب اليابانى الخاص بهجمات الحصار الواسعة عبر أراض كانت معدودة على أنها أراض يتعذر عبورها ، وكذا تدابيرهم فى الخداع ، وصلابتهم البدنية ـ بأنه « تكتيك عصابات » . وفى كوريا عندما فتح الصينيون خلسة قواتهم الضخمة عبر نهر يالووفى الجبال الشمالية ، أو فى الهيمالايا عندما حاصروا وعزلوا القوات الهندية التى كانت تدافع عن المرات ، كان خصومهم يعللون هذا النجاح بتفسير هذه الأساليب بأنها « تكتيكات عصابات » ، كما لو كانت مثل هذه التكتيكات خارجة عن قواعد اللعبة (الحرب) ، مما يعطيهم عذرا سهلا يبررون به فشلهم .

ولكن هذه الاعتقادات خاطئة ؛ فالبراعة والانجاز التكتيكيين ليسا حكرا على حرب العصابات ، اذ يستطيع ـ واستطاع فعلا ـ قادة حتى أكثر الجيوش نظامية ، بما لهم من سعة حيلة وخيال خصب ـ استخدامهما من أجل الاخلال بتوازن عدو ضيق الأفق متمسك بالشكليات . كما يمكن مواجهتهما بعمليات تماثلهما فى سعة الحيلة ، والجسارة ، والصلابة البدنية ، وذلك ما أثبته الحلفاء فى الحملات الاخيرة فى بورما . كما تقدم القوات الأمريكية النظامية ، حاليا ، براهين وافية على ذلك فى فيتنام .

ان « حرب العصابات » لها مغزى يختلف عن ذلك تماما ، فهى ليست من حيث المفهوم التاريخى ، الشكل المفضل للحرب ، ولكنها فقط الشكل الذى تلجأ اليه مجموعة من الافراد أو أمة ضعيفة عسكريا . ومهما كانت أساليبها عدوانية أو ارهابية ، فهى أساسا شكل دفاعى من أشكال الحرب

يشن ضد جيش منظم ومتفوق تلجأ اليه عصابات من رجال ذوى جرأة ـ مدنيين وعسكريين على السواء ـ تفتقر الى الرجال والأسلحة والمعدات عقيدتها هى تجنب القتال المكشوف • ان الخصائص الرئيسية لرجل العصابات هى الحافز القوى ، والمعرفة الأفضل بالشعب وبالأرض • إما أساليبه فى القتال فهى الازعاج ، واقامة الكمائن ، والقيام بالاغارات والارهاب وبذا ينهك عدوا متفوقا •

انرجال العصابات لا يستطيعون بهذه التكتيكات وحدها أن يهزموا جيشا نظاميا عاقدا العزم ؛ اذ أن تكتيكاتهم ليست هى التكتيكات التى تحقق الحسم • وقد يستطيع رجال العصابات ـ مثلهم فى ذلك مثل القوات الاجنبية التى تعمل فى خدمة دولة محاربة بالنسبة للجيش النظامى ـ أن يساعدوا على كسب الحرب ، ولكن عملياتهم هى فى حد ذاتها عمليات دفاعية بحتة ، وبالتالى غير حاسمة عسكريا •

لقد كان صديقنا القديم ، كلاوزفتز ، هو الذى قام بأول محاولة جدية لوضع تكتيكات وأساليب حرب العصابات فى قوانين • ففىالفصل الخاص بالدفاع فى كتابه العظيم « عن الحرب » كان تحليله كالآتى :

« لا يمكن، بل ولا ينبغى استخدام قوات الميليشيا والمدنيينالمسلحين ضد القوة الرئيسية للعدو ، أو حتى ضد وحدات كبيرة الحجم • ولا ينبغى لها أن تحاول اقتحام قلب القوات ، بل عليها أن تقتطع أجزاء نقط منها على السطح وعلى الحافة •• وتظهر فى المناطق التى تقع علىحافة مسرح العمليات الرئيسى •• وتتبع عن قرب مؤخرة قواته فى أثناء تقدمها •• بحيث لا يملك العدو وسيلة لمواجهة أعمال المدنيين المسلحين سوى ارسال مفارز عديدة لحراسة قوافله ، ولتحتل المراكز ، والممرات الضيقة ، والكبارى •• الخ » •

لقد أحصى كلاوزفتز خمسة شروط عامة لمتابعة العصابات لعملياتها بنجاح ، وهذه الشروط هى :

- يجب على العصابات أن تمارس نشاطها داخل الدولة •
- يجب أن يمتد هذا النشاط ليشمل منطقة شاسعة •
- لا يمكن لحرب العصابات أن تتوقف أو تدور حول معركة واحدة
- يجب على الطبيعة القومية أن تساند الحرب ••

- يجب أن تكون الأرض وعرة وصعبة العبور .

لقد بنى كلاوزفتز تحليله على أساس عمليات رجال العصابات بين مالى ووترلو ، ورأى أنهم سلاح للدفاع الاستراتيجى ، حتى ولو كانت تكتيكاتهم الفعلية تتألف كلها تقريبا من الأعمال الهجومية مثل الاغارات والكمائن ، ونادرا ما تخوض معركة دفاعية . وهكذا أدرك جوهر حرب العصابات عند تحديده للخصائص العسكرية والنفسية للمتطوع الوطنى الذى يدافع عن أرض وطنه .

أما فيما يتعلق بتكتيكات رجل العصـــابات فهى ، الى حد كبير ، مسالة ظروف وانتهاز للفرص . ونظرا لأن أساليب العصـــابات تشمل المنطقة الحرام الوهمية - والتى ليس لها حد معين بين السلام الرسمى والحرب الرسمية - فمن الصعب وضع اية مجموعة من القـــواعد يمكن تطبيقها بشكل عام ، فيما عدا ان التسلل الذى يتم خلسة ، والانتشار السريع ، والاغارات الهجوميـــــة ، والمعلومات الفضـــلى هى عدة رجل العصابات . ومع ذلك ، فان أسلوب رجل العصابات يتناقض ، فى ناحية واحدة هامة ، مع المعتقدات المالوفة في الحرب . وكان تولستوى هو أول من أكد هذا المبدأ التكتيكى فى كتابه « الحرب والسلام » .

« ان احدى التحولات البارزة والمفيدة بعيدا عما يسمى بقواعد الحرب هى العمل المســتقل الذى يقوم به رجال يعملون منفصـلين ضد رجال متجمعين فى قوة ضخمة . وهذا النشاط المستقل يشاهد دائما فى الحروب التى تتخذ طابعا قوميا . وفى هذا النوع من الحروب ، بدلا من أن يشكل الرجال أنفسهم فى قوة كبيرة يهاجمون بهـــا قوة كبيرة أخرى ، فانهم ينتشرون فى مجموعات صغيرة تقوم بالهجوم كل بمفردها ، وتهرب على الفور عندما تهاجمها قوة متفوقة ، ثم تعاود الهجوم عندما تسنح الفرصة أمامها . هكذا كانت أساليب العصابات فى اسبانيا ، والقبائل الجبلية فى القوقاز ، وكذا الروس عام ١٨١٢ .

لقد أطلق على هذا النوع من الحروب اسم حرب العصابات اعتقادا بأن هذه التسمية تحدد مغزاها الخاص . ولكن هذا النوع من الحروب لا يسير وفق أى من قواعد الحرب ، وانما هو يتناقض بشكل مباشر مع احدى قواعد التكتيك المعروفة جيدا التى كانت تعتبر معصومه من الخطأ .. وهى القاعدة التى تفرض على الجانب المهاجم ان يحشد قواته لكى يكون أكثر

قوة من خصمه فى لحظة الصراع . أما حرب العصابات فتعمل بشكل يتناقض تناقضا صريحا مع هذه القاعدة .

سوف نرى أن المفاجأة، والاقتصاد فى المجهود، وخفة الحركة، والعمل الهجومى هى مبادىء الحرب الفعالة بالنسبة لرجل العصابات .. وليس مبدأى الأمن والحشد . أما فيما يتعلق بوقائع الحرب ، فان عليه أن يقاتل الكتائب الكبيرة ، لا أن يعتمد على مساندتها . ان الواقع الوحيد بالنسبة له هو أنه يجب عليه أن يقاوم مهما كانت الظروف ، ومهما كانت الوسائل التى يستخدمها غير تقليدية . ان النصر بالنسبة له أمل بعيد ، وهدفه هو المقاومة .

الفصل الثالث والعشرون

• حرب العصابات اليوم كمفهوم هجومى

كانت حرب العصابات فى الماضى ، كما رأينا ، مفهوما دفاعيا بشكل أساسى . ولا شك أن القوات النظامية كانت عند ادارة العمليات الهجومية تستخدم أحيانا رجال العصابات ، خلف خطوط العدو أساسا ، كجزء من استراتيجية هجومية عامة ومنسقة ، مثل هجوم اللنبى فى فلسطين ، حيث كان أفراد العصابات العرب التابعون لقوات لورنس يعملون فى المناطق الداخلية التى يحتلها الأتراك . ولكن حتى فى مثل هذه الحالات ، كان دور رجال العصابات ، بشكل أساسى ، دورا دفاعيا ، حتى وان كانت قد أسهمت فى النهاية فى نجاح الهجوم الرئيسى .

لقد مر هذا المفهوم بتغيير أساسى خلال القرن الحالى . لقد تعدت حرب العصابات اليوم وظيفتها الدفاعية التاريخية ، وأصبح من الممكن استخدامها كأسلوب ملائم للسياسة الهجومية التوسعية . وهناك تطوران معاصران جعلا من هذا التحول فى استراتيجية حرب العصابات أمرا ممكنا وهما : نمو سياسة التوسع العسكرى الشيوعى ، واستراتيجية الردع النووى .

لقد كان الجيش الأحمر تحت قيادة لينين وتروتسكى هو أول من اتخذ سياسة الدفاع القومى المبنى على أساس المقاومة على نمط حرب العصابات ، والتى تقوم بها قوات ميليشيا ضخمة . وكانت تلك ضرورة أجبرهم عليها افتقارهم الى الأسلحة والمعدات الحديثة خلال السنوات الأولى من الثورة . وبعد أن تساوت القوات الروسية فى التسليح مع الجيوش الأوروبية الأخرى ، بدأ الروس يغفلون مفهوم العصابات بالتدريج ، وذلك بالرغم من انتعاشه المؤقت فى أثناء الكوارث الأولى للحرب العالمية الثانية .

ويرجع الفضل الى ماوتسى تونج وقادته من الشيوعيين الصينيين فى وضع عقيدة استراتيجية مقننة لحرب العصابات الهجومية . ومثلما

كان الحال مع روسيا فى العشرينات من القرن العشرين ، كان الدافع الرئيسى لقوات الشيوعيين الصينيين فى تطوير استراتيجية حرب العصابات هو افتقارهم الى الأسلحة والمعدات الحديثة ، وكانوا يشعرون بهذا النقص بشكل أكثر حده بسبب حربهم الطويلة ضد الغزاة اليابانيين • وفى تلك الظروف ، تطور لديهم أسلوب من حرب العصابات أصبح فى النهاية هو المعول الاستراتيجى الرئيسى لهم ، حتى بعد أن توطد الحكم الشيوعى الصينى فى الجزء الرئيسى من الصين ، وبعد أن دعمت سياستهم التوسعية •

لقد بدأ ما وتسى تونج مفترضا أن أعلى أشكال الصراع السياسى هو الحرب ، فقال « بدون الصراع المسلح لن يكون هناك مكان للبروليتاريا (الطبقة العاملة) ، ولن يكون هناك مكان للشعب ، ولن يكون هناك حزب شيوعى ، ولن يكون هناك نصر للثورة » • وانطلاقا من هذه الفلسفة ، وهذا الايمان الأساسى بالصراع المسلح كقاعدة لطابع شيوعيته ، فقد كرس حياته لوضع عقيدة عسكرية تمكن القوى غير الصناعية مثل الصين من أن تتخذ موقفا سياسيا عدوانيا وتوسعيا ، حتى عندما تقاومها قوى الغرب المتفوقة ماديا • واذا كان علينا أن نفهم الاستراتيجية الهجومية لحرب العصابات الحديثة ــ وهى استراتيجية تمكن أمة صغيرة مثل فيتنام الشمالية من أن تتحدى القوة المسلحة للولايات المتحدة ــ فمن الضرورى أولا أن نلقى نظرة مقتضبة على تعاليم ماوتسى تونج العسكرية •

لقد حصر ماوتسى تونج ، فى مفهوم عريض ، الطاقة العسكرية فى ستة عناصر رئيسية ، ثلاثة منها ملموسة ، وثلاثة غير ملموسة • والعناصر الملموسة هى : نظام التسليح (الذى يشتمل على كل أنواع المعدات العسكرية) ، والتأمين الادارى ، والقوة البشرية • أما العناصر غير الملموسة فهى : المفهوم الاستراتيجى للمساحة أو المكان (وتعريفه : سطح مسرح العمليات زائد الموانع ناقص شبكة المواصلات) ، والوقت ، وارادة القتال •

ان ما يشغل بال المخططين العسكريين فى الغرب هو العناصر الملموسة ، وخاصة العنصرين الأولين •• أى نظام التسليح والشئون الادارية • ومن جهة أخرى ، أبدى الصينيون الشيوعيون أقصى اهتمامهم ، نظرا لافتقارهم الى هذين العنصرين الماديين ، بالعناصر غير الملموسة ــ المساحة ، الوقت ، والارادة ــ التى كانت ، بالاضافة الى القوة البشرية ، هى مواردهم الرئيسية • واستطاعوا أن يخلقوا من هذه العناصر أداة

عسكرية حققت من النجاح ما لم تستطع أية قوة أخرى مماثلة أن تحققه من قبل • لقد حاربوا اليابانيين بنجاح فى الأعوام من ١٩٣١ الى ١٩٤٥، وبعد الحرب هزموا قوات الكومنتانج (١) ، التى كانت الولايات المتحدة تساندها ، وأقاموا نظامهم الشيوعى • أما فى الخارج ، فقد أصبحت نظريات ماو العسكرية هى الانجيل والمحرك للمتمردين (الثائرين) فى عديد من مسارح جنوب شرق آسيا •

ان المقدمة المنطقية الأساسية لنظرية ماو هى أنه فى حالة الافتقار الى التعبئة الصناعية ، يجب أن تحل التعبئة السياسية محلها الى أن يأزف الوقت الذى تتطور فيه الصناعات • وعندما تتم تعبئة الشعب سياسيا يجب استغلال « المساحة » والقوى البشرية الموجهة عقائديا ــ وكلاهما متوفر بكثرة فى الصين ــ بحيث يوفران عامل « الوقت » • وبتعبير آخر ، ينبغى للعقيدة العسكرية أن تهدف الى اطالة حالة الحرب بما يجعلها مفهوما دائما تقريبا • وبينما تهتم العقيدة العسكرية الغربية ، بصفة رئيسية ، بكسب الحرب (لأنها تمتلك الوسائل المادية التى تمكنها من ذلك) ، فان العقيدة الشيوعية الصينية تهتم باطالة الحرب الى المدى الذى يصبح فيه عنصر « الوقت » هو العامل الموازن فى مواجهة تكون ، بدون ذلك ، غير متكافئة •

ان الغرض الرئيسى لهذه العقيدة العسكرية هو ضرورة تجنب الحسم بأى ثمن ، وبصرف النظر عن طول مدة حالة الحرب • وقد أكد ماو مرارا على ذلك فى كتابه ، ومن هذا المفهوم الأساسى ينشأ أسلوب العصابات الشيوعية كله تقريبا سواء كان دفاعيا أم هجوميا •

وفى هذا النوع من الحروب ليس هناك محل للهزيمة ، ولكن النصر ليس بالضرورة هو الهدف • فالهدف هو استمرار حالة الحرب ، بحيث ان جيش العصابات قد « ينسحب من حيث المكان ، ولكن يتقدم من حيث الوقت » ، ولكن حتى فى « الانسحاب من حيث المكان » يتم القيام بهجمات محلية عديدة ، كالاغارات والكمائن والاغتيالات ، وذلك لرفع الروح المعنوية لرجال العصابات •

ومع ذلك ، فان ماوتسى تونج ، مثل كلاوزفتز ، قد تبين بوضوح أن هذا الشكل من الاستراتيجية الدفاعية ــ أى كسب « الوقت » ــ هو

---

(١) القوات التى تعمل تحت قيادة تشانج كاى تشيك .

(المترجم)

شكل سلبى من أشـــكال الحرب وأنه يجب أن يتحول فى النهـــاية الى استراتيجية هجومية ، وذلك اذا ما أريد تلبية احتياجات الخطة الصينية الشيوعية • ويجب اعتبار مرحلة اطالة أمد الحرب ، عن طريق الازعاج وتجنب الحسم ، هى المرحلة الأولى فقط من البرنامج التوسعى العام • واذا لم تستطع ان تتطور فى النهاية الى استراتيجية هجومية تسعى الى تحقيق نتيجة عسكرية حاسمة ، فلن يكون فى مقدورها أن تدفع الهدف الشيوعى الى الأمام • لذلك يجب عدم اعتبار حرب العصابات استراتيجية دفاعية دائمة ، ولكن يجب أن توفر القاعدة التى سينطلق منها العمل الهجومى فى النهاية •

ان العمليات جزء ضرورى من الحرب ذات الطبيعة الثورية (العصابات) •• ويجب عدم اعتبار عمليات العصابات هذه كشكل مستقل من أشكال الحرب ، فهى ليست الا خطوة فى الحرب الشاملة ، وهى مظهر واحد من مظاهر الصراع الثورى •• ان وجهـــة الرأى التى تعترف بوجود حرب العصابات ولكنها تعزلهـــا ، لا تقدر أمكانيات مثـــل هذه الحرب حق التقدير •

ان عملية اطالة أمد الحرب هى التى تخلق ظروف المرحلة الثانية • وطبقا لماوتسى تونج ، فان الواقع الأكثر جوهرية عن كل ما عداه ، هو أن الدول ذات النظام التشريعى لا تستطيع أن تصمد لحرب استنزاف مثل التى تشنها العصابات ؛ سواء من الناحية المالية أم النفسية • فبينمـا تقاتل العصابات بأقل قدر من الموارد ـ المالية والمادية ـ وتستطيع أن تستمر فى حالة الحرب هذه الى ما لا نهاية ، فان القوة التشريعية التى تقاتل بقوات نظامية وموارد منظمة تجد أن العبء المالى المتراكم يصبح ، بشكل متزايد ، أمرا لا يحتمل ، بحيث لابد أن يظهر احتجاج شديد ضد هذا الشكل من الحرب التى لا يحسم فيها شيء ، ولا أمل فيها للنصر • وهذا فى حد ذاته هو ما يضعف الروح المعنوية للشعب كما يضعف قدرة القوات فى الميدان على الاستمرار فى القتال • وحتى أكثر الحكومات قوة سـوف تجد ، اذا كانت قائمة على أساس نظام تعدد الأحزاب ، أن التورط فى حرب طويلة غير حاسمة هو عملية انتحارية سياسيا •

ويطلق ماو على هذه المرحلة الثانية ـ مرحلة انهاك القوات النظامية التابعة لقوة متفوقة ماديا ـ اسـم مرحلة التجمد • وبينما يفقد العدو بالتدريج ارادة الاستمرار فى الحرب ، يقول رجال العصابات بتكديس

مخزون من المعدات المستولى عليها ، وبتنظيم الصناعات الأساسية ، وبخلق نظام مبدئى للشئون الادارية • ونظرا لأن هذه العملية حتمية - حسب نظرية ماو - فلا داعى اذن للعجلة • ان الحرب بالنسبة له زهيدة التكاليف على حين تكلف العدو كثيرا فى الأفراد ، والمعدات ، والأموال • وكلما كثرت المعدات وكثرت القوات التى يدفعها العدو ضد العصابات ، كان ذلك لمصلحتها وضد مصلحة العدو •

وتبدأ فقط المرحلة الثالثة - أى مرحلة الحسم - عندما يصبح من المؤكد أن هذا الحسم سوف يكون فى صالح العصابات • ان هجوم العصابات الذى يزداد معدله ، والذى تسانده حرب خفيفة الحركة باعداد متزايدة من القوات الشيوعية النظامية يؤدى الى تحول تدريجى نحو الهجمات التكتيكية • واذا كان هناك اى احتمال للهزيمة ، فان عناصر العصابات تعود الى المرحلة الثانية مرة أخرى • واذا بدأ الهجوم بنجاح واتجه نحو ذروته ، تصبح تكتيكات حرب العصابات هى التى تقوم بدور اضافى ، على حين تصبح أشكال الحرب النظامية - أى دفع العناصر الملموسة - هى التكتيكات الرئيسية •

ويمكن مشاهدة هذه المراحل الثلاث من استراتيجية حرب العصابات الماوية بوضوح فى الصراع الصينى اليابانى • فكانت المرحلة الأولى ، أى المرحلة الدفاعية من حرب العصابات ، هى الاستراتيجية التى استخدمت خلال الهجمات اليابانية الأولى فى شمال ووسط الصين ، حيث قام الصينيون ، كما ذكر ماوتسى تونج ، « بالتراجع من حيث المكان والتقدم من حيث الوقت » • وبعد سقوط مدن « ووهان » عام ١٩٣٨ ، بدأت المرحلة الأولى تفسح الطريق للمرحلة الثانية - كما أعلن الصينيون الشيوعيون رسميا فى ذلك الوقت • وعلى الرغم من أن الهجوم اليابانى استمر فى الاحتفاظ بمعدله فى عدة مناطق من الصين ، الا أن العصابات الصينية كانت قد بدأت فى استخدام تكتيكات انهاك العدو للوصول الى حالة التجمد •

ولم يكن تفاؤل الادعاء الصينى فى غير محله ؛ اذ بدأ اليابانيون ، بعد ذلك بفترة قصيرة ، يجبرون على اتخاذ الدفاع ، وخاصة فى المناطق التى تقع على سفوح التلال فى غرب الصين •• معقل الشيوعيين • وكان من الممكن تماما لماوتسى تونج أن ينتقل الى المرحلة الثالثة فى وقت ما من أوائل الأربعينات لولا تدخل الحرب العالمية الثانية • ولكن عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد اليابان كان الصينيون من الدهاء بحيث لم

يبذلوا أى جهد عسكرى فى قتال اليابانيين ، وقرروا أن الأمريكيين سوف يهزمون اليابانيين بأى شكل ، واحتفظوا بطاقتهم لصراع ما بعد الحرب داخل الصين نفسها • وقضت الجيوش الشيوعية سنوات الحرب فى بناء قواتها ، وتوسيع قاعدتها الضخمة واضعاف مكانة الكومنتانج ، بدلا من القيام بالعمليات العسكرية النشطة ضد اليابانيين • وعندما انتهت الحرب كان ماو مستعدا لمنازلة الجيوش الوطنية بقيادة تشيانج كاى تشيك •

وبعد استسلام اليابانيين ، فان الصين الوطنية بزعامة تشيانج كاى تشيك ـ وكانت هى الأخرى قد احتفظت الى حد كبير بطاقتها العسكرية فى أثناء قتال الحلفاء ضد اليابانيين ـ قد بدأت على الفور فى القيام بالعمليات الهجومية ضد الشيوعيين • ونظرا لأن قوات تشيانج ، التى كانت الولايات المتحدة تساعدها ، كانت متفوقة فى التسليح والمعدات ، فقد رجع ماو فورا الى المرحلة الأولى •• أى المرحلة الدفاعية من حرب العصابات • ولم يكن تقدم القوات العسكرية الوطنية خلال حملات عامى ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ تعوزه الاثارة نظرا لاكتسابها مناطق شاسعة من الأراضى الصينية فى وسط وشمال الصين • ولقد كان مقضيا على هجومهم الذى اعدوه وفقا « للنمط الغربى » بالفشل ؛ سواء كانوا يدركون ذلك أم لا ، أمام استراتيجية ماو • وكان ماو ، فى القواعد الخلفية فى منشوريا ، يقوم ببناء قوته ، وتنظيم ، وتدريب ، واعادة تجهيز رجال عصاباته بالأسلحة والمعدات المستولى عليها •

وكان الهجوم الشامل الذى شنه تشيانج على ينان Yennan عاصمة الشيوعيين ، نموذجا لاختلاف وجهات النظر بين الاستراتيجيين الشيوعيين والوطنيين • فقد شن الوطنيون هجوما « مدبرا » ضاريا على العاصمة ، وثبتوا أفضل فرقهم أمام هدف جغرافى ، وأطالوا خطوط امدادهم واستنزفوا وقتا ثمينا ، بينما أعلن شن يى chenlyi القائد الشيوعى للمنطقة أنه « طبقا للسياسات العسكرية التقليدية ، ينبغى على الشيوعيين أن يفتحوا أفضل قواتهم للدفاع عن عاصمتهم • وينبغى علينا دراسة أفضل الطرق للدفاع عن ينان ، والى متى يمكننا أن نحتفظ بها • ولسنا فى الواقع بصدد اتخاذ أى من هذه التدابير • وبدلا من ذلك، فاننا نهتم بكم من قوات تشيانج نستطيع أن نبيدها » •

أما مرحلة التجمد فكانت قصيرة ، فقد عرض استراتيجيو الصين الوطنية أنفسهم للارهاق الشديد • وفى عام ١٩٤٨ شن الجنرال لين بياو

هجومه العام المضاد من منشوريا ، وبذلك بدأت المرحلة الثالثة . وفيما بعد ، استغرق قصم ظهر الجيوش الوطنية الرئيسية شـــهورا قليلة فقط .

وفى نفس الوقت ، عندما كان الشـــيوعيون يكتسحون بهجماتهم الحاسمة الجزء الرئيسى من أرض الصين ، كانت الدائرة الاستراتيجية لماو قد بدأت فى مكان آخر ، وهو الهند الصينية . وتكررت نفس القاعدة : المرحلة الأولى من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٤٨ كانت مرحلة العمليات الدفاعية لرجال العصابات ، والمرحلة الثانية من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٠ كانت مرحلة تجميد القوات الفرنسية ، والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٥٤ كانت مرحلة التحول الى الهجوم فى قتـــال منظم انتهى بمعركة ديان بيان فو .

وكانت كوريا نوعا مختلفا من الحروب بالنسبة للشيوعيين الصينيين، فقد بدأت بالمرحلة الثالثة وانتهت وهى على وشك العـــودة الى المرحلة الثانية . لقد شن الصينيون هجوما تقليديا ، وكانوا يأملون فى تحقيق نصر سريع على التورط الأمريكى « المحدود » . وبالرغم من أن النصر لم يصبح حقيقة واقعة ، الا أن المقامرة آتت ثمارها فى النهاية ؛ اذ استطاع الصينيون ، دون أن يعكسو الدورة ، أن يخرجوا عنوة بنصر نفسى ودبلوماسى من موقف التجمد العسكرى .

ان مرونة الدورة الاستراتيجية هذه هى التى تعطى الشيوعيين الآسيويين مبررا لما يبدونه من غطرسة وحماقة فى الشئون العسكرية . فهم يثقون فى أنهم ند لأكثر القوى العسكرية تفوقا بفضل استراتيجيتهم فى حرب العصابات الثورية . فهم يشنون هجوما نظاميا اذا كان التورط محدودا ، واذا بدا لهم أن هناك احتمالا معقولا لتحقيق حسم سريع .. أى أن الحرب تبدأ بالمرحلة الثالثة . ومن جهة أخرى ، اذا عرف عن العدو أنه يتمتع بقوة متفوقة تفوقا هائلا بحيث يمنع المواجهة المكشوفة معه ، فان الصراع المسلح يبدأ بالمرحلة الأولى ، وهم على ثقة من أن هذه المرحلة ستؤدى فى النهاية الى مرحلة التجمد والاستنزاف ، وبعد ذلك يصبح الأمر مجرد موضوع وقت وصبر قبل أن تبدأ المرحلة الثالثة . وليس هنـــاك محل للفشل لأنه من الممكن دائما للدورة أن تبدأ بالعكس ، ولكن اذا تحقق الحسم فيجب عليه أن يكون حسما فى صالحكم .

الفصل الرابع والعشرون

● حرب العصابات فى العصر النووى

ربما يقال : ان الصين قد تدرجت الى ما بعد المرحلة التى كانت حرب العصابات فيها تعتبر المعول العسكرى الرئيسى لها . وهكذا ، فالعمليات التى شنتها فى كوريا فى أوائل الخمسينات وفى جبال الهمالايا الهندية عام ١٩٦٢ ، هى من النوع التقليدى الكلاسيكى . وتستطيع اليوم أن تقوم تقريبا بأية مغامرة عسكرية فى آسيا ، وهى تعلم أنها تتمتع بالتفوق التقليدى . الا أن التهديد بالتدخل الأمريكى الضخم ـ كما يحدث فى فيتنام ـ هو الذى يمكن أن يزعزع هذه الثقة العسكرية .

ولكن لا ينبغى أن يؤدى ذلك الى الظن بأن أيام الهجمات الصينية على نمط العصابات والاستراتيجية الثورية (التمردية) العدوانية قد انتهت. فهناك حالة جديدة فى عالم الاستراتيجية تعمل على بقاء التهديد بهجمات رجال العصابات من جانب الصين الشيوعية ، وهذه الحالة هى متطلبات مناورات التصعيد والتنزيل بمقتضى مفهوم الردع النووى .

ان أحد « قوانين » الحرب النووية (سنناقشها بتفصيل أكثر فى الباب التالى) هو أنه ما ان يتم الاستقرار النووى بين القوى العظمى حتى تحظر أيضا الحروب على مستويات أقل من المستوى النووى ، الا أن ذلك يتم بمقياس متدرج . فعلى سبيل المثال ، اذا كان تأثير الرادع المضاد صريحا ومباشرا فى أى مسرح ـ وهو الموقف الموجود حاليا فى أوروبا ـ فان كل أشكال العمل الحربى العلنى تستبعد ، ويمكن فقط القيام بحركات « الحرب الباردة » . ومن جهة أخرى ، اذا كان الرادع بعيدا وتأثيره غير مباشر ـ كما فى حالة جنوب شرق آسيا حاليا ـ فيمكن حتى شن حرب تقليدية على نطاق كامل ، ما دامت ستظل محدودة من الناحية الاقليمية . وتشهد حرب فيتنام بشكل مستفيض على صحة هذا « القانون » .

وعندما تحصل الصين على الحد الأدنى من القدرة النووية ، وبالتالى تبرز كمركز نووى مستقل من مراكز تقرير الحسم (أى خارج الاستقرار

الأمريكى / السوفيتى) فسوف يبدأ « حوار » نووى فى آسيا ، وفى النهاية سيقام شكل ما من الاستقرار وجها لوجه أمام كل من الولايات المتحدة وروسيا . ولن يكون هذا الاستقرار صريحا ومباشرا كما هو الحال فى أوروبا ، ولكنه سيشكل مع ذلك درجة من التوازن النووى فى آسيا. وعندما يحدث ذلك ، فان العدوان على النمط التقليدى ، مثل ذلك الذى حدث فى كوريا ، والهند ، وفيتنام قد يصبح « محرما » . وفى نفس الوقت ، ستكون هناك مرونة كافية للتوفيق بين « الأشكال الدنيا من العمليات الحربية » .. أى أعمال العصابات كامتداد مكشوف لحركات الحرب الباردة .

ان الصينيين لا يسمحون ، توقعا منهم لهذه الأحوال ، بأى تقليل من أهمية أساليب حرب العصابات فى استراتيجيتهم القومية . ولا شك فى أن درجة الاستقرار السائدة هى التى ستقرر ما هى بالضبط طبيعة الهجمات التوسعية مستقبلا . فربما لا يصبح من الممكن ، مثلا ، تطبيق كل ما يشتمل عليه مفهوم ماو ذو المراحل الثلاث والخاص بهجمات العصابات المتسللة . ولكن حتى اذا أمكن حصر حرب العصابات الشيوعية المستقبلة فى المرحلتين الأولى والثانية ـ أى الازعاج المطول (تجنب المعارك الضارية المنظمة بين القوات النظامية) ، وقلب النظم السياسية والخفض التدريجى للروح المعنوية والقوة الاقتصادية ـ فستظل الأصول الأساسية لهذا النوع « الثورى » أو التمردى » من الحرب دون تغيير .

لذا سنرى أنه من المحتمل بالنسبة للأمم المسالمة فى آسيا (أو فى الغرب فيما يختص بهذا الأمر) ألا تستريح من تهديد العدوان أو التمرد (الثورة) على نمط العصابات . ان طبيعة الأرض والأحوال السياسية والاقتصادية التى قد تسود دول الشرق النامية سوف تعرض نفسها لهذه الأساليب الانقلابية . ولهذا السبب يجب أن تتضمن استعدادات المواجهة العسكرية المستقبلة مع الصين ليس فقط الوسائل التقليدية ، ولكن أيضا تطوير الأساليب والموارد اللازمة للعمليات المضادة لحرب العصابات والتمرد .

● العمليات المضادة للعصابات

ان المهمة التى تواجه الحكومات ذات النمط الغربى اليوم هى استنباط أسلوب يستطيع أن يواجه بنجاح النمط الشيوعى الصينى الجديد من استراتيجية العصابات التوسعية ، دون أن تعرض مبادئها الديمقراطية للخطر خلال هذه العملية • وفى مثل هذا العمل لن تكون التدابير العسكرية أو السياسية فى حد ذاتها كافية للتوصل الى حل عملى • أن طبيعة وأساليب الحرب التخريبية الصينية ذات شكل يجعل العمل المضاد للعصابات لا ينجح الا اذا كانت هناك علاقة وثيقة تربط بين التدابير المضادة السياسية والعسكرية فى كل مراحل الحملة العسكرية • وهذا المطلب هو الذى يخلق أكبر الصعاب أمام أية قوة غربية تحاول قتال رجال العصابات الشيوعيين فى أية دولة آسيوية ، كما أنه لم يوجد ، حتى الآن ، حل آسيوى صرف لهذه المشكلة •

لقد رأينا فى الفصل السابق أن دورة استراتيجية العصابات الصينية تمر بثلاث مراحل هى : دفاع العصابات ، ثم الاستنزاف وتجميد الموقف ، وأخيرا « نظامية » (١) عمليات العصابات الهجومية لتحقيق الحسم العسكرى (النتيجة العسكرية الحاسمة) • وفى العمليات العسكرية المضادة ، سوف يتوقف ثقل كل من التدابير السياسية أو العسكرية على مرحلة العمليات التى وصلت اليها الحملة العسكرية الشيوعية • ومن الضرورى ، قبل بحث الأهداف والأساليب التى ستستخدم فى هذه المراحل ، أن نقيم المشاكل التى يواجهها رجال العصابات أنفسهم فى تنظيم وادارة حملتهم العسكرية •

ان المشكلة الأولى التى يواجهها قائد العصابات عند تنظيم انتفاضة

---

(١) يقصد بنظامية Regularizatiog جعله نظاميا بملاءمته مع ما يقتضيه القانون او العرف •

ثورية فى بلد اجنبى هى ضمان وجود قاعدة عريضة لهذه الحركة بين شعب ذلك البلد ، بحيث تتخذ لنفسها طابعا وطنيا . وهذه المشكلة ليست سهلة ؛ فالتنظيم حركة وطنية تعتمد على تأييد الشعب بواسطة الدعاية واثارة الحوافز وليس بالقسر والارهاب ، لما قد يكون لهما من رد فعل عكسى عنيف يؤدى فى النهاية الى تدمير الحركة .

ان مشكلة اثارة الحوافز ليست سهلة الحل على الاطلاق ، كما يتخيل البعض أحيانا . ان الرأى الذى يقول بأن العناصر الريفيـة فى الدول النامية تقع فريسة سهلة للدعاية الشيوعية هو رأى خاطىء وانهزامى . فمهما انخفض مستوى التنمية والتطوير العصرى أو الاصلاح الاقتصادى فى بلد ما ، فمن المؤكد أن قائد العصابات لن يستطيع غوايتهم بأية حالة اقتصادية أفضل . كما أنه لا يستطيع أن يأمل فى أن يجعل الشـعب يعتنق مبادئه بمجرد التبشير بالانجيل الماركسى . وقد يحقق ذلك بعض النتائج فى المجتمع الأكثر تقدما ، كما نجد فى الدول الأوربية ، ولـكنه يضيع سدى فى المجتمعات الزراعية غير الناضجةو سياسيا فى الشرق .

ان ما تستفيد منه العصابات هو تطلع الشعب الى العدالة الاجتماعية فاذا كانت الادارة الحكومية فاسدة أو عاجزة ، بحيث لا تصـــل أوامرها الى المناطق الريفية النائية ، فان سوء المعاملة الشائعة التى يتعرض لهـا الفلاح تخلق الخلفية الضرورية للاستياء الشديد الذى يوفر للعصــابات قاعدة لتجنيد الأفراد . ولكن حتى فى هذه الحالة لن تكون المهمة سـهلة دائما ، اذ يجب أن تكون درجة السخط من الشدة بحيث تجعل الفلاح يرغب فى مواجهة مستقبل يتسبب فى تشتيت حياته العـــائلية لفترة طويلة ، وهى بالنسبة لمعظم المجتمعات المتخلفة الشىء الوحيد الذى يستحق أن تعيش من أجله ، وهى الملاذ الوحيد الذى تلجأ اليه فى صراعها اليومى من أجل البقاء . ويجب أن يكون استياؤه من القوة بحيث يجعله يرغب فى تقبل قسوة نظام العصابات وتلبية المطالب البدنية والعــاطفية غير العادية التى تفرضها عليه حرب العصابات .

وحتى مع فرض أن الضيم الذى يلقاه الفلاح من القـــوة ، بحيث يجعله على استعداد لأن يواجه كل ذلك طوعا لكى يرد الضربة الى حكومته، فان المشكلة التالية لقائد العصابات هى الحفاظ على حدة حوافزه . فالروح المعنوية لرجل العصابات ترتفع مع عمل العصـــابات المستمر والنجاح المحلى مهما صغر ، وتنخفض مع ركود الموقف . كما أنهـــا ، فى نفس

الوقت ، لا تستطيع أن تعرض نفسها لخطر الهزيمة . لذا يجب على قائد العصابات أن يسير باستمرار فى طريق ضيق بين الجسارة والتهور ، حتى يحول دون ضعف سيطرته على مؤيديه .

ان مشكلة الأرض هى الأخرى ليست مشكلة سهلة الحل بالنسبة لقائد العصابات . فهو أمن فى الأرض الوعرة والصعبة العبور ، ويتمتع بميزة على القوات النظامية ، ولكنه يكون فيها فى أقل حالاته فعالية لأنه لا يجد هناك أغراضا هامة - عسكرية أو سياسية - ليهاجمها . وحتى يستطيع أن يوجه الاغارات والكمائن حيث تكون موجعة ، يجب عليه فى النهاية أن يعمل فى أكثر المناطق حساسية مثل مراكز الادارة الحكومية أو المواصلات ، ولكنه يصبح - فى هذه المناطق - أكثر تعرضا للخطر . وبجانب ذلك فان ضرورة تنظيم خطوط الامداد تجبره على أن يجازف بالخروج من عرينه ، ان لم يكن الى المدن ، فبالتأكيد الى أطراف المراكز السكانية . ان الغابة والجبل هما ملجؤه ، أما أغراضه وخطوط اعاشته فتقع فى المناطق التى يسهل قتاله فيها . ومن المسلم به أن المناطق التى يلجأ اليها فى الدول الشرقية هى مناطق شاسعة تعطيه مرونة أكبر فى القيام بالعمليات ولكنه ، فى النهاية ، يجب أن يتحول الى مراكز أعصاب الادارة الحكومية .

وأخيرا ، فان أكثر المشكلات صعوبة بالنسبة لهذا المفهوم الجديد لهجوم العصابات هى مشكلة الحساب الدقيق للنقطة التى يتم فيها التحول من الحرب غير التقليدية الى العمليات النظامية . فهذه المشكلة ليست مجرد مشكلة تقييم قدرته على القيام بحرب منظمة ، أو حتى مشكلة تقدير درجة انهيار القوات الحكومية . فبالاضافة الى ذلك ، هناك عوامل نفسية تتطلب تحليلا ودراسة دقيقتين . ان التحول السابق لأوانه الى أساليب الحرب النظامية قد يتسبب فى كارثة وفى فقدان الروح المعنوية . وفى نفس الوقت ، فان استمرار بقاء حرب العصابات لفترة طويلة قد يرهق قاعدة الكفاح الشعبية ، خاصة عند العمل فى دولة لا تكون درجة السخط فيها مرتفعة أو حيث تكون الحكومة قد قامت بالاصلاحات عقب قيام الانتفاضة الثورية . وفى مثل هذه الحالات ، قد يجبر قائد العصابات على الخروج الى العراء قبل أن يكون مستعدا عسكريا للقتال النظامى مما يؤدى الى نتائج بالكوارث .

هذه هى بعض المشكلات الرئيسية التى تواجه قائد العصابات ،

وهى ما ينبغى أن تستغل استغلالا كاملا عند تنظيم العمليات المضادة للعصابات • وليس هناك ، بالطبع ، حلول محدودة المواقف محددة ، ولكن ما لم يبذل جهد عاقد العزم على ضرب جذور التنظيم السياسى للعصابات، فسيكون الأمل ضئيلا فى نجاح الحركة المضادة •

ان العمل المضاد للعصابات يتلخص ، بشكل عام ، فى ثلاث مهام رئيسية هى : هزيمة العصابات عسكريا ، وقطع اتصالها بالشعب ، والقيام بالاصلاحات التى توطد هيبة وسلطة الحكومة • ولا يمكن النظر الى هذه المهام منعزلة ، باعتبارها تدابير عسكرية أو سياسية متميزة ، بل يجب أن تمتزج امتزاجا دقيقا بالخطة العامة ، على أن تتوقف درجة تغلب أى منها على الأخرى على مرحلة العمليات والهدف المباشر • وسيكون فى امكاننا ، اذا ما تذكرنا ذلك دائما ، أن نعين الأهداف العامة للعمل المضاد للعصابات خلال المراحل المختلفة •

ومن الواضح أن مفتاح النجاح ، من وجهة نظر العصابات ، يكمن فى المرحلة الثانية من العمليات التى يتمتع خلالها بأقصى قدر من المزايا على قوات الحكومة النظامية • ففى هذه المرحلة تكون مرحلة الدفاع ــ أى مرحلة الاختباء ، والتنظيم ، والتجنيد ــ قد انتهت ، وقواعده قد أقيمت وخطوط امداده نظمت ، وحركته تأصلت وترسخت سياسيا • فى هذا الوقت تكون العصابات قادرة على الانتقال الى مرحلة الاستنزاف ، حيث تستمر فى القتال كعصابات ولكنها ، فى نفس الوقت ، تهاجم الادارة الحكومية بصفة مستمرة ، وذلك طبقا للخطة التى أعدت سلفا ، بغرض الحاق أكبر قدر من الضرر بها •

وكما رأينا من قبل ، فان المرحلة الثانية ، مهما كانت طريقة معالجتها ، تعتبر ــ من وجهة نظر الضحية ــ مرحلة خاسرة • فالعصابات لا تسعى فى هذه المرحلة الى تحقيق الحسم ، وانما تهدف فقط الى زيادة الأعباء المالية والعسكرية باستمرار ، وكلما طال أمدها كان ذلك لصالح العصابات • لذا يجب أن يكون الهدف الرئيسى للخطة المضادة للعصابات هو منع حملتهم العسكرية من البدء فى المرحلة الثانية أو ، اذا كانت هذه المرحلة قد بدأت بالفعل ، اتخاذا التدابير ليس بغرض مواجهتهم عسكريا بقدر ما يكون الغرض هو خلق الأحوال التى تجعلهم يتحولون الى الهجوم، والفرق هنا يكمن فى توزيع الاهتمام بين التدابير العسكرية والسياسية خلال كل مرحلة •

والآن ما هى هذه الأحوال ؟ خلال المرحلة الأولى يظل رجال العصابات فى وضع الدفاع ، بحيث يجعلون تحركاتهم تقتصر على المناطق التى يتخذونها كملجأ لهم وينفذون فقط أقل قدر من الأعمال المحلية اللازمة للابقاء على حياة الحركة ٠ فهم غير قادرين على تطبيق سياسة الاستنزاف ، لأن قاعدة التعبئة الخاصة بهم لم يتم تنظيمها بعد ، وبذا لن يكونوا قادرين ، وهم على أى قدر من الثقة بالنفس ، على المجازفة بالخروج الى « المناطق الحساسة » ٠ وفى نفس الوقت ، فان هذه المرحلة هى الفترة التى يبذلون فيها أكبر قدر من النشاط السياسى ؛ اذ يقومون بتنظيم عمليات تجنيد السكان المدنيين والحصول على مساندتهم ، ويخلقون ، بصفة عامة ، أحوال جو معاد للحكومة فى المناطق الحساسة ٠ وهذه هى أضعف مراحل الانتفاضة الثورية حيث تتوفر ، آنذاك ، أكبر فرص النجاح أمام الهجوم الثورى المضاد للعصابات بشرط أن يستطيع جهاز المخابرات الحكومى أن يعطى آنذارا كافيا ٠ وفى هذا الشأن ، من المستحسن أن ندرس كيف عالج البريطانيون تلك المشكلة بمثل ذلك النجاح خلال فترة الطوارىء فى الملايو ٠

لقد كان مصدر القوة الرئيسى لرجال العصابات الخاضعين لسيطرة الصين ـ جيش تحرير شعوب الملايو ـ هو قاعدة التعبئة الخاصة بهم فى المستعمرات الكبيرة للمستوطنين الصينيين المعدمين والساخطين الذين كانوا يعيشون عند أطراف الأدغال منذ الاحتلال اليابانى ٠ وكان رجال العصابات يعتمدون عليهم كمصدر للامداد وللمعلومات ٠ وكانت المحاولات الأولى التى قامت بها القوات البريطانية لقتال العصابات بواسطة الأساليب العسكرية التقليدية البحتة قد حققت القليل ، أو لا شىء على الاطلاق ٠

وعندما عين الجنرال « بريجز » من الجيش الهندى مديرا للعمليات فى ابريل عام ١٩٥٠ قيم التدابير العسكرية تقييما سليما قائلا : انها لا تستطيع وحدها أن توفر الحل ، وان المطلب الأول لقوات الأمن هو فصل الحلقة السياسية التى تربط بين رجال العصابات وقاعدة التعبئة ٠

وبناء على سلطات الطوارىء التى كان يتمتع بها ، بدأ فى تنفيذ مشروع طموح لانتزاع هؤلاء المستوطنين من الأماكن التى يعيشون فيها عند أطراف الأدغال واعادة توطينهم بمنحهم أراضى تقع فى قرى بعيدة جدا عن الملاجىء الشيوعية ، موفرا لهم كافة سبل الحماية العسكرية لمنع الغارات الانتقامية ضدهم ٠ وهكذا تم فصل ما يقرب من نصف مليون من

المستوطنين ، وهم أكثر من عشرة فى المائة من تعداد سكان الملايو ، عن جيش تحرير شعوب الملايو والحركة الشيوعية • وتحول من كانوا يوما متطلعين الى مجتمع جديد قابل للحياة بدأ ، بمجرد أن أعيد اليه اعتباره، فى المشاركة القيمة فى اعادة توجيه الفكر السياسى بين السكان الصينيين وكانت هذه أول خطوة فى البرنامج العقائدى لحكومة الملايو لمواجهة الدعاية الشيوعية ، التى كانت حتى ذلك الوقت تمضى دون تفنيد عملى لها ودون التشكك فى صحتها •

وفى نفس الوقت ، وجه الجنرال بريجز اهتمامه الى الجانب العسكرى من المشكلة • لقد وجد أن المباشرة التطبيقية للعمل فى الماضى كانت نظامية أكثر مما ينبغى • فحتى بالنسبة لدوريات الهجوم التى كانت تدفع الى الغابات ، وجد أن معدات وتنظيم وتكتيكات الجيش النظامى كانت من الضخامة لدرجة تحتم على الجيش أن يتخذ وضع الدفاع بسبب الضربات السريعة خفيفة الحركة التى وجهها له رجال العصابات • وكان يبدو دائما أن أنباء تحرك داوريات الجيش تنتقل بأسرع مما تنتقل هذه الداوريات نفسها • ولم تستطيع الأساليب النظامية أن تلحق أبدا بأساليب رجال العصابات الذين بدوا وكأنهم يحتكرون المفاجأة وخفة الحركة • وهكذا اتجه الجيش الى الاعتماد أكثر فأكثر على التسليح المتفوق ، محاولا ان يفرض سيطرته ، ولكن رجال العصابات استطاعوا دائما ، بطريقة ما أن يتغلبوا على ذلك • لقد أدرك بريجز أن أول ما يجب عليه أن يفعله قبل أن يستطيع القيام بتقدم تكتيكى ضد الشيوعيين ، هو أن يجعل القوات المضادة للعصابات بنفس مهارة وخفة حركة رجال العصابات انفسهم ، فشكل « قوات قنص /صيد » تضم بريطانيين وصينيين ، وكان يرسلهم الى الأدغال حيث يمضون ، فى كل مرة ، ستة شهور يعيشون خلالها كرجال عصابات ويشرفون على الملاجىء • وتخلى فى الوقت نفسه عن المواجهة المباشرة التى كانت تقوم بها الداوريات الكبيرة ، أو الهجمات التى كانت وحدات فى حجم الكتائب تشنها من خارج الأدغال لتحل محلها هجمات الداوريات متعددة الشعب، التى كانت تهدف الى حرمان الشيوعيين من قواعد امدادهم وملاجئهم فى الأدغال • وعندما تحققت هذه المساواة التكتيكية مع رجال العصابات واتخذ الهدف شكلا جديدا له فيما يتعلق بالتدابير الاجتماعية والاقتصادية ـ عندها فقط ـ بدأت قيمة التفوق فى الأسلحة والمعدات تؤتى ثمارها •

لقد تطلبت خطة بريجز انشـــاء قيادة موحـــدة للحملة المدنيـــة والعسكرية ضد رجال العصابات • وفى عام ١٩٥١ عين الجنرال سيرجيرارد تميلر مندوبا ساميا وكذا مديرا للعمليات • وفى الوقت الذى زاد فيه رجال العصابات من حملتهم الارهابية ، فى محاولة يائسة لتغيير مجرى العمليات ، أعلن الجنرال تميلر سياسة الحكومة البريطانية الخاصة بمنح الحكم الذاتى للشعب • ولتحقيق أقصى قدر من تأثير الاصلاح المقترح استخدمت أساليب بارعة لادارة حملة دعاية واسعة فى مناطق الأدغال مثل « طائرات الصوت » (طائرات هليوكبيتر مجهزة بمكبرات صوت) ، ورسائل مسجلة على شرائط تسجيل « للتوزيع بالغ الدقة » بين مواقع المستعمرات • وفى عام ١٩٥٤ قصم ظهر جيش تحرير شعوب الملايو ، بالرغم من النجاح العسكرى الذى حققه الشيوعيون فى منطقة الهنـــد الصينية المجاورة • ولقد تم بنجاح هزيمة هجوم منظم جيدا للعصابات الشيوعية •

ومن المشاهد أن استراتيجية خطة بريجز كانت مبنية على أساس العناية فى توزيع الاهتمام بين التدابير السياسية فى المناطق الحساســـة لقطع الحلقة التى تربط العصابات بالشعب ، والتدابير العسكرية فى قلب أراضى رجال العصابات لهزيمتهم بنفس الأسلوب الذى يستخدمونه•

ان ما ذكر آنفا ما هو الا عرض موجز لتلك الحملة ، ولـــكنه يبرز الخطوط العريضة للسياسة الناجحة المضادة للعصابات • لقد كانت هناك عوامل أخرى مشتركة (ضمنية) ، ولكنها تختلف باختلاف المواقف • ان الشىء الهام هو القدرة على تقدير الحالة التى عليها حملة العصـــابات ، ودرجة استعدادها السياسى والعسكرى ، والمناطق المعروضة لديها ، ثم القيام بعد ذلك بشن هجوم سياسى عسكرى مدبر لضرب الحركة فى القلب لا على السطح •

أما فى فيتنام الجنوبية ، فقد أصبحت المشكلة تختلف الآن اختلافا بينا ، والسبب فى ذلك ليس درجة التورط فقط ، وانما أيضـا لأن الحرب قد اتخذت لها طبعا غريبا ذا وجهين ، فهى مزيج من حرب الأدغال التقليدية بمعاركها التى تخوضها قوات فى حجم الكتائب والألوية ، والحمـــلات السرية الصغيرة التى تشنها العصابات على مســـتوى القرية المصحوبة بتوجيه عقائدى فى المناطق الزراعية • ويظهر أن جبهة التحرير الوطنية قد فصلت عن عمد بين الحملات العسكرية والحملات السياسية ، وجعلت عمليات كل منهما متميزة ، ولا يربط بينهما دائما رباط وثيق •

ولا يزال الوقت مبكرا جدا لنعرف ما اذا كان ذلك سوء حساب من جانب الفييت كونج (جبهة التحرير الوطنية) أم لا • فعنـــدما كانوا يقصرون تكتيكات العصابات على المرحلتين الأولى والثانية ، كان يبدو أنهم يتغلبون على الأمريكيين وعلى القوات الحكومية • وكان تدرجهم الى عمليات المرحلة الثالثة النظامية ضد الأمريكيين عام ١٩٦٥ قد قاد الأمريكيين الى زيادة قواتهم مما أدى الى الحالة الراهنة من معارك المواجهة النظامية ، حيث دفعو أكثر من نصف مليون جندى أمريكى فى حرب بدأوا يتغلبون فيها ، بشكل قاطع ، على جيش التحرير •

ولكن اذا حقق الأمريكيون النصر العسكرى فسيكون ذلك مجرد انتصار لمجرد التفوق فى الســـلاح •• وهو تفوق أقوى دولة على وجه ولن يكون بالتأكيد انتصارا لأسلوب « مضاد للعصابات » ، ذلك لأنه ليس هناك الى الآن ما يدل على أن البرنامج السياسى والاجتمـــاعى الذى أعدته الحكومة تحت رعاية الأمريكيين ، لفصل سكان المناطق الريفية عن دعاية وتأثير الفييت كونج ، قد تخطى كثيرا مرحلتى التمهيد والتخطيط •

ان مسألة ما اذا كان النصر العسكرى البحت سوف يكفى لمواجهة التحدى الشيوعى القادم من الشمال فى فيتنام أمر ، فى أحسن حالاته ، مشكوك فيه • وفى الواقع ، ربما يكمن سر استراتيجية الفييت كونج ، على وجه التحديد ، فى اغراء المجهود الأمريكى على الابتعاد عن الجبهـــة السياسية والتركيز على المواجهة العسكرية ، حيث يستعد جيش التحرير فى تقبل خسائر واسعة النطاق ، حتى يعطى الجبهة السياسية للفييت كونج فرصة أكبر للنجاح • وربما تكون هانوى وجبهة التحرير الوطنية تعتمدان على مثل هذا النجاح السياسى بالذات لكى تضم فيتنام الجنوبية فى النهاية الى حظيرة الشيوعيين •• وهذا هو ما يعطى قوات الشـــمال ثقتها الهائلة فى النصر النهائى •

الباب السادس

الحرب في العصر النووي

الفصل السادس والعشرون

• العشرون عاما الأولى

ان الأمر المؤسف فى تطور الدراسة العسكرية المعاصرة هو أن الحرب النووية ، وهى حاليا العامل الرئيسى وراء كل الاعتبارات الاستراتيجية الرئيسية ، لا تزال أحد الجوانب التى تلقى أكبر اهمال فى هذه الدراسة. وربما يكون السبب هو أنها قد تطورت الى دراسة معقـــدة ـ فلسفية تقريبا ـ لدرجة أن الفرد العادى ، وحتى الرجل العسكرى المحترف العادى يعتبرها حكرا مقصورا على رجال الفكر ، ويجفل منها ، كما لو كان يجفل من معتقدات دينية مقصورة على فئة معينة • وعلاوة على ذلك ، فلأنهـــا تشكل جزءا أساسيا من الاهتمام الواعى أو اللاواعى للمفكرين ، فان اهمالها يؤدى الى اعتقادات خاطئة غير منطقية ومواقف عاطفية يكون لها تأثير واسع الانتشار حتى بين الدوائر المسئولة •

فمثلا ، ليس من غير المألوف أن نفسر فكرة « الحرب النـــووية » ببساطة على أنها ميدان معركة واسع على النمط التقليدى ، وان كان يختلف فى أن الرءوس الذرية قد أدخلت الى المعركة ، مسببة دمارا هائلا ومئات الآلاف من الخسائر فى الأفراد • أما الباقون على قيد الحياة فيتدافعون لحماية أنفسهم ، وذلك باتباع التدابير السلبية مثل الانتشار والأجهزة المضادة للتساقط الذرى ، وبعدها يمكن فقط لنوع ما من الحرب البدائية أن تستمر • ولكن الاختلاف الرئيسى بين أشكال الحرب القديمة والحديثة ـ طبقا لهذا المفهوم المسبق ـ يكمن فى القوة التدميرية للرءوس الذرية •

وفى أقصى الطرف الآخر ، نجد أصحاب التفكير التواق الذين يبحثون عن ملاذ فى الاعتقاد (المبنى على أساس المعرفة السطحية بقوانين الردع) بأن القنابل النووية ليست للاستخدام ، وانما هى للتهديد فقط • وهذا الاعتقاد يوفر لهم الاحساس بالأمن ، بالرغم من المصير الذى لاقته مدينتان يابانيتان •

وليس معنى ذلك أن هاتين النظريتين مخطئتان تماما •• اذ يمكن

حقا ، فى ظروف معينة ، لحرب نووية تكتيكية أن تأخذ الشكل السابق وصفه ، وفى ظروف أخرى قد يكون من المستبعد استخدام الأسلحة النووية • ولكن النقطة المهمة هى أن هاتين الفكرتين ليستا سوى فكرتين منعزلتين أو احتمالين فى عالم من المواقف النووية المختلفة والتى لا حد لها، والتى لا يمكن فهم تعقيداتها فهما تاما الا بعد دراسة القوانين الأساسية التى تتحكم فى الاستراتيجية النووية •

ان الغرض من هذا الباب هو محاولة القيام بمثل هذه الدراسة ، دون أن نتورط كثيرا فى المجادلات السفسطائية أو فى اللغة المعقـــدة المتخصصة للحرب النووية • وسوف نبدأ أولا باستعراض التطورات التى حدثت فى العشرين عاما الماضية ، ثم نقوم بدراسة القوانين والأفكار التى تتحكم فى هذا المفهوم الجديد للحرب • وبعد ذلك سنناقش ، بتفصيل أكثر ، الحوار النووى الذى نشأ فيما بعد بين القوتين العظيمتين مما أدى الى استراتيجية الردع • وأخيرا تربط بين الاستقرار النووى الأمريكى ــ السوفيتى وأحدث تطورات المجال النووى •• أى ظهور الصين كقوة نووية « مستقلة » •

ويمكن ، بشكل ملائم ، أن نتولى دراسة تاريخ العشرين عاما الأولى من الاستراتيجية النووية بتقسيمها الى أربع مراحل متميزة • المرحلة الأولى ، من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٥٢ ، كانت فترة الاحتكار النـــووى الأمريكى (أو ما يقرب من الاحتكار) • وفى المرحلة الثانية ، من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٥ ، بدأت روسيا تلحق بأمريكا فى السباق النووى ، وتمكنت القوتان العظيمتان من الحصول على القنبلة النـووية الحرارية • وشاهدت المرحلة الثـالثة ، من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٥٨ ، اطلاق أول صاروخ روسى عابر للقارات ، أعقبه اطلاق الأقمار الصناعية «سبوتنيك » « ولونا » التى استطاعت جميعها أن تقيم « فجوة الصواريخ » (١) بشكل واضح ، وكانت هذه الفجوة هى شاغل الأمريكيين طوال بقية هذه المرحلة •• وفى المرحلة الرابعة ، من عام ١٩٥٨ الى أوائل الستينات ، استطاعت الولايات المتحدة أن تعوض الوقت الضائع فى سباق الصواريخ بانشـاء مخزون كاف من الصواريخ العابرة للقارات لاستعادة التوازن •

---

(١) المقصود بفجوة الصوايخ هو تفوق احدى القوتين العظميين على الأخرى فى عدد الصواريخ التى تملكها بغض النظر عن عيارها وتأثيرها التـدميرى الذى يسـمى بالفجوة التدميرية ••

(المترجم)

اذا ربطنا بين المرحلة الأولى وصورة الوضع السياسى المعاصر لتلك المرحلة ، فسنرى أنها كانت أشد السنوات تأزما فى العلاقات بين الشرق والغرب . لقد كانت ميزة الاحتكار النووى الأمريكى يعادلها الى حد كبير التفوق التقليدى الهائل لدى الروس . ان الدول الأوربية بعد أن أسرعت فى تسريح قواتها المسلحة بعد انتهـــاء الحرب تمكنت من أن تحتفظ فى أوروبا باثنتى عشرة فرقة فقط تفتقر الى المعدات ، وكان التنسيق فيما بينها يتم اسميا بمقتضى استراتيجية غير فعالة لحلف شمال الأطلنطى . وكان الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية تمتلك تفـــوقا هائلا فى القوات البرية والجوية التقليدية ، الا أن التفوق النووى للدول الغربيـــة كان كافيا ـ كامكانية عسكرية دفاعية ـ لكبح جماح أية مغامرة انتهازية تقوم بها الكتلة الشيوعية فى أوروبا .

لقد أدى تفجير الروس للقنبلة الذرية فى عام ١٩٤٩ ، وكذا الهجوم الشيوعى على كوريا الجنوبية فى العام التالى الى وجود احساس بالاهتمام والالحاحية (١) ، كان مفتقرا اليه من قبل . ففى شهر سبتمبر عام ١٩٥٠ اتخذ مجلس حلف شمال الأطلنطى ثلاثة قرارات هامة هى : ـ

ـ اعادة تسليح ألمانيا (بغرض تكوين الفرق التي لم يكن من الممكن توفيرها من أى مكان آخر) .

ـ التحول الى « الاستراتيجية الأماميـــة » (أى الدفاع فى شرق الراين وليس عليه) .

ـ انشاء قيادة موحدة لحلف شمال الأطلنطى تحت قيادة قائد أعلى لقوات الحلفاء .

وفى نفس الوقت . بدأ تنفيذ برنامج شامل «للبناء الأساسى»(٢)ـ أى بناء منشآت مقار القيادة ، وشبكات الرادار والاشارة ، والمطارات ، ومستودعات الامداد ، وخطوط أنابيب الوقود ، والاحتيـاجات الادارية الأخرى .

وتلا ذلك فى عام ١٩٥٢ التصديق الرسمى على الرقم الذى

---

(١) الالحاحية هى كون الشىء ملحا أو متطلبا عملا عاجلا . (المترجم)

(٢) البناء الأساسى (أو المنشئات الأرضية) هو منشئات ثابتة ودائمة وكذا وسائل مبتكرة أو تسهيلات لمعاونة القوات العسكرية والسيطرة عليها .

(المترجم)

حدده المخططون ، كحاجة « بالغة الذروة » ، بست وتسعين فرقة ، منها عدد يتراوح بين خمس وثلاثين الى أربعين فرقة يتم تشكيلها كقوة دائمة، والباقى يتم توفيره عن طريق برنامج للتعبئة يسهل تنفيذه • ولكن الدول الأوروبية من أعضاء حلف شمال الأطلنطى ، التى أنهكتها ست سنوات طوال من الحرب والتى كانت تعتمد على الرادع الكامن فى قوة القاذفات النووية الأمريكية بعيدة المدى ، لم تبد أية رغبة فى تنفيذ هذا القرار الأخير •

هذه هى السنوات التى شاهدت تفكيرا عميقا وطويلا فى المداخل الأمريكية (المفهومة ضمنا) الى الاستراتيجية النووية مثل الحرب « الوقائية » و « المسبقة » • وقد تصور كلاهما قيام هجوم نووى متعمد (دون استفزاز فى حالة الحرب «الوقائية» ، أما فى حالة الحرب «المسبقة» فان العمل العدوانى المحدد هو الذى يستفزه) بغرض تدمير القوة العسكرية السوفيتية ، وخاصة القواعد النووية المبنية حديثا • ولم تكن امريكا ، كقوة ديمقراطية بوضعها الراهن ، تستطيع أبدا أن تعلن مثل هذه الاستراتيجية الهجومية • ولكن لم تكن هناك ، فى واقع الأمر أية استراتيجية أخرى تستطيع أن تكون مقنعة تماما فى هذه الفترة التى دعم فيها التفوق الروسى التقليدى ، بواسطة قوة نووية مبتدئة ، الى حد ينذر بالسوء (١) •

وقد يبدو أن الاستراتيجية الأمريكية فى كوريا تتناقض مع طريقة الحرب الوقائية • وقد يثار حقا هذا التساؤل : لماذا لم يستخدم الأمريكيون القنبلة الذرية — كما اقترح ماك آرثر بالفعل ؟ والاجابة على ذلك أنه كان من المحتمل أن يستخدموها اذا ووجهوا ، فى أية مرحلة ، بهزيمة حتمية• وفى الواقع ، لقد فضل الأمريكيون قبول سلسلة من المواقف المتجمدة فى الحرب التقليدية على اللجوء الى الأسلحة النووية ، وذلك ليس فقط بسبب

---

(١) يقول ماكنمارا فى كتابه « جوهر الأمن » الصادر فى فبراير عام ١٩٦٨ : « وحتى مع احتكارنا النووى فى أوائل فترة ما بعد الحرب ، كنا غير قادرين على روح الضغوط السوفيتية ضد برلين أو ردع تأييدهم للعدوان فى كوريا . واليوم لا يؤدى تفوقنا النووى الى ردع جميع اشكال التأييد السوفيتى للتمرد الشيوعى فى جنوب شرقى آسيا . وكل ما يعنيه ذلك ، هو اننا وحلفاءنا ايضا نحتاج الى قوات كبيرة غير نووية لنواجه مستويات العدوان التى لا يمكن للقوات الاستراتيجية الضخمة أن تردعها فى الواقع » .

(المترجم)

النتائج المعنوية المروعة التى يتضمنها التصعيد النووى ، وانما أيضا لأن الروس كانوا قد امتلكوا مخزونا من الأسلحة النووية ، وان كان ذا قدرة صغيرة ، الا أنه يمكنه أن يهدد بالانتقام النووى فى أزمة أخرى فى أوروبا أو آسيا .

وفى نهاية عام ١٩٥٢ حقق برنامج « البناء الأساسى » لمنظمة حلف شمال الأطلنطى تقدما ملحوظا ، ولكن القوة البرية كانت لا تزال أضعف من أن تواجه هجوما سوفيتيا واسع النطاق . وفى نفس الوقت ، فان احتمال تحقيق السوفيت لسيادة مفاجئة (وهو ما كان يثير مخاوف حلف شمال الأطلنطى فى السنوات الأولى) قد تضاءل كثيرا نتيجة لوسائل التدريب والتنسيق التى وضعها نظام القيادة الموحدة . وعلى العموم ، فقد كانت هناك ، نتيجة لذلك ، ثقة فى حلف شـــمال الأطلنطى خلال المرحلة الثانية فى أن فرقة الخمس عشرة تستطيع أن تصمد فى منطقـــة الراين اذا هاجمتها روســـيا بالخمس والعشرين فرقة التى كانت تتوفر لديها بشكل مباشر آنذاك فى أوروبا الشرقية . ويعتبر ذلك ، على أية حال ، فترة كافية تسمح للقيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية بأن تمهد الطريق ، اما لضربة استراتيجية أو لهجوم عام مضاد تكتيكى .

ومن المثير للسخرية أنه ما أن بدأ الاحساس بهذه الثقة الجديدة ، حتى تغير الميزان النووى بسرعة سببت هواجس خطيرة فى المعســـكر الغربى . لقد تطورت التكنولوجيا النووية السوفيتية بسرعة مذهلة ، ففى شهر أغسطس عام ١٩٥٣ حصل الروس على قنبلة هيدروجينية صالحة للاستخدام ، قبل أن تحصل عليها الولايات المتحدة بعدة شهور (على الرغم من أن الأخيرة كانت قد فجرت « جهازا » (١) هيدروجينيا فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٢) . كما تمكن الروس أيضا من بناء قوة فعالة من القاذفات النووية بعيدة المدى بأسرع كثيرا مما كان متوقعا . وفى نفس الوقت ، بدأ تنفيذ برنامج لتسليح قواتهم البرية فى أوروبا بمجمـوعة كاملة من الأسلحة النووية التكتيكية .

---

(١) جهاز التفجير النووى :

اى جهاز تفجير يستغل الطاقة الناتجة عن الانقســـام النـــووى لذرات العنـــاصر الثقيلة التى تصلح كوقود نووى يسمى جهاز تفجير نووى . وهو يصلح فقط للاختبارات والتحكم فى ظروف التفجير النووى كخطوة فى طريق الوصول الى ذخيرة نووية اى قنبلة تحملها طائرة أو رأس نووية يحملها صاروخ أو جزء من دانة تطلق من ماسورة مدفع أو لغم يوضع تحت سطح الأرض أو على السطح . وواضح أن جهاز التفجير لا يصلح للاغراض العسكرية .

(المترجم)

وهناك تطور استراتيجي آخر قد حدث في المرحلة الثانية ، وهو سحب القوة النووية الضاربة الأمريكية من أوروبا ؛ ذلك لأن قدرة القنبلة النووية الحرارية (الهيدروجينية) على تدمير مناطق شاسعة جعلت قواعد القيادة الجوية الاستراتيجية في غرب أوروبا معرضة أكثر من اللازم . وقد سحبت القيادة الجوية الاستراتيجية الى الولايات المتحدة ، وان استمر الاحتفاظ بمحطات اعادة الملء وقوعد أمامية في أوروبا .

لقد تأكد الخطر الكامن في هذا الموقف بسبب التوترات السياسية التي سادت المشكلة الألمانية في ذلك الوقت . ولم يستطع أى من الحلول التي اقترحت على التوالي — مثل اعادة توحيد ألمانيا ، أو سحب القوات منها ، أو تحييدها — أن تنجح ، حتى في الوصول الى درجة ضئيلة من الاتفاق . وكان هناك خوف حقيقي في أوروبا الغربية من أن يقوم الروس بمحاولة مفاجئة لتحقيق سيادتهم على ألمانيا ، وكان الضمان الوحيد ضد هذه المحاولة هو التهديد بالانتقام النووي . ونظرا لعدم وجود فرق من قوات ألمانيا الغربية (رغم أنه كان قد تقرر اعادة تسليح ألمانيا في عام ١٩٥٠ الا أن هذا القرار لم يكن قد تصدق عليه بعد حتى عام ١٩٥٥) ، فقد كانت قوات حلف شمال الأطلنطي لا تزال غير قوية بدرجة تكفي لمنع « أمر واقع » محلى مثل هذا .

وفي تلك الظروف تحولت الولايات المتحـــدة ، عام ١٩٥٤ ، الى سياسة نووية جديدة هي سياسة « الانتقام الجسيم » (١) .

وكان هذا تحديدا قاطعا للهدف يفرض بالقوة قرارا استراتيجيا واضحا ، وهو تصعيد الصراع الى حرب نووية عند أول بادرة — من أى نوع — للعدوان . وبالرغم من أنها أثارت نقدا لاذعا في كل من أمريكا وأوروبا ، الا أن الانتقام الجسيم أصبح هو المبدأ المرشد للاستراتيجية العسكرية لمدة خمس أو ست سنوات تالية .. أى خلال المرحلتين الثانية والثالثة . وكانت سياسة « النظرة الجديدة » للقوات المسلحة الأمريكية

---

(١) سياسة الانتقام الجسيم هي السياسة المشتقة من سياسة الردع ، والتي اتبعتها امريكا منذ عام ١٩٥٣ ، أى في أوائل رئاسة ايزنهاور ، ولكن لم تعلن رسميا الا في ٥٤/١/١٢ بواسطة دالاس وزير خارجيتها وهي تعني التهديد بالرد بالأسلحة النووية الاستراتيجية بطريقة تأديبية على أى عدوان مهما كان صغيرا . وقد يكون من الانسب تسميتها استراتيجية بدلا من سياسة ..

(المترجم)

ـ أى تخفيض القوة التقليدية والاعتماد أساسا على القوة الضاربة النووية ـ هى النتيجة المباشرة للتحول الى استراتيجية الانتقام الجسيم ٠

وبالنظر الى التطور الذى تلا ذلك بالنسبه للردع باعتباره اكثر العناصر أهمية فى السياسة النووية المعاصرة ، فان الشك يظهر أحيانا فيما اذا كان الانتقام الجسيم ، فى أى وقت من الأوقات ، هو الاختيار الصحيح ٠ لقد كان فى الحقيقة سياسة قابلة للتصديق تماما ، نظرا للظروف السياسية التى سادت تلك الفترة ٠ ويجب أن نتذكر أن القيادة الجوية الاستراتيجية بعد أن أجليت عن أوروبا كانت (خلال المرحلة الثانية) بعيدة عن متناول القاذفات الضاربة الروسية ، على حين كانت القوة الضاربة الأمريكية ، التى كانت تعمل من قواعد متوسط فى أوروبا ـ تستطيع أن تهاجم الأغراض الروسية عندما تشاء ٠ لقد كانت هذه الميزة النووية ، بمقارنتها بسيئة التفوق التقليدى الروسى المستمر ، هى التى لم تترك بديلا أمام الأمريكيين عن التصريح العلنى باستراتيجية الانتقام الجسيم ٠

وخلال الجزء الأخير من المرحلة الثانية ، بدأ فتح « توزيع » الأسلحة النووية التكتيكية الأمريكية فى أوروبا ، كما تقرر السماح لقوات حلف شمال الأطلنطى بأن تبنى خطط الحرب على أساس استخدام الأسلحة التكتيكية الذرية منذ بداية الأعمال العدائية ٠ وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة قد احتفظت بحق الموافقة النهائية على اطلاق هذه الأسلحة (فيما عرف بالخطة م س ـ ٧٠) (١) ، الا أنه من الناحية العملية كانت موافقة الأمريكيين أمرا مفروغا منه ٠ وكانت احدى النتائج المؤسفة لهذا القرار هى أن أعضاء حلف الأطلنطى فقدوا فيما بعد كل اهتمام بالخطة الأصلية بزيادة القوات البرية ، حتى ولو الى قوة مخفضة لوقت السلم تتكون من خمس وثلاثين فرقة ٠ لقد كانوا يشعرون بأن القوة النيرانية النووية التكتيكية تعتبر أكثر تعويضا عن النقص فى القوات البرية ٠

وأعلنت المرحلة الثالثة من مراحل هذا العرض باحراز السوفيت قصب السبق فى الصواريخ ، والذى تأكد بشكل مثير باطلاق القمر الصناعى (سبوتنيك) الأول ٠ وبعد ذلك بفترة وجيزة ، عندما بدأ السوفيت فى تخزين الصواريخ العابرة للقارات ، أصبحت قواعد القوات النووية الضاربة فى أمريكا لأول مرة واقعة فى مدى الرءوس النووية

---

(١) m.c-70 plan (المترجم)

السوفيتية . لقد غير هذا السبق التكنولوجي الهام من الموقف الاستراتيجى بشكل جذرى ، لدرجة أنه كان هناك تردد ملحوظ فى الاستراتيجيـة النووية الأمريكية استمر لعـدة سـنوات ، ونشبت مشـادة حادة فى واشنطن حول ما اذا كان التغلب على هذا الضرر الناجم عن فجوة الصواريخ سيكون بالاسراع فى زيادة القدرة الهجومية للقوة الضاربة باعطاء الأولوية فى المصروفات لزيادة المخزون الموجود ، أم يكون بالتركيز على التدابير الدفاعية السلبية لحماية القوة الضاربة الموجودة بما يضمن حدا أدنى للقدرة على البقاء فى حالة قيام السوفيت بتوجيه الضربة الأولى (١) . لقد دافع البنتاجون عن الحل الأول ، على حين أيد الزعماء السـياسيون البرنامج الدفاعى ، وكانت وجهة النظر السياسية هى التى تغلبت . وبدأ تنفيذ مشروع باهظ التكاليف للدفاع الجوى ، ولكن سرعان ما اتضح أن برنامج الصـواريخ السوفيتى قد تفوق كثـيرا على البرنامج الأمريكى مما جعل التدابير التى أدخلت حديثا ، حتى فى أحسن الأحوال ، ذات فاعلية جزئية فقط ضد الهجوم النووى السوفيتى (٢) . وفى نفس

---

(١) القدرة على الضربة الأولى :

هى القدرة النووية الاستراتيجية الكبيرة بدرجة كافيـة والتى ـ فيمـا يتعلق بدرجة تعرض العدو ـ تجعل الضربة الاولى ممكنة .. أى تكفل نجاحا عسكريا للعملية ، أو التى تجعل استراتيجية الضربة الأولى ممكنة .. ولكنها ربما لا تكون كافية للقيـام بالضربة الثانية .. أى الرد بفعالية على ضربة أولى قد يوجهها العدو .

ان هذا الاصطلاح غامض الى حد ما ، لأنه قد يعنى ببساطة قدرة دولة ما على الهجوم على دولة اخرى بقوات نووية اولا . ولكن هذا الاصطلاح ، كما يستخدم عادة ، يتضمن اكثر من ذلك .. انه يتضمن القضاء على القوات الانتقامية للدولة التى وقع عليها الهجوم ، أى تلك القوات المعدة للقيام بالضربة الثانية .. هذا هو المعنى الذى لابد من فهمه .

ومن الواضح ان القدرة على الضربة الأولى انما هى مفهوم استراتيجى هام . ان الدولتين العظميين لا تسمح اى منهما للطرف الآخر بأن يمتلك قدرة على الضربة الأولى ضدها . ان مثل هذا الوضع لن يكون بمثابة تهديد غير محتمل لأمن اى منهما فقط ، بل انه سيؤدى ايضا الى القضاء على قدرة كل منهما على ردع العدوان النووى (المترجم)

(٢) ان كل شبكة للصواريخ المضادة للصواريخ الممكنة الآن تتضمن اطلاق صواريخ دفاعية على الرءوس الهجومية القادمة فى محاولة لتدميرها . ولكن ما يتجاهله كثير من المعلقين على هذا الموضوع هو ان مثل هذه الشبكة يمكن التغلب عليها بسهولة بأن يطلق العدو مزيدا من الرءوس الهجومية أو الرءوس الهيكلية او الخداعية ، باعداد اكبر مما يمكن للصواريخ الدفاعية ان تواجهه . وهذه هى عقدة ظاهرة الفعل ورد الفعل =

الوقت ، فان تفوق القوات البرية السوفيتية ، التى أصبحت حينئذ ميكانيكية بشكل كامل ومسلحة بالأسلحة الذرية التكتيكية ، قد أعطى السوفيت ميزة مادية فى كل مجالات الاستراتيجية ... تقليدية ونووية. وكانت تلك هى المرحلة التى أعادوا فيها اثارة مشكلة برلين ، واستطاعوا القيام بأعمال سياسية عدوانية فى الجبهات العالمية الأخرى أيضا (بما فيها قعقعة السيوف الناجحة والدالة على الثقة فى أزمة السويس) (عام ١٩٥٦).

وتم على وجه السرعة تخطيط واجراء بعض التعديلات فى الاستراتيجية الدفاعية لحلف الأطلنطى لمواجهة الموقف الجديد . ففى المجال التقليدى ، غير القائد الأعلى لقوات الحلفاء من دور القوات البرية ، فجعله يتعدى وظيفة « سلك الاعثار » (١) السابقة الى مفهوم « الدرع » (٢) ... أى القيام

= النووى . فلو نشرت أمريكا شبكة كثيفة من الصواريخ المضادة للصواريخ فى جميع أرجاء البلاد ، فمن الواضح أن السوفييت سيكون لديهم دافع قوى لزيادة قدراتهم الهجومية حتى يقضوا على ميزة أمريكا الدفاعية ، والعكس صحيح أيضا .. اذن ليس من المجدى لأى منهما أن ينفق بلايين الدولارات أو الروبلات ، ثم يجد نفسه فى النهاية ـ بعد كل هذا الانفاق وكل هذا التوزيع ، وكل هذه الجهود ـ أنه ما زال عند نفس نقطة التوازن فى ميزان الأمن التى يقفان عندها الآن . وهذا ما دعاهما الى المباحثات الحالية فى هلسنكى وفيينا . (المترجم)

(١) سلك الاعثار هو تعبير مجازى يقصد به قوة عسكرية ذات قدرة دفاعية صغيرة نسبيا ـ موضوعة فى الأمام ـ وظيفتها الابلاغ عن أى هجوم من شأنه أن يحدث تدخل قوات كبيرة ، بما فى ذلك قوات استراتيجية نووية ، فى الدفاع عن منطقة ما .

وهو مفهوم يقوم على أساس أن فرق حلف شمال الأطلنطى الموجودة فى أوروبا الغربية يجب ألا يكون لها دور آخر ـ « فور أن تصطدم بهجوم معاد أو فور أن » ينقطع الخيط ـ سوى فتح الطريق أمام القوات النووية للدولة الغربية المكلفة بالقيام بالعمليات الانتقامية . ماكسويل تايلور فى عام ١٩٦١ بعد ظهور التفوق السوفييتى فى الصواريخ عابرة القارات، (المترجم)

(٢) الدرع : قوات نووية استراتيجية قادرة على منع هجوم نووى كبير تقوم به قوة مضادة .. ويعود هذا الاصطلاح ، فى الاصل ، الى التعبيرات المجازية لحلف شمال الاطلنطى ، وكان يستخدم بواسطة المتحدثين الرسميين ليعرفوا استراتيجية وامكانيات حلف شمال الاطلنطى حيث يمكن « للدرع » ـ الذى يتكون من قوات تقليدية وقوات نووية صغيرة فى غرب أوروبا ـ من مواجهة العدوان لحين قيام القيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية ـ بوصفها « سيف » الحلف ـ بالانتقام . ولقد انعكس معنى التعبيرين منذ عام ١٩٦١ ، وتأيد المعنى الجديد رسميا بواسطة مكنمارا فى ديسمبر عام ١٩٦٢ .

والواقع أن المؤلف استخدم تعبير « الدرع » بمفهومه القديم ، حيث كان يجب ان يستخدم تعبير « السيف » ذلك لأن الاصطلاحين قد انعكس معناهما تماما منذ عام ١٩٦١ كما أوضحنا . (المترجم)

بدور التعطيل لتثبيت الهجوم الروسى لمدة ثلاثين يوما ، وهى الحد الأدنى المطلوب « لتعبئة » القيـــادة الجوية الاستراتيجية فى قواعدها الخلفية بأمريكا . وفى نفس الوقت ، تم التوصل الى شكل من أشكال التوازن النووى بفتح الصواريخ متوسطة المدى ذات الوقود السائل من طراز « ثور » و « جيوبيتر » فى أوروبا وحولها ، ومن هناك تستطيع أن تشتبك مع الأغراض التى تقع داخل الاتحاد السوفيتى . وقد قطعت هذه التدابير أكثر من نصف الطريق نحو اعادة الثقة الاستراتيجية فى حلف شـــمال الأطلنطى ، لأنه فى تلك الفترة الحاسمة لم تكن القوة النووية السوفيتية قد امتلكت صواريخ عابرة للقارات كافية لاسكات كل من مواقع الصواريخ فى أوروبا وقواعد القيـــادة الجوية الاستراتيجية على جانبى الأطلنطى . ولكن الســـوفيت استمروا خلال المرحلة الثالثة فى الاحتفاظ بالمبـــادأة النووية ، كما اتضح تماما من تحركاتهم السياسية العدوانية فى أوروبا وافريقيـــا .

وفى المرحلة الرابعة ، بدأت الولايات المتحـــدة تعوض تخلفهـــا فى سباق الصـــواريخ العابرة للقـــارات ، وسرعان ما قامت بتخزين قوة من الصواريخ قوى بما يكفى لاستعادة التوازن . وفى غضون سنوات قليلة امتلك كلا الجانبين حشدا رهيبا من الصواريخ الموجهة نحو أغراض محددة لها ، أصبح من الضرورى معها اعادة تشكيل الأوضاع النووية السابقة لوضع ميزان للاستقرار مبنى على أساس التهديدات النووية المتبادلة ... أى استراتيجية الردع .

وكان للنفوذ الذى مارسه كيندى بعد انتخابه للرئاسة تأثير ملحوظ على السياسة النووية للولايات المتحدة . لقد نجح ، بتقديمه عصرا جديدا من التقييمات الفـــكرية ذات المســـتوى الرفيع ، فى الموازنة بين المطـــالب المتصـــارعة لوجهات النظر المتعارضة وفى تعـــديل استراتيجية الانتقـــام الجسيم بدرجة جعلتها تسمح بتطبيق « الردع المتدرج » ، وكذا ترجمتها العسكرية وهى استراتيجية الجنرال ماكسويل تايلور الخاصة « بالرد

المرن » (١) ··· وهكذا جرى تعديل المفهوم السابق للتصعيد التلقائي ·
لقد كانت احدى نتائج هذه الاستراتيجية الجديدة أنه أصبح من الضروري، أكثر من ذي قبل ، الاحتفاظ بالسيطرة على الأسلحة النووية التكتيكية المفتوحة في حلف شمال الأطلنطي ، بحيث يصدق السوفيت ، في الوقت الذي يعلمون فيه مدى فاعلية الرادع المحلي ، أن الاستراتيجية الأمريكية الشاملة قد عقدت النيـة على مواجهة العدوان بنفس مسـتواه ، وليس باللجوء الى التصعيد التلقائي ·

ومما يؤسف له أن هذا التخفيف من صلابة الموقف الأمريكي قد أدى الى نشوب خلاف حاد داخل شمال الأطلنطي · وكان من الطبيعي أن يبدأ أعضاء الحلف الأوروبيون في ابداء شكوكهم حول السياسة الأمريكية الخاصة بالاحتفاظ بحق الاحتكار المطلق لاطلاق الأسلحة النووية · وكانت حجة الدول الأوروبية في ذلك الموقف الاستراتيجي الجديد ـ حيث كانت الصواريخ النووية السوفيتية تهدد تهديدا مباشرا بابادة الولايات المتحدة في أرضها ـ قد يكون له تأثير عكسي على استعداد أمريكا لتصعيد الحرب التقليدية المحتملة ، التي قد يبدؤها الاتحاد السوفيتي في أوروبا ، الى مستوى الأسلحة النووية التكتيكية · وكان الضمان الوحيد ضد هـذا الاحتمال ، من وجهة النظر الأوروبية ، هو أن تمنح لهم صلاحية تصعيد الحرب التقليدية الى المستوى النووي التكتيكي ، الا أن الدفاع التقليـدي عن أوروبا سوف يعتمد اعتمادا كليا على قرار يصدره رئيس أمريـكي يجلس على بعد آلاف الأميال ، ويهتم أساسا بأمن الولايات المتحـدة · ويستطيع السوفيت ، في مثل هذه الأحوال أن يستخدموا أوروبا كرهينة على حين يستثنون أمريكا من القصف الاستراتيجي ·

وليس معنى ذلك ، كما أكد أعضاء حلف الأطلنطي الأوروبيون ، أن الأسلحة النووية التكتيكية سوف تستخدم بشكل تلقائي اذا هاجمهم الروس ، وانما لكي لا يكون الروس على ثقة من أنهـا من تسـتخدم ·

---

(١) استراتيجية الرد المرن ، هي الاستراتيجية التي سبق أن وضعها الجنرال وتأكيد نجاحها باطلاق الأقمار الصناعية وتتلخص هذه الاستراتيجية في « امتلاك القدرة على الرد على كل التحديات المحتملة والممكنة ، وكذا القدرة على العمل الايجابي في كل وقت . وهذه الاستراتيجية تختلف عن استراتيجية « الانتقام الجسيم » في ان الضربة المضادة تتفق مع طبيعة الصدام المحتمل ، ولا تقضي بالاستخدام غير المحدود للقـوة الهجومية الاستراتيجية .

(المترجم)

وكانت أوروبا الغربية تعى تماما أنه فى حالة نشوب حرب نووية تكتيكية فى حلف شمال الأطلنطى ، فان حضارتهم سوف تدمر لا محالة بصرف النظر عما يحدث للولايات المتحدة أو للاتحاد السوفيتى · لذلك كان هدفهم هو ردع الحرب وليس خوضها ، ولهـذا الغرض يجب اعطـاؤهم صلاحية التهديد بالانتقام النووى التكتيكى ·

وفى محاولة لمنع هذا الجدل من أن يصبح قوة انقسامية داخل حلف شمال الأطلنطى قدم الأمريكيون عروضهم لانشاء قوة نووية استراتيجية « متعددة القوميات » (١) (ثم فيما بعد « متعددة الجوانب » (٢)) ، ولكن ذلك (القوة متعددة القوميات) لم يكن يضمن للدول الأوروبية فى شمال الأطلنطى حرية العمل فى حالة الطوارىء الحادة · وعلى أية حال ، فيما أن القوة الضاربة الاستراتيجية الامريكية كانت تدعى أنها توفر غطاء نوويا لأوروبا ، لذا لم تكن هناك أية حاجة منطقية الى قوة استراتيجية ثانية كتلك التى تصورها هذا الاقتراح ·· الا اذا كان ذلك لاسترضاء التطلعات الأوروبية · ان المطلوب ــ كما أكدته الدول الأوروبية من أعضاء حلف الأطلنطى ــ لم يكن وجود قوة نووية استراتيجية أخرى تطلقها الولايات المتحدة ، وانما قوة تكتيكية يطلقها حلف شمال الأطلنطى ·

ولم يؤد العرض « المتعدد القوميات » الى أن يهدىء ، بأى شكل من الأشكال ، من الشكوك الأوروبية فى أن القوتين العظيمتين سـوف تخسران الكثير بما يمنعهما من اللجوء الى التصعيد النووى ، وانما أدى الى مجرد زيادة الاعتقـاد بأن الضمـان الوحيد ضد المحاولة التقليـدية الروسية فى أوروبا هو الاحتفاظ برادع نووى ــ على المستوى التكتيكى ــ خاص بهم ·

واذا كان من الممكن الأخذ بوجهة النظر الأوروبية ، فان وجهة نظر الولايات المتحدة لا تقل صحة عنها · انه لمن غير الواقعى بالنسبة للولايات المتحدة ، وهى متورطة فى الدفاع عن أوروبا (حيث فتحت ما يقرب من

---

(١) القوة متعددة القوميات : هى منظمة عسكرية تشترك فيهـا دول متعددة ، ولكن تبقى المشاركة فى القوة منفصلة وتحت سيطرة هذه الدول ولكن منسقة .

(المترجم)

(٢) القوة متعددة الجوانب : هى منظمة عسكرية تشمل قوات وأسـلحة من مختلف الدول فى بناء قانونى تحت قيـادة مشـتركة وتحت نظام من السـيطرة يتخطى الحدود والسلطة القومية .

(المترجم)

نصف مليون جندى بالاضافة الى نسبة كبيرة من مخزون السلاح النووى التكتيكى لديها) - أن تشجع على تبادل الضربات النووية مع روسيا كاجراء تلقائى فى الدفاع عن أوروبا • وبالنظر الى تزايد موقف التعرض المتبادل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فمن الواضح أن المجهود الأمريكى سيدور حول احباط المبادأة الروسية دون أن يلجأ بشكل مباشر الى الحرب النووية • وتكمن محنة أمريكا فى أن مثل هذا المدخل المرن يجب أن يبدأ بالدفاع التقليدى • فان هى يسرت للدول الأوروبية الأعضاء فى حلف شمال الأطلنطى الحصول على الرءوس النووية ، فانها بذلك لا تكون قد تنازلت فقط عما فى التصعيد النووى التكتيكى من قيمة تفاوضية ، وانما قد يقابل ذلك عزوف فى أوروبا عن بناء قوات تقليدية ••• وهو ما اتضح من تجربة الماضى • واذا ما افتقر أعضاء الحلف الأوروبيون الى القوة الدفاعية التقليدية ، فانهم سيلجئون بسرعة الى التصعيد النووى •

سوف نختتم المرحلة الرابعة من هذا العرض بهذا الموقف المتناقض، وهو الموقف الذى أقيم فيه بالتدريج التوازن النووى (وبالتالى الاستقرار النووى) بين القوتين العظمتين مما خفف من التوتر بين الشرق والغرب لأول مرة منذ عشر سنوات ، وأعلن بدء عهد جديد من التهادن السياسى والعسكرى ، ولكنه كان متسما بشقاق متزايد داخل معسكر الحلفاء ، وقد يؤدى هذا الشقاق الى انحلال فعلى لحلف شمال الأطلنطى فى خلال سنوات قليلة ، والى أن يستبدل بالضمانات الأمريكية استراتيجية « قوة ثالثة » فى أوروبا تسيطر عليها فرنسا •

الفصل السابع والعشرون

● أفكار (١) وتعريفات

بالرغم من أنه ليس فى نيتنا أن نقوم بغزو عميق لقلعة الحوار النووى الفكرية التى تحميها بشكل رهيب حقا قائمة تتزايد دوما من الاصطلاحات اللغوية المتخصصة ذات النغمة المجردة ، الا أن الفهم الكامل حتى للحجج والمفاهيم الأساسية للاستراتيجية النووية لن يكون ممكنا بدون بعض التعرف على اصطلاحاتها وتعبيراتها التى هى أكثر شيوعا • وهدفنا من هذا الفصل هو تعريف القارىء ببعض الأفكار والاتجاهات التى تميز الاستراتيجية النووية ، كما أن هدفنا أيضا هو تعريف بعض الاصطلاحات والتعبيرات شائعة الاستخدام •

فقدان القدرة الدفاعية :

ان احدى الخصائص التى تدعو الى الدهشة فى الحرب النووية هى أن القوة الضاربة النووية لا تملك قدرة دفاعية ، فهى فقط سلاح هجومى • وعلى خلاف القوة التقليدية ــ برية أم بحرية أم جوية ــ التى يمكن أن تفتح للدفاع فى حالة العدوان أو أن تأخذ تشكيل الهجوم عندما تكون الاستراتيجية هجومية ، فان القوة الضاربة النووية لا تمتلك مثل هذه المرونة • ولقد أدى الشكل الذى كان عليه تطور الأسلحة النووية ووسائل نقلها الى أن فقدت القوات الضاربة النووية ، بشكل شامل تقريبا ، قدرتها الدفاعية بوصفها امكانيات كامنة ومتأصلة فيها • وحتى فى السنوات الأخيرة عندما أعلن الروس اكتمال نظام الصواريخ المضادة للصواريخ ، لم يكن مؤكدا على الاطلاق أن هذا النظام قد قوض بالفعل هذه الخاصية •

---

(١) يستخدم المؤلف كلمة Notion بمعنى أوسع من فكرة وأضيق من نظرية •

(المترجم)

وفى أمريكا ، حيث طرأت تحسينات هامة على انتـاج الأسلحة الهجومية مثل القاذفات ، والصواريخ ، والغواصات المجهزة بالصواريخ ، وكذا القنابل الأفضل والأكبر حجما ، فانه لا يوجد حتى الآن أى برنامج مشابه لبناء أسلحة دفاعية ... أى النظم « الثقيلة » المضادة للصواريخ، أو المراقبة الرادارية المضمونة • ان الأسلحة الدفاعية فى الوقت الحالى وفى المستقبل المرئى تستطيع فى أحسن الحالات أن تأمل فى اعتراض جزء صغير من القوة الضاربة المهاجمة ، على حين يظل الجزء الأكبر من هجوم العدو النووى قادرا على الاختراق (١) •

ولا ريب أن هناك بعض التدابير السلبية ـ مثل نشر مواقع اطلاق الصواريخ ، ومهام الأنذار وأمن المعلومات ، والخداع ، و « تقوية » (٢) المواقع ـ التى يمكنها المساعدة فى تقليل تأثير الهجوم النووى على الأغراض الاستراتيجية ، وهكذا يتم انقـاذ جزء من القوة الضـاربة لدى الجانب المدافع • ولكن ، خلافا للقوات التقليدية ، فان القوة النووية لا تستطيع أن تتولى الدفاع عن اقتصاد الأمة وعن حياة سكانها ، كما أنها لاتستطيع ـ حقـا ـ الدفاع عن قواعدها النووية نفسها • ان هـذه الحالة من عدم التوازن الاستراتيجى الذاتى هى التى تؤدى الى ظهور أغلب مشـكلات المواجهة النووية فى الوقت الحالى ، ومن المحتمل أن تظل كذلك فى المستقبل المـرئى •

القوات الاستراتيجية والتكتيكية :

لقد أدت الخاصية السابقة ، أى فقدان القدرة الدفاعية الى ظهور أفكار جديدة واستخدامات جديدة للمصطلحات العسكرية يمكن أن تؤدى فى بعض الأحيان الى البلبلة • فعلى سبيل المثال ، يطول الحديث خـلال المناقشات النووية حول «القوات الاستراتيجية» و «القوات التكتيكية» • وهذه المصطلحات لا ينبغى ، اذا ما استخدمت فى المجال النووى ، أن تفسر بمعناها الكلاسيكى ، وانما بنـاء على الاستخدام الأكثر تحديدا لاستراتيجية الردع • ولكى نبدد أية بلبلة محتملة فى الاستخدام اللغوى،

---

(١) يقصد بكلمة الاختراق هنا القدرة على التغلب على الوسائل الدفاعية ، أى اختراق شبكة الأسلحة والمعدات الدفاعية •

(المترجم)

(٢) أى تحصينها بحيث تجعلها أقل عرضة نسبيا للهجوم •

(المترجم)

فمن الضرورى أن نشرح السبب فى مثل هذا التمييز فى مجال الحرب النووية ٠

عند دراسة امكانيات القوات الضاربة النووية رأينا أن خصائص الأسلحة النووية تجعل لدى القوة النووية البحتة القليل ، او لا شيء ، من القدرة الدفاعية ٠ وبتعبير دقيق ، فان القوة الضاربة النووية تفتقر بالتالى الى المرونة التشغيلية ، فهى لا تستطيع أن تشتبك فى قتال « تكتيكى » ، لأنه يستلزم القيام بكل من العمليات الهجومية والدفاعية ، وذلك طبقا للموقف ٠ فاذا ما كانت هناك قوة معينة تمتلك فقط القدرة على توجيه ضربة هجومية ، وكانت غير قادرة على الدفاع عن نفسها اذا ما تعرضت للهجوم ، فان قدرتها العسكرية الاجمالية ضد عدو يمتلك قوة مماثلة تكمن فى القيام بهجوم واحد (الضربة الأولى) ٠ فاذا مافشل هذا الهجوم ، أو اذا بدأ العدو بالهجوم ، فانها تهدر ، تلقائيا ، قدرتها على الضربة الأولى ، ولا تتوقف أية امكانيات متبقية (أو ضربة ثانية) قد تحتفظ بها بعد ذلك على البراعة التكتيكية ، وانما على حماية ضربتها الأولى الأصلية (وذلك باتخاذ التدابير السلبية المخطط لها سلفا مثل الانتشار ، والاخفاء والتمويه و « تقوية » المواقع) ٠

وهكذا يمكن دفع القوة الضاربة النووية للقتال مرة واحدة فقط ، واذا ما فشلت فلن يكون هناك لجوء الى التدابير العادية مثل اتخاذ الدفاع، والتخلص ، واعادة التنظيم ، واعادة الدفع للقتال ٠ ولهذا السبب ، يجب التمييز بين القوات الضاربة ذات المهمة الواحدة ، وعناصر الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة التى يمكن تنظيمها لتخوض معركة تكتيكية بالمعنى المتعارف عليه (باستخدام الأسلحة النووية أو بدونها) ٠ هذا هو السبب فى أن النوع الأول يسمى « قوة استراتيجية » على حين يسمى الثانى « قوة تكتيكية » ٠

ومن الضرورى أن نشير فى هذا المجال الى أن اصطلاح « القوة التقليدية » ليس له مغزى خاص ٠ فالقوة التقليدية الحقة فى الوقت الحالى هى القوة التى تمتلكها دولة أو حلف لا يمتلك بأى شكل من الأشكال أسلحة نووية ، وبالتالى يتم تنظيم وتدريب هذه القوة على الحرب غير النووية فقط ٠ ولتحقيق غرضنا يمكننا أن نصرف النظر عن مثل هذا الوضع التقليدى البحت ٠ ففى مفهوم « الاستراتيجية الشاملة » (الذى جاءت به الحرب النووية ، كما هو موضح فيما بعد فى هذا الباب) ، فان

التمييز الذى يجب التأكيد عليه هو التمييز بين القوات الاستراتيجية والقوات التكتيكية ؛ لأن الأولى سلاح غير مرن يختص باشتباك (بدفع) واحد ، على حين يمكن استخدام الثانية تكتيكيا . ومن الممكن ، بالطبع ، أن تشتبك قوة تكتيكية تشتمل على أسلحة تكتيكية نووية فى حرب لا تستخدم فيها الأسلحة النووية ... وفى هذه الحالة تصبح الحرب تقليدية ، الا أن طبيعة القوة نفسها تظل كما هى دون تغيير ، فهى قوة تكتيكية مؤمنة نوويا ، مدربة ومنظمة من أجل القتال التكتيكى .

وبمعنى آخر ، فان العمل (الوظيفة) وليس الأسلحة هو الذى يميز بين القوات التكتيكية والقوات الاستراتيجية . لذا ، فاننا فى هذا الباب سوف نعرف « القوات التكتيكية » بأنها عناصر قوات السطح والقوات الجوية التى تشتبك مع مماثلة من قوات العدو فى قتال فعلى (باستخدام أو بدون استخدام للأسلحة النووية) فى كل من الهجوم والدفاع ، على حين سنستخدم اصطلاح « القوات الاستراتيجية » لنشير الى القوات التى لا تستطيع أن تشتبك فى القتال (أى القوات الضاربة النووية) والتى يمكن أن يكون دورها فقط هو توجيه ضربة واحدة ضد المدن (١) أو ضد القوة (٢) بواسطة اطلاق القنابل المتحكم فيها من بعد .

على ضوء هذه التعاريف سوف نرى أنه من الممكن فى حرب مستقبلة الوصول الى الحسم بأعمال القوات التكتيكية وحدها ، حتى ولو استخدمت الأسلحة النووية منذ بدء الأعمال العدائية .. أى دون اللجوء

---

(١) استراتيجية ضد المدن هى استراتيجية الحرب النووية الحرارية التى تهدف الى ضرب مراكز العدو السكانية والصناعية .

ان استراتيجية ضد المدن هى الاستراتيجية التى يدافع عنها هؤلاء الذين يؤمنون بالردع الادنى أو الردع المحدود قائلين : ان مثل هذه الاستراتيجية تتطلب أسلحة اقل وانها أكثر استقرارا ، كما أنها تلبى احتياجات الردع ، لانها تهدد العدو بدمار لايمكن تحمله اذا مالجأ الى الاسلحة النووية فى الضربة الاولى .

(المترجم)

(٢) استراتيجية ضد القوة هى الاستراتيجية التى تهدف الى تدمير أسلحة العدو الاستراتيجية ، خاصة القوات التى يمكن للعدو أن يستخدمها فى الانتقام .

وهناك خلاف حول الاسم الذى ينبغى أن يطلق على استراتيجية ضد القوة .. ايكون استراتيجية أم تكتيكا ؟ واذا التزمنا الدقة فان مايخص المرء هنا هو تطبيق خاص للاستراتيجية ، وبمعنى آخر التكتيكات . ومع ذلك ففى الاستخدام الامريكى فان كلمة استراتيجية تعنى «خطة» لذا استخدمت فى لفظ «استراتيجية ضد القوة» .

(المترجم)

الى العمل الاستراتيجى ، على حين لا يستطيع احد أن يؤكد ، وهو على أى قدر من الثقة ، أن العمل الاستراتيجى فى حد ذاته يمكنه ، دون استخدام القوات التكتيكية ، أن ينتهى الى الحسم ·· انه قطعا سينتهى بالدمار ، ولكنه لن ينتهى بالضرورة ، الى الحسم ·

الحرب المحدودة :

هناك فكرة أخرى تغيرت كثيرا فى المجال النووى وهى فكرة «الحرب المحدودة » ، فقد كانت تستخدم بالمعنى التقليدى البحت لتدل على نمط حرب « نيران الأحراش » (١) فى منطقة من الدول النامية أو ، كحد أقصى ، لتدل على نمط تقليدى من الحروب يتم خوضها تحت قيود مفروضة بالتبادل تخص مسرحا معينا من مسارح الحرب (كما فى كوريا) · وبعد ذلك ، خلال السنوات القليلة الأولى من العصر النووى ، استخدمت « الحرب المحدودة » للاشارة الى أى صورة من صور الحرب - مهما كانت واسعة الانتشار - لاتستخدم فيها الأسلحة النووية · واليوم فقد اكتسب هذا الاصطلاح ، فى الحوار المعقد للردع ، معنى أكثر اتساعا فى مداه ·

وسوف نستخدم اصطلاح « الحرب المحدودة » فى هذا الكتاب لنشير به الى أى صورة من صور الحرب التى لاتستخدم فيها القوة التدميرية المطلقة (المضادة للمدن) لدى الدولتين العظميين · وأى صراع سواء كان نوويا أم غير نووى يتميز باستخدام قوة تقل عن حد القوة القصوى سوف ينطوى تحت نوع « الحرب المحدودة » ·

وفى أسفل سلم الحروب المحدودة تقع ، بالطبع ، حرب العصابات وقد ناقشنا مضمونها فى الظروف الحديثة · والخطوة التى تليها صعودا هى الحرب التقليدية ، عامة أو محلية ، التى تستخدم فيها كل طاقة الأمة الاقتصادية والميكانيكية عدا الأسلحة النووية ·

ويلى ذلك صعودا الحرب على المستوى « التكتيكى » النووى التى تخوضها « القوات التكتيكية » · ولا يزال المضمون الرئيسى فى هذا النوع

---

(١) حرب «نيران الاحراش» أو حرب «نيران المناوشة» هى حرب محلية تقع فجأة وبلا توقع ، والتى اما أن تضع أوزارها قبل ان تتمكن القوى الكبيرة من التدخل ، واما تلك التى تتخذ ابعادا كبيرة قبل ان تتمكن هذه القوى الكبيرة من أن تضع حدا لها .
(المترجم)

من الحروب هو تقارب القوات من الناحية الجغرافية ، الا أن الاسلحة فى هذا المضمون تشمل أسلحة نووية محلية .

لقد أدى توسع القوتين العظيمتين فى بناء القوات الضاربة النووية الى ادخال مستوى آخر من التصعيد يقع بين الحرب النووية التكتيكية والتدمير المطلق ضد المدن . ويسمى هذا المستوى الحرب « المضادة للقوة أو ضد القوة » .

ان الضربة المضادة للقوة لا تهدف الى التدمير الشامل لأرض العدو ، بل مجرد تدمير قواعد النووية العسكرية . ونظرا لأن هذا المسلك يتضمن قدرا من الكبح فيما يختص بالاستخدام الأقصى لقدرة الضربة ، فان الضربة المضادة للقوة تعتبر أيضا ، فى معناها الأكثر دقة ، شكلا «محدودا» من أشكال الضربات . وقد يبدو ذلك مغالطة لفظية ، ولكن فى الحقيقة فان استراتيجية ضد القوة هى ، فى لغة الحوار اليوم ، درجة أدنى ، منفصلة ومتميزة من درجات سلم التصعيد ، ذلك لأن هناك اختلافين هامين بين الاستراتيجية المضادة للقوة والاستراتيجية المضادة للمدن . الاختلاف الأول ، كما سنناقشه بتفصيل أكبر فى جزء وقادم من هذا الفصل ، هو أن الاستراتيجية المضادة للقوة هى « استراتيجية عسكرية » بمضاهاتها « بالاستراتيجية السياسية » المضادة للمدن . والاختلاف الثانى ، هو أن الاستراتيجية المضادة للقوة تشترط التفوق فى القوة ، الأمر الذى لا تشترطه الاستراتيجية المضادة للمدن على الرغم من أن الأخيرة هى الدرجة النهائية فى سلم التصعيد (ذلك لأن القوة الضاربة الدنيا نفسها تستطيع أن تنزل دمارا واسع الانتشار بمدن العدو وحضارته ، على حين يجب على الاستراتيجية المضادة للقوة ، لكى تكون مؤثرة تماما أن تعتمد على توجيه ضربة قاضية الى كل أسلحة العدو النووية ... أى يجب أن نمتلك عددا من القنابل أكبر مما لدى العدو) .

قد يقال جدلا : انه بالنظر الى اتساع منطقة تدمير القنابل الكبيرة الحالية والى حقيقة أن الشبكات الاستراتيجية النووية لا تتمركز بالضرورة بعيدا عن المراكز الصناعية والسكانية ، فانه لا يوجد هناك فرق ملموس بين التدمير المضاد للقوة والمضاد للمدن . ومع ذلك ، فان هذه الحجة ليست على صواب تماما ، ذلك لأن الاستراتيجية المضادة للقوة تعتمد على درجة عالية من الدقة والرءوس النووية ذات العيار الصغير (وتبعا لذلك تزيد من تكاليفها) . وفى الواقع ، فقد قامت الولايات المتحدة بتقدير القدرة التدميرية النسبية ، ووصلت الى نتائج واضحة لها أهميتها . فطبقا لتقدير

مكنمارا ، وزير الدفاع الأمريكى الأسبق ، سوف يقتل حوالى ستون فى المائة من سكان الولايات المتحدة عند تبادل الضربات الشاملة المضادة للمدن ، على حين اذا طبقت الاستراتيجية المضادة للقوة (مع افتراض أن السوفيت سينجحون فى توجيه الضربة الأولى المضادة للقوة) فان عدد الخسائر التى تنتج عن هذا الشكل من الهجوم سوف يقل الى ثلاثين فى المائة ، بل وحتى الى عشرة فى المائة اذا نفذت تدابير الدفاع السلبى بما فيه الكفاية فى المناطق الاستراتيجية ٠

القدرة وقابلية التصديق (الصدقية) :

ان « القدرة » العسكرية ، فى سياقها التقليدى ، تعنى بصفة أساسية القوة المادية للقوة المسلحة من حيث عدد الفرق ، وقوة النيران ، والتأمين الادارى ٠٠٠ الخ ٠ ويمكن زيادة هذه القدرة عن طريق التدريب الأفضل ، والتنفيذ الماهر ، والتطبيق الصحيح لمبادىء الحرب ، والعوامل الأخرى الانسانية والنوعية (كما رأينا فى الباب الرابع) ، ولكن القدرة العسكرية التقليدية ـ على العموم ـ تتناسب تناسبا طرديا (ان لم تترادف دائما) مع القوة المادية ٠ أما فى الحرب النووية فليس الحال بالضرورة على هذا النحو ٠

ان مجرد امتلاك القوة الضاربة النووية قد يمنح الأمة القدرة النووية ولكن قدرتها الاستراتيجية الحقيقية (خاصة فى لغة الدرع) يتم قياسها بمزجها بعامل « الصدقية » ٠

ويمكن تعريف « صدقية » القوة النووية بأنها درجة التأكد واليقين فى ذهن العدو من أن هذه القوة سوف تستخدم بالفعل اذا ما دعت الضرورة ويتحكم فيها عدد كبير من الاعتبارات لا قوتها النووية فقط ٠ وعلى سبيل المثال ، فان أمة مثل انجلترا مثلا ، كثيفة السكان تتجه نحو التجمع الحضرى ، تمتلك درجة ضئيلة جدا من الصدقية ، ذلك لأنه ، فى أى مواجهة نووية تقريبا متوقعة مع قوة نووية معادية ، يكون من الصعب التصديق أنها سوف تبدأ بالفعل بشن حرب نووية ، وبذلك تخاطر بابادة نفسها فعلا (بصرف النظر عما يحدث للعدو) ٠ وكذلك ، اذا كانت أمة ما ، مثل يوغوسلافيا أو بولندا على سبيل المثال ، (أقل تصنيعا وأقل تعرضا) خصما نوويا لبريطانيا ، فان القوة النووية لأى من هاتين الدولتين (بصرف النظر عن قوتهما الحقيقية) قد تمتلك عامل صدقية أكبر ٠ (والاستثناء الوحيد لهذا التعميم قد يحدث اذا كانت بريطانيا تمتلك قدرة مضادة للقوة

ضد خصمها ... أى اذا كانت القوة الضاربة تمتلك القدرة على اكتساح قوة العدو النووية عند المبادأة بالضربة الأولى) .

ومن التناقض أن الكبح والاحساس بالمسئولية - اللذين يفترض ملازمتهما للقدرة النووية - هما فى حد ذاتهما عاملان يقللان من الصدقية . وهكذا ، فالدول التى تتمتع قيادتها بالحكم المطلق ، والتى لا قيد عليها تكتسب الصدقية ، على حين يفقد النمط الديمقراطى للحكم بواسطة «قرارات اللجان » هذه الميزة الى حد كبير ، رغم أن القيادة الحازمة والتصميم عند صنع السياسة يمكنها أن يوازنا هذا العيب ، كما تبين فى أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

ويجب النظر فى هذا المجال الى القدرة النووية الصينية المستقبلة . فعندما تمتلك الصين ، حتى ولو قدرا ضئيلا من المخزون النووى الاستراتيجى ، فان صدقيتها سوف تظهر للعيان من حقيقة الطبيعة غير الصناعية وغير الحضرية للمجتمع والاقتصاد الصينى ، وكذا من الزيادة الفائقة فى قوتها البشرية . وفى مواجهة نووية ، حتى مع أمة فى قوة أمريكا ، فان التفاوت فى درجة تعرض كل منهما لخطر الابادة سوف يعمل الى حد كبير على تعادل عامل الصدقية لدى القوتين الضاربتين المتعارضتين غير المتكافئتين . وهذا هو الذى يعطى مادة للادعاء الرهيب الذى يدعيه ماوتسى تونج من أن الصين تستطيع ، فى حرب نووية ، أن تمتلك ميزة أكبر من أمريكا ، لأنه حتى اذا هلك بضع مئات الملايين من الصينيين فسوف يتبقى لدى الصين مايكفى ليجعلها تبقى على قيد الحياة كمجتمع عامل وتستمر فى الحرب على الأرض .

وهناك عامل هام آخر فى الصدقية وهو حجم المعلومات المتوفرة حول قواعد العدو النووية ، وكذا توصيل ما لدى المرء من هـــذه المعلومات الى العدو . فاذا عرف العدو أنك قد حددت بدقة أماكن قواعده ، فان صدقية قوتك الضاربة(١) تتزايد . (فى ضوء ذلك يصبح تحليق الطائرات ى - ٢ واحتراف الولايات المتحدة بها أمرا واضحا . ان عمليات التحليــق الأولى للطائرات ى - ٢ وحقيقة أن السوفيت قد عرفوا بذلك ساعد ، فى تلك الفترة الهامة الخاصة ، على قامة جسر فوق فجوة الردع التى كانت موجودة حينئذ بين روسيا والولايات المتحدة) .

---

(١) اى قابليتها للتصديق .

(المترجم)

القدرة على الضربة الثانية وتكتيكات البقاء :

عندما كانت القاذفات هي الوسيلة الرئيسية لنقل الرءوس النووية ، كان افتراض توفر الانذار الكافي ضد ضربة العدو النووية أمرا معقولا ، وهو ما يمكن المرء من توجيه قوته الضاربة في الوقت المناسب . وفي الواقع ، فقد كان الهجوم « المسبق » مبنيا أساسا على هذا الافتراض . ولكن ، بعد ظهور الصواريخ لم يعد من المعقول الأخذ بمثل هذا الافتراض مهما بلغ نظام الانذار المبكر من كفاءة . ومن ثم ، كان لابد من الافتراض بأنه اذا وجه العدو ضربته أولا فان صواريخه سوف تصل الى أهدافها قبل أن يتمكن المرء من أن يرد بقوته النووية . ومنذ ذلك الحين ، أصبح من الأهمية القصوى أن يتأكد المرء من أن قوته النووية لديها القدرة على توجيه «الضربة الثانية » (المتبقية) ، وأن تكون أيضا من القوة بحيث تكفى لتمتلك الصدقية كقوة ضاربة .

وأدى ذلك الى اعتماد نظم معقدة باهظة التكاليف خاصة «بتكتيكات البقاء » لتأمين أقل قدر من القدرة على الضربة الثانية ــ مثل الرادارات ذات القوة العالية ، وأجهزة المراقبة المحمولة في الأقمار الصناعية ، والعقول الألكترونية ، وكذا مهام الخدمة لتأمين وجود جزء من الرءوس الحربية محملا في القاذفات الموجودة في الجو بصفة دائمة مستعدة للضرب ، وكذا الصواريخ ذات الوقود الجاف ، ومنصات الاطلاق المنتشرة (الغواصات النووية) ، وكذا التدابير الأخرى . وسوف تتضح الأهمية الكاملة لتكتيكات البقاء والقدرة على الضربة الثانية عندما نناقش استراتيجية الردع في الفصل التالي .

• الردع ، والاستقرار ، و « الاستراتيجية الشاملة »

رأينا أن « الجدال » الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وروسيا قد مر فى أثناء السنوات الأولى من العصر النووى بعدة مراحل من التنافس المتأرجح الى أن تمكنت كل منهما من بناء قوة نووية قوية ذات صدقية (قابلة للتصديق) • ومن ثم ، أقيم بينهما شكل من التعادل الاستراتيجى أعلن بدء العصر الحالى للاستقرار بين الشرق والغرب • وتعتبر فكرة الردع هى المفهوم الرئيسى فى هذا التعادل ، كما يعتبر هذا المفهوم عاملا حاسما فى الدبلوماسية النووية المعاصرة بدرجة يجب معها ، قبل الاستمرار الى أبعد من ذلك ، أن نفهم تماما المضامين الاستراتيجية المختلفة لهذا المفهوم الجديد •

ان احدى الخصائص الرئيسية للقوة النووية البحتة ، كما شرحنا فى الفصل الأخير ، هى أنها تمتلك قدرة هجومية فقط ، اذ لا يمكن فتحها(١) للقيام بمهمة دفاعية عندما يطلب منها أن تحمى الأمة من ضربة العدو النووية • وفى نفس الوقت ، فقد رأينا أن الاستراتيجية الهجومية أساسا كالهجوم الوقائى أو المسبق ، لم تعد عقيدة عسكرية صائبة يؤخذ بها بين القوى النووية القائمة • واذا ما أسقط المرء من حسابه التدابير الدفاعية السلبية ، مثل اعتراض صواريخ العدو والوقاية المادية « بتقوية » المواقع والانتشار (الغواصات النووية) باعتبارها أبعد من أن تكون تدابيرمضمونة فانالاستراتيجية المعقولة الوحيدة ضدالهجوم النووىهى التهديد بالانتقام• ويطلق على هذه الاستراتيجية ، فى الحوار النووى ، اسم استراتيجية الردع وهى الموضوع الرئيسى الذى يدور حوله كل ما هو خاص بصنع السياسة النووية فى الوقت الحالى •

---

(١) تعنى كلمة الفتح اتخاذ القوات لتشكيل المعركة سواء للقيام بعملية هجومية أم دفاعية •

(المترجم)

ليس هناك جديد حول استخدام الردع كأداة للدبلوماسية(١) . نفقد كان التهديد بالتدخل المسلح يشكل دائما عنصرا من عناصر الاستراتيجية السياسية تحاول بها احدى الأمم أن تردع أخرى لتمنعها من أن تأخذ مسلكا للعمل غير مرغوب فيه . الا أن الاختلاف بين الردع بالمعنى التقليدى والردع فى المجال النووى يكمن فى درجة فاعليته . ففى الماضى ، لم يكن التهديد بالتدخل المسلح من الخطورة مطلقا بحيث يستبعد تماما الحرب كبديل ، لأنه حتى اذا انتهت المغامرة بالهزيمة فانها لا تعرض بالضرورة بقاء الأمة للخطر . فمثلا ، على الرغم من حقيقة أن الجيش الفرنسى القوى كان فى تسعينات القرن الثامن عشر رادعا قاطعا للعدوان البروسى ، الا أن رئاسة الأركان العامة الألمانية كانت مستعدة تماما للمخاطرة بالهزيمة فى سبيل احتمال تحقيق نصر سريع ، وأعدت طبقا لذلك خطة الهجوم . وقد قال فون شليفن بنفسه ، وهو الذى أعد خطة الهجوم الشهيرة : ان هذا المشروع كان « مغامرة تفوق قوتنا » وطالب بضبط النفس . واستمر الجدل لعدة سنوات ، ولكن تم فى النهاية قبول المخاطرة وبدء الهجوم . ان النقطة التى أريد ابرازها هى أن الألمان شنوا حربا عدوانية وهم يعملون جيدا أنها قد تنتهى بهزيمتهم ، ولكن أمكنهم أن يخاطروا ، لأنه حتى ولو انتهت الحرب فعلا بالهزيمة ، فان بقاء الدولة لم يكن معرضا للخطر .

ان مغامرة مثل هذه تعتبر ، تحت ظروف التهديد الرادع اليوم ، أمرا غير معقول . ان الغرم حافل بالنكبات بحيث ان المبادأة النووية من غير اعتبار للرادع النووى لدى العدو لا يمكن القيام بها الا اذا كانت هناك أمام الضربة الأولى فرصة مائة فى المائة لتحقيق الحسم . ان أى شىء أقل من ذلك يدعو الى الانتقام النووى الذرى ، حتى اذا كان بدرجة معتدلة ، قد يؤدى الى هلاك واسع النطاق للحياة والممتلكات مما يجعل البقاء بعد ذلك — على الأقل — أمرا مشكوكا فيه .

ربما كان من المعقول ، خلال السنوات الأولى من العصر النووى ،

---

(١) فى الاسلحة النووية الاستراتيجية ينطوى سباق التسلح على سخرية معينة. فعلى العكس من اى عهد آخر فى التاريخ العسكرى ، فان التفوق العددى الكبير فى الاسلحة اليوم لايترجم بشكل فعال الى سيطرة سياسية أو أهمية دبلوماسية . وفى الوقت الذى نجد فيه القوة النووية رهيبة بشكل لايمكن تصوره ، وتمثل قدرة كافية على التدمير غير المحدود ، فقد أثبتت هذه القوة أنها أداة دبلوماسية محدودة ... صفتها الفريدة تكمن فى أنها تعتبر سلاحا قويا ، ولكنها فى الوقت نفسه سلاح غير كاف ابدا .

(المترجم)

الاعتماد على نسبة مائة فى المائة أمام نجاح الضربة الأولى ، ولكن سرعان ما وصلنا الى مرحلة عرف فيها أن القوتين العظيمتين تمتلكان قدرة كبيرة نوعا على الضربة الثانية ، أصبحت بعدها المخاطرة بنجاح الضربة الأولى أقل كثيرا من مائة فى المائة ·

ان التأكد من أن العدو سوف يظل لديه ، حتى بعد أن يمتص الضربة الأولى ، قوة كافية للضربة الثانية تمكنه من الانتقام بشن هجوم مضاد نووى لا يمكن تحمله ــ هو الذى يجعل فكرة الردع تكتسب فاعليتها وصلاحيتها · وعندما كانت الحال خلافا لذلك ، وكانت دولة مثل الولايات المتحدة تثق فى قدرتها على أن تكتسح القدرة الروسية بالفعل ، لم يكن من الممكن أن نصور روسيا على أنها تمتلك قوة ردع نووية · لهذا السبب كانت السياسات النووية الامريكية فى تلك السنوات ــ أى الهجوم الوقائى أو المسبق والانتقام الجسيم ــ تعتبر سياسات فعالة وصالحة ، اذ كانت مبنية على أساس ثقتهم فى قدرة الضربة الأولى على اسكات العدو · ولكن فى اللحظة التى اختفت فيها هذه الثقة ظهر الرادع الروسى الى الوجود ·

وعندما يمتلك الجانبان قدرة على الضربة الثانية قابلة للتصديق ، فان كلا منهما يمارس الردع ضد الآخر ، وهذه الحالة من الردع المثالى تسبب ما نسميه « بالاستقرار النووى » (١) ·

سوف نرى أن الردع هو فى الواقع استراتيجية سياسية أكثر منها استراتيجية عسكرية ، لأنه فى جوهره فكرة لمنع القيام بالعمل أكثر من أن يكون اجراء لكسب الحرب (وهو الاجراء الذى تتضمنه الاستراتيجية العسكرية) · وربما يمكن فهم هذا الموضوع على نحو أكثر وضوحا بالربط بينه وبين الأحوال التى كانت سياسة الانتقام الجسيم تصاغ فيها ، أيام كان تفوق القيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية حقيقة بغير منازع · وفى

---

(١) الاستقرار :

العلاقة المتبادلة بين القوى المسلحة (الاسلحة) ، حيث لايوجد مايغرى باللجوء الى السلاح من أجل كسب سياسى ، ذلك لان حالة الدمار التى قد تخلفها الحرب يمكن ان تتجاوز ــ الى حد كبير ــ الفوائد التى يمكن استخلاصها منها ، كما لايوجد مايستحث اللجوء الى السلاح خوفا من ان الخصم قد يفعل الشىء نفسه . والاستقرار، فى معناه الاضيق ، يشير الى الاسلوب الذى يكون عليه رد فعل فرد او نظام أو دولة أما المفاجأة أو الضغط او الصدمة . ويعتبر النظام الاستراتيجى مستقرا اذا لم تؤد الضغوط والصدمات الى حدوث تغييرات كبيرة لايمكن الغاؤها .

(المترجم)

تلك الظروف ، كان الانتقام الجسيم يتضمن الجمع بين العمل العسكرى (أى حقيقة امكان القيام بالضربة الأولى) ، والمغزى السياسى الشامل (أى ردع المبادأة التقليدية الروسية) . وهكذا ، كانت الاستراتيجية السياسية تقبل بالفعل القصد (العمل) العسكرى وتبنى فاعليتها وصلاحيتها ، فى الحقيقة ، على أساسه (١) .

أما فى الردع الحالى فقد تغير الوضع ، فكلا الطرفين يعرفان على وجه التحديد أنه اذا قام أى منهما بالبدء فى توجيه الضربة الأولى ، فان القوة النووية لدى الطرف الآخر ستظل لديها قدرة على البقاء تكفى لتدمير حضارته ، وبمعنى آخر فان كلا الطرفين يعترفان بصدقية قدرة الطرف الآخر على توجيه الضربة الثانية . لذا لم تعد الاستراتيجية السياسية تستطيع الاعتماد على أنها قادرة على أن تستخدم فعلا العمل العسكرى الخاص بالضربة الأولى ، وبذلك لم يعد الانتقام الجسيم استراتيجية معقولة أو عملية .

وخشية أن يؤدى ذلك الى أن يتوهم القارىء وجود أمن مطلق ، يجب أن نبين أن ما حققته استراتيجية الردع هو توازن سياسى وليس عسكريا .

من وجهة النظر العسكرية فان الردع كسياسة هو ، فى أحسن حالاته ، أمر نسبى كما أنه ، فى أسوئها ، أمر عقيم . وهو نسبى ، لأن فاعليته وصلاحيته تعتمد على القوى النووية النسبية لدى الطرفين فى أية مرحلة معينة من مراحل تطور الأسلحة أكثر مما تعتمد على القوة الكامنة فى حد ذاتها للقوة النووية لدى أحد الطرفين . وهو عقيم ، لأنه لا يحتاط مسبقا لاحتمال حدوث الفشل ويستعد له . وليس من المستبعد بأية حال أنه اذا ما استطاعت القوة النووية المعادية أن تحقق فجأة تقدما تكنولوجيا فى الأسلحة الهجومية أو الدفاعية ، فانها قد تقبل حقا أن تخاطر وتبدأ بشن هجوم نووى مفاجىء . ان الاستعداد العسكرى لمواجهة مثل هذا الطارىء يجد نفسه وقد أعاقته الاتجاهات التى يولدها الاعتماد على استراتيجية الردع .

انه فى هذا المجال تكتسب الاستراتيجية المضادة للقوة أهمية خاصة ذلك لأنها فى جوهرها استكمال عسكرى للاستراتيجية السياسية ، كما

---

(١) ان استراتيجية الردع هى فى الحقيقة استراتيجية شاملة ، وليس استراتيجية سياسية أو عسكرية فقط كما سنرى فى الصفحات التالية .

(المترجم)

أنها مبنية على أساس التفوق فى القوة • ان استراتيجية ضد القوة هى استراتيجية ضد القوة هى استراتيجية عمل ، أى أنها تتصور العمل الفعلى (وليس مجرد التهديد) بتوجيه ضربة جسيمة بقوة نووية متفوقة ، محسوبة على أنها سوف تدمر قوة العدو النووية بدرجة لا يعود لديه قوة انتقامية ذات قيمة • دعنا الآن نرى كيف برزت هـذه الاستراتيجية من الخلفية التاريخية للمواجهات النووية •

لقد رأينا أنه خلال المراحلتين الأولى والثانية من عرضنا النووى كانت لدى أمريكا الثقة والقوة لتدمير القدرة النووية الروسية بسبب مزيج من العوامل هى : أن الولايات المتحدة كان لديها تفوق أصيل فى القوة النووية ، وأنه كانت لديها قوات فى أوروبا تستطيع أن تضرب الروسية ، وفى نفس الوقت كانت أرض وطنها وكذا القوات الخلفية للقيادة الجوية الاستراتيجية بعيدة عن متناول القواعد النووية الروسية• لذا يمكن القول أنها كانت ، خلال هذه السنوات ، تمتلك قدرة مضادة للقوة (على الرغم من أن هذا الاصطلاح لم يكن مستخدما فى ذلك الوقت، لأن الردع المتبادل ، كاستراتيجية سياسية ، لم يكن بعد قد بدأ يلعب دوره) • وبمعنى آخر ، فالى جانب ردع العدوان الروسى بالتهديد باستخدام القوة النووية ، كان يمكن للولايات المتحدة بالفعل أن تخطط وأن تتصور البدء بتوجيه الضربة الأولى •

وفى المرحلة التالية عندما أحرز الروس قصب السبق فى الصواريخ، وكان فى امكانهم تهديد الولايات المتحدة بالصواريخ العابرة للقارات ــ التى لم تعد القيادة الجوية الاستراتيجية (بعد أن انسحبت) تثق فى أنها تستطيع أن توجه ضربة قاضية اليها ــ فقد الأمريكيون قدرتهم الكامنة « المضادة للقوة » • ونظرا لأن الروس لم يكونوا قد امتلكوا هم أيضا هذه القدرة (بسبب افتقارهم الى العدد الكافى من الصواريخ العابرة للقارات بما يمكنهم من توجيه ضربة قاضية الى كل الأهداف الأمريكية) فقد تم التوصل ــ لأول مرة ــ الى وضع أصبح فيه كل من الطرفين لا يستطيع أن يتصور فعلا البدء بتوجيه الضربة الأولى • وبمعنى آخر ، فان أحدا من الطرفين لم يكن يستطيع أن يمارس استراتيجية عمل عسكرى ، وهو على أية درجة من الثقة • وعند هذه المرحلة الهامة بدأت استراتيجية الردع السياسية لأول مرة تلعب دورها على أساس من التبادل • وكما رأينا فقد كان لزاما على الأمريكيين ، عند هذا الحد ، أن يخففوا من استراتيجية الانتقام الجسيم •

ونتيجة لهذا « الالغاء » المفاجيء للقدرة على الضربة الأولى النووية ـ الذى وصل اليه الردع فى الحقيقة ـ فقد برزت الى الوجود فكرة استراتيجية « ضد القوة » لأنه يجب على الاستراتيجية العسكرية ـ فى جو اللاعمل ـ أن تبحث دائما عن حرية الاختيار الأولى للعمل الفعلى ٠

وفى المرحلة الرابعة حصل الأمريكيون على القدرة المضادة للقوة لفترة وجيزة ، وذلك بفتح صواريخهم متوسطة المدى فى أوروبا ، وكذا بزيادة قدرتهم على البقاء ، فى ظل القوة الدافعة لعهد كنيدى ، بفتح الصواريخ طراز بولاريس ومنيوتمان ٠

ثم دخل السوفيت فى السباق المضاد للقوة باقامة الصواريخ متوسطة المدى فى كوبا ، ومن هناك (بالاضافة الى قدرة الصواريخ العابرة للقارات من قواعدها فى روسيا) يمكنها أن تعتمد على اسكات القيادة الجوية الاستراتيجية فى قواعدها فى أمريكا بالاضافة الى الأهداف النووية لحلف شمال الأطلنطى فى أوروبا ٠ ومع ذلك فان الرئيسى كنيدى ، الذى كان واعيا لكل ما تتضمنه هذه الحركة ، رد بشكل حازم ومباشر ، وان كان متسماً بضبط النس ، فى كوبا ٠ وكان هذا الرد فى الواقع هو أول قتال محتمل فى الحرب النووية بين الشرق والغرب ، وكانت الولايات المتحدة هى التى حققت النصر المحتمل(١) ٠

ان الموقف الحالى ، الذى استمر دون تغيير خلال الأعوام الخمسة أو الستة الماضية والذى من المحتمل أن يستمر كذلك فى المستقبل المرئى ، هو أن كلا من روسيا والولايات المتحدة قد حققت قدرات قوية وقابلة للتصديق للضربة الثانية ٠ وبمعنى آخر ، فان أياً من القوتين لا تمتلك قدرة مقنعة مضادة للقوة ، ولهذا السبب أمكن تحقيق « الاستقرار النووى » ٠

وقد يقال فى بعض الأحيان : انه نظرا لأن الولايات المتحدة معروفة بأن لديها مخزونا من الصواريخ العابرة للقارات أكبر كثيرا مما لدى السوفيت (كان التقدير عام ١٩٦٧ هو تفوق الأمريكيون بنسبة ثلاثة الى

---

(١) ان اقامة الصواريخ متوسطة المدى فى كوبا كان لفترة قصيرة جدا تكاد لاتذكر ، وبالتالى لاتؤثر على استراتيجية الردع ، كما لاتعتبر تسوية أزمة كوبا انتصارا لامريكا على طول الخط ؛ اذ مقابل سحب الصواريخ السوفيتية تعهدت أمريكا بعدم غزو كوبا وبقائها كدولة شيوعية أمامية متاخمة للولايات المتحدة الامريكية ، بل الكاتب نفسه يعترف فى الصفحات القليلة التالية بأن ازمة كوبا سويت بحل وسط .

(المترجم)

واحد) ، فمن الممكن التسليم ، فى بعض الظروف المتطرفة ، بأنها تمتلك قدرة مضادة للقوة · ولـكن الأمر ليس كذلك ، فخصائص روسيا الجغرافية ونظام مجتمعها المغلق يمنحانها عامل صدقية أكبر مما لدى أمريكا ، وهذا ما يساعد على استعادة التوازن(١) ·

هذه هى اذن العوامل التى أوجدت حالة الاستقرار النووى الراهنة · ولكن يجب أن يكون مفهوما بوضوح أن ما تحقق ما هو الا استقرار نووى فقط ـ على مستوى الرادع النووى ـ وليس استقرارا على كافة مستويات الحرب · ان الذى تم « تحريمه » هو الحرب النووية الشـــاملة لا الحرب برمتها ، وذلك كما تفصح عنه بوضوح الصراعات المسلحة العـــديدة فى العشرين عاما الأخيرة ·

ان أحد مهام قادة المستقبل السياسيين والعسكريين سيكون هـو الخروج من عصر الحوار النووى والحروب المحدودة هـــذا بمفهوم شـــامل للاستراتيجية يمكن أن يجد مجالا للتطبيق فى كل أنواع المواقف العسكرية ولن تعود مسألة استخـــدام « الاستراتيجيـــة النووية » تقتصر وحدها على المواقف النووية ، كمـــا لن تكون هناك « استراتيجية تقليدية » منفصلة تتعامل فحسب مع الحرب على المستويات غير النووية (فيما عدا الصراعات المحدودة فى المناطق « الحرة نوويا » بجنوب شرق آسيا) · ان تطور مفهوم الردع المتبادل يدل على أن الاستقرار النووى يمارس أيضا بالفعل درجـة من التأثير الرادع على مستويات الحرب الدنيـــا ، حتى وان لم يستطع أن يمنعها فعلا · فهو يستطيع ، على سبيل المثال أن يتحكم فى كثافة ومستوى الحروب « المحدودة » · ان ما يتم ردعه وكذا ما يحدث بالضبط يتوقفان على عدد من العوامل ··· نووية وغير نووية · وقد حان الوقت لـكى نربط كل هذه النظريات والعوامل المختلفة بمفهوم شامل خاص بصنع السياسة العسكرية يضم الاستراتيجية النووية بالاضافة الى الأشكال الأخرى كلها · وبسبب افتقارنا الى اسم أفضل لهذا المفهوم فاننا سنسميه « استراتيجية شاملة » ·

ان هذه الاستراتيجية الجديدة هى ، من عدة وجوه ، مفهـوم مقلوب

---

(١) من المعروف أن هذه النسبة تغيرت الآن تغيرا جذريا ، ويمكن ان نقول : ان الاتحاد السوفيتى متفوق حاليا على الولايات المتحدة الامريكية فى الصواريخ عابرة القارات ، ولو ان امريكا لازالت متفوقة فى عدد الغواصات النووية .

(المترجم)

رأسا على عقب اذا ما قارناها بالشكل التقليدى · ففى الشكل التقليدى كان الاهتمام الاستراتيجى يبدأ عند أدنى مستويات اللاعمل ـ أى السلام ـ ويتدرج صعودا الى مجالات الحرب ، ذلك لأن اللاعمل كان يوجد عند القاع ، على حين كان العمل يقبع عند القمة · لقد تغير هـذا الآن ، ففى المفهوم الشامل يقع اللاعمل الحقيقى عند القمة ، أى عند مستوى الاستقرار النووى حيث تم ، على نحو كامل ، استبعاد الشكل الوحيد للحرب ، أى تبادل الضربات النووية الجسيمة · وفى نفس الوقت ، فان السلام (الذى يقع عند أدنى درجة فى السلم) لم يعد فكرة اللاعمل ، لأنه (كما سنشرحه فيما بعد) يعتبر حاليا حالة مستمرة من أعمال الحرب الباردة · لذا ، فعلى الاستراتيجية الشاملة أن تبحث الآن عن بداية لها عند حاجز اللاعمل الذى تم ردعه والذى يقع عند القمة ، ثم تتدرج الى أسفل عبر مختلف العقبات(١) الهابطة للحرب المحدودة · وطبقا لذلك ، فان المنطق الجدلى (الحوار) الذى يقرر مجال الاختيارات الممكنة يتلمس طريقه الى أسفل ، وليس الى أعلى ، كما كان فى مفهوم الاستراتيجية القديم ·

والناحية الأخرى التى تغيرت فيها الاستراتيجية الجديدة تغيرا جذريا عن الاستراتيجية القديمة تتعلق بالكبح الذى يمنع المرء من اللجوء الى القوة القصوى لتحقيق هدف ما · لقد كان أسلوب الاستراتيجية التقليدية هـو البحث عن أقصى ميزة عسكرية ممكنة بغرض كسب الحرب ··· وبمعنى آخر ، استخدام أقصى قوة ممكنة فى الأسلحة لتحقيق النصر (حشد القوة)· ولـكن من جهة أخرى ، فان الاستراتيجية الشاملة تبدأ من وضع عكسى لذلك تماما ، فنظرا لأنها تبنى فاعليتها على أساس نبذ الحد الأقصى للقدرة (القوة النووية المردوعة الواقعة عند القمة) ، فان هدفها يكون البحث عن استخدام الأسلحة على المستويات التى تقل عن الحد الأقصى لـكى تحصل على الحسم ·

ان هذا المدخل المتنـاقض لابد أن يعطى « الاستراتيجية الشاملة » مظهرا من عدم الواقعية ، وبالنسبة لعديد من الناس فان كل ذلك لا يزيد عن كونه تلاعبا بالألفاظ · ومع ذلك ، فان الاستراتيجية الشاملة هى الى حد كبير عامل حقيقى اليوم ، ورغم أن تحليلها لا يزال عند مرحلة جدلية يحيط بها عدم اليقين ، فقد ظهرت ، بشكل محدد ، بعض المبادىء المستقرة

---

(١) العتبة فى الاستراتيجية هى خط معترف به يميز بين المستويات المختلفة لاستخدام العنف ·

(المترجم)

لهذا الشكل الجديد للتقييم العسكرى . ولا يزال من الممكن ، دون الدخول فى المجادلات المعقدة واللغة المتخصصة لهذه الدراسة الجديدة – أن نتبين بعض قوانين وأعمال هذه الاستراتيجية .

ومع ذلك ، وقبل أن نفعل ذلك ، علينا أن نعيد النظر فى تصنيفنا للحرب الى أنواع « محدودة » وأخرى « شـاملة » (١) . ومن الضرورى بالنسبة لغرضنا الحالى أن نوسع نظرتنا وأن نضمنها كل أنواع التدرج هبوطا للأعمال شبه الحربية بادئين بتبادل الضربات النووية عند القمة حتى نصل الى أدنى درجات العمل غير المكشوف (الخفى) . ان هـذه النظرة الموسعة فى مجال الاستراتيجية الشاملة تجرى دراستها فى ثلاثة أنواع جديدة من الحروب هى الحرب الاستراتيجية ، والحرب التكتيكية ، والحرب البـاردة .

ان احدى نتائج تعديل المفهوم التقليدى لاستراتيجية الحرب الى مفهوم استراتيجية الردع ، هى أن السلام قد أصبح الآن أكثر استقرارا بكثير . فبينما كانت التوترات العالمية سابقا قد تؤدى لا محالة الى الأعمال العدائية العلنية ، فاليوم تتم تسوية حتى المواقف بالغة الخطورة مثل المواجهة حول برلين أو الأزمة الكوبية – بواسطة الحلول الوسط . وبذا نرى – الى هذه الدرجة – أن العصر النووى قد جاء بالاستقرار حتى على مستويات الحرب الدنيا . وفى نفس الوقت ، فقدت فكرة السلام القديمة طابعها المطلق . ففى عصر الردع يتضمن السلام مواقف مستمرة تقريبا من الأعمال الخفية ، وان كانت ايجابية ، قد تتراوح بين الدعاية المسمومة ، والقتل ، والاغتيالات وحرق السفارات الى هجمات العصابات التخريبية التى تتخـذ مظهـر الانتفاضات القومية . ان هذا المدى من الأعمال العـدائية ، المموهة فى شكل السلام ، هو ما نسميه « بالحرب الباردة » .

ان الخاصية الرئيسية التى تميز الحرب الباردة عن النوعين الآخرين من الحروب هى أن الحرب الباردة لايمكن حقا ردعها . قد يستطيع تهديد الردع أن يحصر مجال حريتها فى العمل – معتمدا فى ذلك على الموقف المحلى فى كل حالة – ولـكن يوجد دائما شكل ما من أشكال العمل العدوانى ،

---

(١) لقد اخترت كلمة شاملة لانها شائعة الاستخدام ، رغم أنها قد تسبب بعض البلبلة . وقد يكون من الافضل أن استخدم كلمة «عالمية» ، ترجمة لكلمة Allout التى استخدمها الكاتب ، ذلك لان عكس الحرب المحدودة هو الحرب العالمية . أما الحرب الشاملة فاصطلاح يطلق على الحرب الحديثة ، حيث تحشد الدولة كل طاقاتها من سياسية ودبلوماسية واقتصادية ومعنوية وعسكرية لتحقيق النصر .

(المترجم)

وان كان خفيا يتنكر فى زى « السـلام » • وما على المرء الا أن يقوم باستعراض الوضع الدولى الحالى ليتعرف على أنماط عديدة من أعمال العنف التى تمر تحت مظهر الأعمال « السلمية » •

ومع استمرارنا فى تحليل خصائص الحرب الباردة ، سوف نرى أنه كلما ابتعد مستوى لاردع زاد مجال حرية العمل الذى تنشده الحرب الباردة • وهكذا ، اذا كان الردع الوحيد لأعمال الحرب الباردة هو التهديد الاستراتيجى النووى الذى يقع عند قمة درجات السلم (كما كانت الحـال فى أوروبا فى أواخر الأربعينات عندما لم تكن القوى الغربية تمتلك «رادعا» تقليديا) ، فان حرية الاختيار تحت اسم « الحرب الباردة » تتزايد بدرجة كبيرة وتشمل أشكالا عدوانية علنية ومباشرة مثل حصار برلين أو المحاولة التى قام بها رجال العصابات الشيوعيون فى اليونان • ومن جهة أخرى ، اذا تم ردع عمل الحرب الباردة بواسطة رادع أكثر مباشرة (حتى وان كان أقل قوة) مثل الانتقام التقليدى ، فان مدى هذا العمل يتناقص الى حـد كبير • ان هذه الظاهرة تعتبر نتيجة طبيعية لاستراتيجية الردع ، وقـد وجدت قبولا لدى روسيا والولايات المتحدة ، ولـكن مع بعض التحفظات فقط بالنسبة لأوروبا •

ان النوع التالى من الحرب طبقا لهذا المفهوم الجـديد هو ما يسمى « بالحرب التكتيكية » ••• وهو اصطلاح مشتق من المفهوم النووى «للقوات التكتيكية توصف بأنها حرب تكتيكية ، وهـكذا ، فان حرب العصابات العلنية ، والحرب التقليدية بأسلحتها التقليدية ، أو الحرب التقليدية التى تستخدم الأسلحة النووية التكتيكية ، وكل الحروب التى تأخذ شكل القتال التكتيكى ـ تنطوى فى الواقع ـ تحت هذا النوع •

ومع ذلك ، فان السبب الحقيقى لهذا التصنيف (كما كان فى حالة « الحرب الباردة ») ليس سببا وظيفيـا أو تشغيليا ، ولـكنه ناتج عن المضامين النووية • ان الفرق الجوهرى بين الحرب التكتيكية والحرب الباردة من جهة ، وبين الحرب التكتيكية والحرب الاستراتيجية من جهة أخرى هو أن الحرب التكتيكية يمكن ردعها على حين لا يمكن ردع الحرب الباردة ، كما أن القوة التكتيكية ليست « رادعا مطلقا » مثـل « القوة الاستراتيجية » (لأنها (القوة التكتيكية) لا تستطيع أن تمتلك قدرة مضمونة على البقـاء فهى رادع جزئى فقط حسب المفهوم القديم للردع التقليدى) • وبمعنى آخر ، ان التصنيف الجديد مستمد من درجة الردع أو من خاصية عـدم كونه رادعا ، تبعا لمـا قد تكون عليه الحال •

وتبعا لذلك ، فان مفهوم « الحرب الاستراتيجية » يبرز أيضا من فكرة « الردع النووى » • فبينما الحرب على المستوى التكتيكى لها دور تشغيلى فعلى — وهو احراز السيادة على قوات العدو فى القتال — فان دور القوات الاستراتيجية هو ، فى المقام الأول ، ممارسة قوة الردع ، أى أنها تصمم بغرض منع الحرب ، وليس خوضها • لذا ، فان الحرب الاستراتيجية هى مفهوم المطلب الأساسى فيه هو عدم استخدام القوات استخداما فعليا على الاطلاق •

لم يكن الغرض هنا هو مجرد الخوض فى حوار الحرب والردع ، العمل ومنع العمل ، وانما اقامة أساس منطقى يمكن بناء عليه القيام بشكل فعال بالتخطيط العسكرى وصنع السياسة وفقا للمفهوم الشامل للاستراتيجية الشاملة • ان مفهوم الاستراتيجية الشاملة لايزال حتى الوقت الحاضر صالحا للتطبيق فى مجال الاستقرار النووى الأمريكى السوفيتى فقط ، وحتى هنا فانه لا يطبق دائما عن اقتناع به • أما بالنسبة لبقية العالم ، فلا تزال الأفكار التقليدية الخاصة بالاستراتيجية التقليدية هى المرشد فى صنع سياسة الدول ، ومع ذلك ، فليس الوقت ببعيد جدا عندما يقع معظم العالم تحت التأثير الاستراتيجى لوجود نووى أوسع انتشارا • ويجب علينا ، منذ الآن أن ننظر الى قوانين وأفكار الاستراتيجية فى هذا المجال •

لذلك ، سوف نختتم هذا الفصل من دراستنا بذكر بعض هذه القوانين والأفكار كما برزت من مفهوم « الاستراتيجية الشاملة » — وهى كالآتى : (١) •

أولا — ان الحرب النووية الاستراتيجية ليست عملا قابلا للتنبؤ به ، وانما هى أداة للردع ، وبالتالى للاستقرار • وبمعنى آخر ، فان هدف الاستراتيجية النووية فى أقصى مستوياتها هو ابطال القدرة النووية لدى العدو وليس تدميرها ماديا •

ثانيا — ان درجة الاستقرار النووى التى يمكن تحقيقها سوف تتوقف على الحالة الفعلية لميزان الردع • فعندما يتساوى ميزان الردع ، فان ذلك يؤدى الى الاستقرار المطلق (كما فى الموقف الأمريكى السوفيتى الحالى) • فاذا حصل أحد الجانبين على تفوق نووى مؤقت (سواء باكتساب قدرة مضادة للقوة أم بزيادة عامل الصدقية لديه) فان درجة الاستقرار تقل (كما كان سيحدث لو سمح باقامة الصواريخ الروسية متوسطة المدى

---

(١) انظر الملحقين ب ، جـ •

فى كوبا أو كما سيحدث اذا نجح الروس حاليا فى تطوير نظام محكم ومضمون من الصواريخ المضادة للصواريخ) ٠

ثالثا ـ ان فكرة اللاعمل (الردع المطلق) تنطبق فقط على مستوى الحرب الاستراتيجية ، وليس بالضرورة على أشكالها التكتيكية ، فالحرب على المستوى التكتيكى هى أساسا عمل قابل للتنبؤ به ، ويختلف مدى الصور التى قد تتخذها بما يتناسب تناسبا طرديا مع درجة الاستقرار التى يولدها الردع الموازن ٠ لذا فان مدى الاختيار أمام الأعمال الحربية يكشف ـ فى الواقع ـ عن منظر تنازلى يبدأ من اللاعمل القائل عند القمة ٠ فكلما زادت درجة الاستقرار عند القمة ، أصبح مجال الاختيار على المستوى التكتيكى أكبر ، والعكس صحيح٠ وهكذا ، اذا افترضنا نظريا وجودموقف من الاستقرار المطلق ، فان حتى أعلى مستويات « الحرب التكتيكية » (أى الحرب بالأسلحة النووية التكتيكية) يصبح أمرا ممكنا (لأنه لا يوجد هناك خطر من التصعيد النهائى) ٠ وعلى العكس ، اذا افترضنا نظريا موقفا من عدم الأمن المطلق عند القمة (أى عندما يثق كل جانب فيما لدى الآخر من قوة مضادة للقوة ، وفى نفس الوقت ، يعى كل منهما ثقة الآخر بهذا الخصوص) ، فان العمل على مستوى الحرب التكتيكية يصبح أقل احتمالا ، ذلك لأن أية مبادأة على هذا المستوى تحمل معها خطر التصعيد التلقائى الى الحرب النووية الشاملة ، التى لم يعد لها بعد رادع مطلق ٠٠ بيد أن أعمال الحرب الباردة هى فقط التى تكون ممكنة ٠

رابعا ـ ان الحرب الباردة هى الشكل الوحيد من الحروب التى لا رادع لها أبدا ، وذلك على الرغم من أن المدى الذى يمكن أن تذهب اليه فى أعمالها يمكن ان يحدده وجود رادع على المستوى التكتيكى ٠ وهكذا ، مهما كانت درجة الاستقرار التى يفرضها الرادع على المستوى الاستراتيجى والتكتيكى فان حرب العصابات الصغيرة تصبح منذ تلك اللحظة فصاعدا شكلا ممكنا للعمل على الدوام ٠

ان ما ذكرناه آنفا يعتبر عرضا موجزا ومبسطا لقوانين الفعل ورد الفعل العامة وفقا للاستراتيجية الشاملة » ٠ ومن المسلم به أنه حتى هذه القائمة المبسطة سوف تبدو للكثيرين ، وكأنها مساجلات جدلية مجردة ، وخاصة لأنها سردت هنا تسجيل لكل خطوات الحوار التى تطورت ، فى الواقع ، خلالها ٠ ومع ذلك فانه بدون معرفة هذه القوانين لن يكون هناك فهم كاف لمدى قابلية الاستراتيجية الشاملة للتطبيق ٠

ومع ذلك ، يجب أن نؤكد أن « القوانين » المذكورة سابقا ـ وشروط

الحرب التى تفرضها ـ تنطبق فقط على موقف الاستقرار الراهن ذى الجانبين كما يوجد تحت المظلة النووية الأمريكية السوفيتية ٠ أما كيف ستتغير هذه القوانين وفقا لاحتمالات المستقبل فى تعدد القوى النووية فلا يزال ذلك أمرا يعتمد على التخمين ، وذلك كما سنناقشه فى الفصل الأخير ٠ لذا ، فقد يكون من المهم عند هذا الحد أن نتحول فى عرضنا نحو وجهة نظر جديدة وأن نقترب بدراستنا من زاوية أكثر ارتباطا بالأحداث الجارية ٠٠٠ ألا وهى تعدد القوى الصغرى والأدوار التى قد تلعبها فى المستقبل ٠

الفصل التاسع والعشرون

● القوى النووية الصغرى

خلال سنوات الشك الأولى من العصر النووى ، عندما بقيت المواجهة الاستراتيجية بين القوتين العظميين المتنافستين دون حل ، كان العالم يعيش تحت تهديد مستمر بحرب « نووية كبرى » لأن المبادأة النووية من جانب أمريكا أو روسيا كانت احتمالا حقيقيا وحيا • وفى تلك الظروف ، كان الخطر ضئيلا فى أن تقوم قوة أصغر بمغامرة نووية مستقلة • وعلى أية حال ، فقد كانت بريطانيا هى الدولة النووية الأخرى الوحيدة فى ذلك الوقت ، ولأن سياستها كانت متحالفة تحالفا وثيقا مع السياسة الأمريكية فلم يكن من المتوقع أن تشكل قدرتها النووية قوة استراتيجية مستقلة •

أما الآن فلقد تغير الوضع بشكل جذرى ، لقد أدى تنافس القوة العظمى ذات القطبين الى خلق موقف من الاستقرار يبعث على الاقتناع،مبنى على أساس توازن الرادع النووى لدى القطبين ، بحيث أصبحت الحرب النووية الكبرى تكاد تكون الآن مفهوما منافيا للعقل • وفى نفس الوقت انضمت قوتان جديدتان الى النادى النووى ، وهناك آخرون على وشك الانضمام اليه • وفى هذه الظروف ، يبدو غالبا أنه اذا ما أصبحت الحرب النووية حقيقة فعلية ، فمن المحتمل أن تأتى المبادأة من القوى الصغرى أكثر مما تأتى من العملاقين النوويين • لذلك فمن المهم بالنسبة لدارسى الاستراتيجية النووية أن يكونوا قادرين على أن يقيموا بدقة القدرة الاستراتيجية لدى القوى الصغرى ومدى التهديد الذى يمكنها أن تمثله •

انه لا يمكن تصور بقاء الدول ذات الاقتصاد المحدود ـ فى الواقع أية دولة فيما عدا القوتين العظميين ـ فى الطليعة بالنسبة للتكنولوجيا النووية بما يمكنها من أن تساير آخر أنماط الرءوس النووية ووسائل نقلها • وفى نفس الوقت ، فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن امتلاك قدرة صغيرة أو الاحتفاظ بها هو مجهود عقيم ولا معنى له •

كان هناك شعور فى وقت من الأوقات بأن القدرة النووية تستطيع

أن تمارس تأثيرا استراتيجيا بناء ، فقط ، على قاعدة كل شيء أو لا شيء ، ولكن فكرة « الصدقية » تناقض هذا المفهوم • اننا نرى الآن أنه حتى القوة النووية الصغرى تستطيع ، بشرط أن يكون لديها خصائص قابلة للتصديق أن تسعى الى تحقيق حالة من «الردع الصغير» وبذلك تمارس تأثيرا كبيرا على نواحى الاستراتيجية الشاملة على المسرح العالمى •

وأفضل طريقة لتقييم أهمية القوى النووية الصغرى هو دراسة تطورات القوتين النوويتين الأوروبيتين •

ان بريطانيا ، وهى رائدة فى ميدان التكنولوجيا النووية ، ليست مثالا جيدا للقوة الصغرى التى تتطلع الى أن تصبح رادعا مستقلالأنها قررت بعد دخولها الى النادى النووى بسنوات قليلة أن تكون استراتيجيتها النووية تابعة لاستراتيجية الولايات المتحدة • لقد بدأ تنازل بريطانيا عن قدرتها لصالح الحسم النووى ذى الطرف الواحد بالاتفاقية التى عقدتها عام ١٩٥٨ مع أمريكا عندما أصبح من الممكن ، بناء على تعديل أقره الكونجرس الأمريكى ، تبادل المعلومات النووية بشكل وثيق بين الدولتين ، ولكن بشرط ألا تقوم بريطانيا بمبادأة قد تخاطر بحرب نووية دون استشارة الولايات المتحدة • وأدى الغاء البرنامج البريطانى الخاص بالصواريخ بعيدة المدى من طراز « بلوستريك » وامداد بريطانيا بصواريخ « سكاى بولت » من الولايات المتحدة الى أن أصبحت تعتمد على أمريكا فنيا ، كما خضعت لسيطرتها سياسيا • ثم فى عام ١٩٦٢ عندما استبدلت أمريكا بصواريخ « سكاى بولت » صواريخ « بولاريس » التى تطلقها الغواصات ، أضيف المزيد من القيود على بريطانيا ، وذلك بأن يرتبط قبول بريطانيا لهذه الصواريخ بشرط تخصيص كل الغواصات التى تحمل صواريخ بولاريس لحلف شمال الأطلنطى ، لكى تشكل بها نواة لقوة حلف شمال الأطلنطى • وبالاضافة الى ذلك ، يخصص جزء من القوة البريطانية الموجودة من القاذفات «V» لحلف شمال الأطلنطى ، مع حرية استخدامها من طرف واحد ، ولكن فقط ، عندما « تتعرض المصالح القومية العليا للخطر » •

وفى عام ١٩٦٦ تزايد اعتماد بريطانيا على الولايات المتحدة من أجل المحافظة على قدرتها النووية ، وذلك بقرارها التخلص من حاملاتها وشراء الطائرات ف ــ ١١١ أ الأمريكية بدلا منها • وهكذا ، تخلت بريطانيا بالفعل عن سيطرتها الذاتية على قوتها النووية الاستراتيجية بعد أن شرعت فى بنائها بسنوات قليلة •

أما مسألة التطلع النووى الفرنسى ، فهى قضية أكثر طموحا بكل

ما فى ذلك من معنى • لقد قرر الجنرال ديجول أن يمضى قدما نحو خلق قوة نووية فرنسية بعد أن مضى وقت طويل على توطيد وضع القوتين العظميين الامريكية والروسية ، وحتى على الرغم من أنه كان يعلم أن فرنسا لاتستطيع أبدا أن تمتلك أكثر من جزء صغير من المخزون المطلوب لرفع بلاده الى هذا المستوى •

لقد اعتبر برنامج الجنرال ديجول فى الأصل على أنه اجراء مضاد للاتجاهات الانقسامية داخل حلف شمال الأطلنطى التى نتجت عن قرار أمريكا بعدم منح الحلف سلطة الاطلاق النووى(١) • ولعدم اقتناعه بوجود استقرار مطلق تحت مظلة الردع ذات القطبين للقوتين العظميين، فانه كان يهدف الى حماية المصالح الأوروبية بادخال استراتيجية « طرف ثالث » الى نظام الردع الأمريكى السوفيتى ، وذلك عن طريق التخطيط لخلق قوة ضاربة نووية خاصة بها •

لقد كانت الحجة الفرنسية هى أن تدخل طرف ثالث أضعف منهما ومتحالف عقائديا مع واحدة من القوتين العظميين ، ولكنه يحتفظ بدور سياسى واستراتيجى مستقل • يدخل قوانين جديدة تزيد أكثر مما تنقص من الاستقرار ذى القطبين القائم حينئذ فعلا ، وخاصة فى « المناطق المتطرفة » ، أى فى المناطق التى تقع فى أراض غير أراضى كل من القوتين العظميين • واذا بسطنا ذلك فى عبارات محددة ، فانها تعنى أنه على الرغم من أن أيا من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى (لأن كلا منهما يجد أن قدرة الطرف الآخر على الرد بتوجيه ضربة ثانية هى قدرة قابلة للتصديق) لن يخلق موقفا يضطرهما الى تبادل الضربات الاستراتيجية ، فانه ستظل هناك مناطق من عدم الاستقرار (أوروبا الغربية أو أوروبا الشرقية ، مثلا) ، وقد يرغب أى منهما أن يخاطر فيها باتباع « استراتيجية الأزمات» (مثلما حدث فى كوبا) دون اللجوء الى التصعيد الأقصى المضاد للمدن • وفى مثل هذه الحالة ، اذا أرغم أى منهما على أن يكون فى وضع عليه أن يبدى فيه ما يثبت عزمه وتصميمه ، فقد تبدأ الأعمال العدائية على المستويات الدنيا ، وتتصاعد تدريجيا حتى تصل الى النقطة التى تصبح فيها المخاطرة أكبر من القضية نفسها • فعلى سبيل المثال ، قد تتصاعد مواجهة الحرب الباردة حول برلين الى تبادل اختيارى للضربات النووية التكتيكية ••• ثم تتوقف ، نظرا لأن المخاطرة عند هذه النقطة (أى النقطة التى تتعرض

---

(١) اى حق استخدام الاسلحة النووية بدون الرجوع الى امريكا •
(المترجم)

فيها أرض كل منهما الى تهديد بتبادل الضرب الاستراتيجى) تصبح أكبر من القضية (أى وضع اليد على برلين) ٠ ومع ذلك ، فمن وجهة نظر الرجل الأوروبى ، قد تم الوصول الى هذه النقطة ، حتى قبل الوصول الىمستوى الحرب النووية التكتيكية ٠٠٠ أى عند المستوى التقليدى ٠ والفرق بين الموقفين ، بالنسبة له ، هو نفس الفـــرق بين وجود أو دمار حضارته ٠ ويجادل الفرنسيون قائلين ان عدم وجود رادع نووى من جانب « طرف ثالث » هو فقط الذى يسمح باحتمال وقوع مثل أزمة التصعيد هذه فى « المناطق المتطرفة » ، وأنه من الممكن استبعاد هذا الاحتمال الى حد كبير لو كان هناك « رادع أدنى مستقل » (أى رادع قابل للتصديق وان كانت قدرته محدودة) يعوض عن حركات التصعيد على المستويات الدنيـــا ٠ ويشعر الفرنسيون ، ولهم العذر ، بأن البريطانيين لم يعودوا قادرين على توفير مثل هذه القوة « المستقلة » وبذلك يقع عليهم عبء هذا العمل ٠

لا يمكن أن ننكر أن هناك جانبا كبيرا من القوة فى الحجة الفرنسية الا أنها ، أساسا ، وجهة نظر فرنسية ٠ أما فيما يتعلق بالامريكيين ، فان ظهور « طرف ثالث » فى أوروبا مستقل فى قوته الضاربة النووية يؤدى الى نفس الحالة التى حرصوا على تجنبها ، وهى احتمال القيام بعمل طائش يمكن أن يكشف عن آفاق من التصعيد ، رغمـــا عن الاستقرار الامريكى السوفيتى القائم ٠ لقد كان هذا هو السبب فى أنها منعت سلطة الاطلاق النووى عن حلف شمال الأطلنطى ، فحصول فرنسا على هذه السلطة يضع على عاتق الرادع الأمريكى مسئولية أكبر مما كانت عليه فى أى وقت مضى ٠

ان وجهتى النظر هاتين لايمكن التوفيق بينهما ، وهذا هو المقدر أن يكون بين وجهتى نظر « امتلاك » و « عدم امتلاك » القوى النووية ٠ ان النقطة الحقيقية هى أن كلا منهما على حق بالنسبة لمستواه ، فالقوة الضاربة الفرنسية ستكون بالتأكيد عامل استقرار على مستويات التصعيد الدنيا ، وهو ما يشغل بال ديجول بصفة أساسية ، على حين من المؤكد بنفس الدرجة أنه سيدخل ، عند قمة السلم ، عنصر من التوتر الى الاستقرار القائم ٠

ولنتحول الآن عن أوروبا الى المسرح الآسيوى ، حيث أصبحت الصين العضو الخامس الذى ينضم الى النادى النووى الدولى ٠ فعلى الرغم من أن مدى قدرتها المحتملة ليست واضحة فى الوقت الحـاضر ، الا أن السرعة الملحوظة لتطورها التكنولوجى لا تدع مجالا للشك فى أنها سوف تمتلك فى أوائل السبعينات قوات نووية تكتيكية واستراتيجية ذات حجم يحسب له حسابه ٠ وسوف يكون مغزى هذه القدرة أكثر ازعاجا مما هى الحال

مع بريطانيا أو فرنسا بسبب عدد من العوامل الخاصة بالمسرح الآسيوى.

ومن وجهة النظر التقليدية البحتة (أى بدون تطبيق مفهوم « الاستراتيجية الشاملة » الذى توحى به القوة النووية) لايوجد هناك توازن عسكرى فى آسيا (بالمعنى الآسيوى البحت) . ففى أى من مواقف المواجهة العسكرية المرتقبة ، يحتمل أن يكون لدى القوة المسلحة الصينية تفوق تقليدى ملحوظ . وحتى اذا استطاعت كل الدول الحالية الواقعة على حدود الصين أن تتحد فى تحالف عسكرى ، فمن المشكوك فيه أن يوجد هناك توازن تقليدى . ومن جهة أخرى ، فان مايبعث على الاحساس بالأمن فى آسيا هو ضمان تقديم المعاونة التقليدية (سواء ضمنية أم صريحة حسبما تكون الحال) من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى ضد تهديد العدوان الصينى . وهكذا ، فان الوعد بتقديم المعاونة العسكرية « الغربية » هو الذى يساعد على صون مفهوم التوازن العسكرى الآسيوى .

ومع ذلك ، فبعد أن تصبح الصين قوة نووية فعالة سوف يتغير الوضع بدرجة كبيرة ، ذلك لأن المفهوم الاستراتيجى فى آسيا سوف يكون عليه عندئذ أن يتغير أيضا من الشكل التقليدى « الشامل » . وفى هذا المناخ الجديد ، ستصبح مسألة الاحتفاظ بالتوازن التقليدى ذات اعتبار ثانوى ، لأن العامل النووى سيحل محلها كمفتاح للاستراتيجية الآسيوية .

لقد رأينا منذ حين أن الخصائص الجغرافية والاقتصادية والسكانية للصين تعطيها عامل صدقية نووية كبير . وهذه الصدقية لها مغزى مزدوج ، أولا : أن الصين قد تحرز ، فى المجال الآسيوى البحت ، ميزة الاحتكار النووى (بالاضافه الى تفوق تقليدى قائم من قبل) ، وثانيا ، فانها قد تستطيع فى المجال النووى أن تمارس تأثيرا له معناه حتى على توازن القوة النووية الأمريكية السوفيتية . وعندما يحدث ذلك ، فلابد من تعديل مفهوم التوازن والأمن العسكرى لآسيوى بأكمله ، ذلك لأن الافتراض الحالى الخاص بالمساعدة لغربية التلقائية ضد العدوان الصينى سوف يصبح فى أحسن حالاته حافلا بالمشاكل ، وفى أسوئها عاجزا عن التأثير .

• الاستراتيجية الشاملة واحتمالات المستقبل

لقد خلق ظهور الصين على المسرح النووى اضطرابا فى المعسكرين النوويين الآخرين لا يتناسب مع القدرة المقدرة لها مستقبلا . ومع ذلك، فمهما كان تقدمها التكنولوجى مثيرا ، فمن المحتمل أن تتعدى الصين ، لفترة طويلة قادمة ، المستوى النووى الصغير الذى بلغته فرنســا وبريطانيــا ، ومن المستحيل أن تستطيع اللحـــاق بأى من القوتين العظميين . وبالرغم من ذلك ، فان رد الفعل من جانب العملاقين كان حادا وفوريا ، وهو مالم يحدث أبدا بالنسبة لفرنسا . فأمريكا ، مثلا ، قد قلبت سياستها المقررة الخاصة بارساء الاستراتيجية النووية على قاعدة كل القدرة الهجومية أو لا شيءمنها ، وقررت أن تبدأ فى تنفيذ برنامج للصـــواريخ المضـــادة للصـــواريخ لحماية شبكة المدن ضد الهجوم الصينى المحتمل ، وهى خطوة تستتبع تحولا ـ لم يسبق له مثيل ـ الى الاستراتيجية النـــووية الدفاعية المبنية على الأسلحة النووية الدفاعية . ونظرا لأن القرارات النووية لا يتم اتخاذها بتسرع ، فمن الواضح أنه لابد أن هناك عاملا جديدا للاستراتيجية النووية فى المواجهة مع الصين ... وهذا العامل اما أنه لم يكن موجودا من قبل، أو أنه لم يلق عليه الضوء فى السنوات التى كان الجدال النووى الامريكى السوفيتى يدور خلالها .

ان المشكلة الجديدة التى تخل بمفهوم العشرين سنة الأخيرة هى مشكلة معقدة جدا ، وهى مشكلة حوار الردع ذى الاطراف المتعددة .

فبعد أن تبنى الصين قوتها النووية الى المدى الذى تصبح فيه رادعا قابلا للتصديق (وقد رأينا أنها تمتلك من خصائص الصدقية مايعوضها عن تخلفها من حيث مخزون القوة النووية) ، فانها ستصبح فى الواقع مركزا نوويا مستقلا من مراكز صنع القرارات ، وهو وضع لم تتطلع اليه بريطانيا وفرنسا اطلاقا . وحتى القوة الضاربة الفرنسية ، بالرغم

من كل خطط ديجول الطموحة لايجاد «طرف ثالث مستقل» وما فرضته من تعقيدات على التوازن الأمريكى ـ السوفيتى ، فانها قد ظلت محصورة ضمن غطاء الاستقرار القائم ، بحيث أن الجدال النووى فى الغرب قد استمر فى التطور بناء على مفاهيم ثنائية على نحو صارم ٠

ان الوضع سيتغير بشكل عنيف بعد أن يدخل « متحد » ثالث الى الميدان ، حتى ولو كان هذا المتحدى أضعف بشكل ملحوظ من القوتين العظميين ٠ وطالما بقيت الصين غير « متحالفة » مع أى من أمريكا أو روسيا فى السياسة السياسية أو السياسة الاستراتيجية ، فانها ستخلق طرفا ثالثا فى الحوار الخاص بصنع الاستراتيجية العالمية ، وبذلك تجعل كل القواعد الثنائية السابقة عرضة لتفسير ثلاثى ٠ وفور حدوث ذلك ، سيكون من اللازم أن توجه قوانين الاستراتيجية الشاملة ليس بواسطة الحوار الواحد الأبسط نسبيا ، وانما بواسطة جدل حوارى ذى ثلاثة أطراف تعمل فى نفس الوقت ٠

وبينما قد تمتلك القوة النووية الصينية قابلية محدودة للتصديق فى جدل ثنائى بحت مع أى من القوتين العظميين على حدة ، فان الوضع سيكون مختلفا تماما فى الاستراتيجية ذات الزوايا الثلاث ٠ ونظرا لأن لقوتين العظميين محبوستان حاليا داخل جدال نووى محكم التوازن ـ وهو وضع لا يمكن لأى منهما أن ينسحب منه ـ فان مايتبقى لهما من قدرة هو وحده الذى سيؤثر فى مواقفهما المشتركة تجاه الصين ، وهذا هو ماسيعطى الصين وضعا تتزايد صدقيته ٠

ويمكننا أن نتصور جيدا خضم التعقيدات الناتجة عن ذلك ، فبينما كان من الضرورى فى المواجهة الثنائية أن يراقب المرء خصما واحدا فقط ، فانه يجب فى الصراع الثلاثى أن يمتد نفس التيقظ ليشمل نوايا وردود فعل خصمين فى وقت واحد معا (ويحاول فى الوقت نفسه أن يقيس التأثير المتبادل النووى بينهما) حتى يتمكن من أن يقرر نواياه الخاصة ، وأن يتحكم فى توجيه ردود فعله ٠ ان ذلك لا يعنى مجرد زيادة التعقيدات الى ثلاثة أضعافها ، وانما يعنى زيادتها الى عدة أضعاف ٠٠٠ خمسة عشر ضعفا على وجه التحديد ، لأن هناك خمسة عشر شكلا مختلفا من التباديل والتوافيق الحسابية تستطيع استراتيجية المبادأة والرد الانتقامى أن تلعب فيه دورها ٠

ومع ذلك ، فبدلا من الدخول فى منطق مبهم ، وفى تقديرات

الآلات الحسابية التى قد تكون مطلوبة لحساب الطرق المختلفة التى قد يتدخل بها أحد الأطراف فى أى موقف معين ، سوف نكتفى بأن نسجل فى عبارات عامة المعانى الرئيسية التى يتضمنها الموقف الجديد ٠

أولا : نلاحظ أن الاستقرار الشامل القائم حاليـــا بين القوتين الأساسيتين يجب أن يبقى بأى ثمن ، دون أن يتأثر بظهور دخيل ثالث وان كان صغيرا ٠ وفى الحقيقة ، فانه من المرجح تماما أن يصبح هذا الاستقرار أكثر ثباتا ، لأن أية ميزة ثانوية قد تحصل عليها احدى القوتين العظميين فجأة تتجه الآن الى أن يستوعبها المجهود الذى يبذل فى القيام بالحركة الجانبية ضد القوة الصغرى أكثر مما تدفع الى قيام القوة العظمى بمبادأة مفاجئة ، كما كنا نخشى من قبل ٠ واذا ترجمنا ذلك الى عبارات فعلية ، فانها تعنى أن ظهور الصين كمنافس نووى سوف يقلل من احتمال القيام بالمبادأة الاستراتيجية من جانب روسيا أو أمريكا ، اذا حدث أن حققت أى منهما تقدما مفاجئا يحقق التفوق٠ وهكذا ، فان النتيجة الأخيرة للتوسع نحو المواجهة الثلاثية قد تكون تزايدا أكثر منه تقليلا ، فى الاستقرار الثنائى للقوتين العظميين ٠

ثانيا : اننا نرى أن التنفيذ داخل التفاعل الثلاثى قد جاء لأول مرة ، بضرورة اكساب الأسلحة النووية قدرة دفاعية ٠ لقد كان هناك من قبل ، اصرار على تقليل أهمية هذا المطلب من جانب روسيا ، الى حد ما ، ومن جانب الولايات المتحـــدة كلية ٠ وهذا الاتجـــاه نحو الاستراتيجية النووية الدفاعية له مضمون أكبر فى مغزاه مما يبدو للوهلة الأولى ٠ ان تبنى هذا الاتجاه سوف يؤدى بالتدريج الى وجود مجموعة من الأسلحة النووية الدفاعية المتطورة باستمرار ، مثل نظم الصواريخ المضادة للصواريخ المعقدة والمضمونة التى كانت كلا القوتين العظميين تحجم من قبل عن تحويل مواردها اليها ٠ وســوف يؤدى هذا بدوره الى الزيادة فى توفر نظم الصواريخ المضادة للصواريخ ٠ وعندما يحدث ذلك ، فقد تزداد قوة حجج أمريكا وروسيا الخاصة « بعدم التعدد أو الانتشار « (التى فشلت حاليا فى اقناع دول مثل الهند) بفضل ضمان أكثر صدقية ٠٠٠ ألا وهو توفير غطاء دفاعى نووى للقوى غير النووية ٠ وبينما نجد أن كلا من روسيا وأمريكا ليستا على استعداد لاعطاء قـــوة نووية هجومية الى حلفائهما ، فقـــد توافقان على امداد حلفائهما ، بل ودول عالم عدم الانحياز أيضا بسلطة الاطلاق الدفاعية ؛ وذلك لتوفير الحد الأدنى من غطاء الصواريخ المضادة للصواريخ لمناطقها

المهددة نوويا ٠ ان مثل هذا الاحتمال يستطيع ، فى تصورنا ،أن يغير جو الطريق المسدود الحالى كله الذى تجد القوتان العظمتان نفسيهمـــا فيه فيما يتعلق باقتراحات عدم التعدد (عدم الانتشار) ٠

ان هذه المواقف ، وكذا الكثير من المواقف الأخرى ، سوف تواجه المفكرين النوويين فى المستقبل ٠ ان مجال هذا الكتاب لايدخل فى كل التعقيدات والحجج الجدلية والتقديرات التى قد تستتبعها مثل هذه المشـكلات ٠ وعلى أى حال ، فهنـاك فى الوقت الحالى الكثير من العوامل المجهولة مما يصعب معها على أى فرد أن يحـاول التنبؤ بالتطور التـالى للاستراتيجية الشاملة ٠

فعلى سبيل المثال ، لا مراء فى أن يمتد الصراع الثلاثى ـ الامريكى ـ الروسى ـ الصينى فى الوقت المنـاسب ليشمل مزيدا من اطارات العمل متعددة الجوانب ، كلما استطاع مزيد من القوى أن يحصل على القدرات النووية المستقلة ٠ ومع ذلك ، فما هى الا وجهة نظر معاصرة محدودة تلك التى ترى أن الحصول على المهارة النووية تقدم تكنولوجى رئيسى ٠ ويعتقد العلماء ، من وجهة النظر التاريخية ، أنه ، خلال سنوات قليلة ، سوف يضع التقدم التكنولوجى انتاج الطاقة النووية فى متناول معظم الدول ، وهذا الانتشار للعلم النووى فى حد ذاته قد يعنى انتشارا واسع النطاق ٠

وفى استطاعة أى فرد أن يخمن ماستعنيه « الاســتراتيجية الشاملة » فى مثل هذه الظروف ٠ وهنـاك ، بالتأكيد ، أسباب تدعو للخوف من ظهور عصر من عــدم الاستقرار النووى الدائم مبنى ، فى اعتقاد القوتين العظميين ، على أســاس الحروب التى تأتى نتيجة لسوء التقدير أو الأعمال الطائشــة ٠ ومن ناحية أخرى ، فان التعقل وضبط النفس ليسـا مقصـورين على القوى الكبرى ، فالتاريخ يبرهن ، فى الواقع ، على أن هذه القوى قد اكتسبت هذه الصــفات نتيجة حصولها على القوة والمسئولية النووية ٠ واذا انطبق نفس الشىء على كل القوى المتعددة ،أفليس من الممكن أن عملية التعدد (الانتشار) نفسها سوف تأتى فى أعقابها بمجموعة من الضوابط ونظم السيطرة على نطاق العالم يمكنها أن تنهى ، الى الأبد ، الحروب الكبرى ، سواء كانت استراتيجية أم تكتيكية ؟

LIST OF BOOKS CONSULTED

Warfare Through the Ages	L. Montross
Weapons and Tactics	T.H. Wintringham
Gustavus Adolphus	Dodge
History of Frederick the Great	Carlyle
Napoleon's Battles	H. Lachouque
Napoleon	J. Marshal-Cornwall
Napoleon's Russian Campaign	P. De Segur
Wellington in thae Peninsula	Jac Weller
The Civil War in the United States	W. Birbeck Wood and J. Edmonds
First World War	R. Thoumin
The Western Front	J. Terraine
Verdun	J. Romains
Makers of Modern Strategy	E.M. Earle
Summary of the Art of War	De Jomini
On War	K. Clausewitz
Grand Strategy (Vols. V and VI)	J.P.W. Ehrman
Tée Art of Modern War	H. Foertsch
The Conduct of War	J.F.C. Fuller
The Second World War	J.F.C. Fuller
With Prejudice	Lord Tedder
Hitler's War Directives	H. Trevor-Roper
Mac Arthur Reminisces	D. MacArthur
McArthur Reminisces	B.H. Liddell-Hart
The Strategy of Indirect Approach	B.H. Liddell-Hart
The Remaking of Modern Armies	De La Gorce
The French Army	B.H. Liddell-Hart
Memoirs	M.P.A. Hankey

The Supreme Command	F.A. Johnson
Defence by Committee	F.M. Osanka
Modern Guerillan Warfare	P. Paret and J.W. Shy
Guerillas in the 1960s	Giap
People's War, Peoples Army	Mao Tse-Tung
Basic Tactics	S.B. Griffith
Mao Tse-Tung on Guerilla Warfare	
Military Strategy : Soviet Doctrines of Concepts	V.D. Sokolovsky
Strategic Mobility	N. Brown
Nuclear War, The Impeding Deadlock	N. Brown
Arms and Stability in Europe	A. Buchan and P. Windsor
Deterrence or Defence	B.H. Liddell-Hart
NATO : The Entangling Alliance	R.E. Osgood
Strategy in the Missil Age	B. Brodie
Introduction to Strategy	A. Beaufre
Deterrence and Strategy	A. Beaufre
The Cold War	D.F. Fleming
On Thermonuclear War	H. Kahn
On Escalation	H. Kahn
Defence in a Changing World	J. Moulton

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

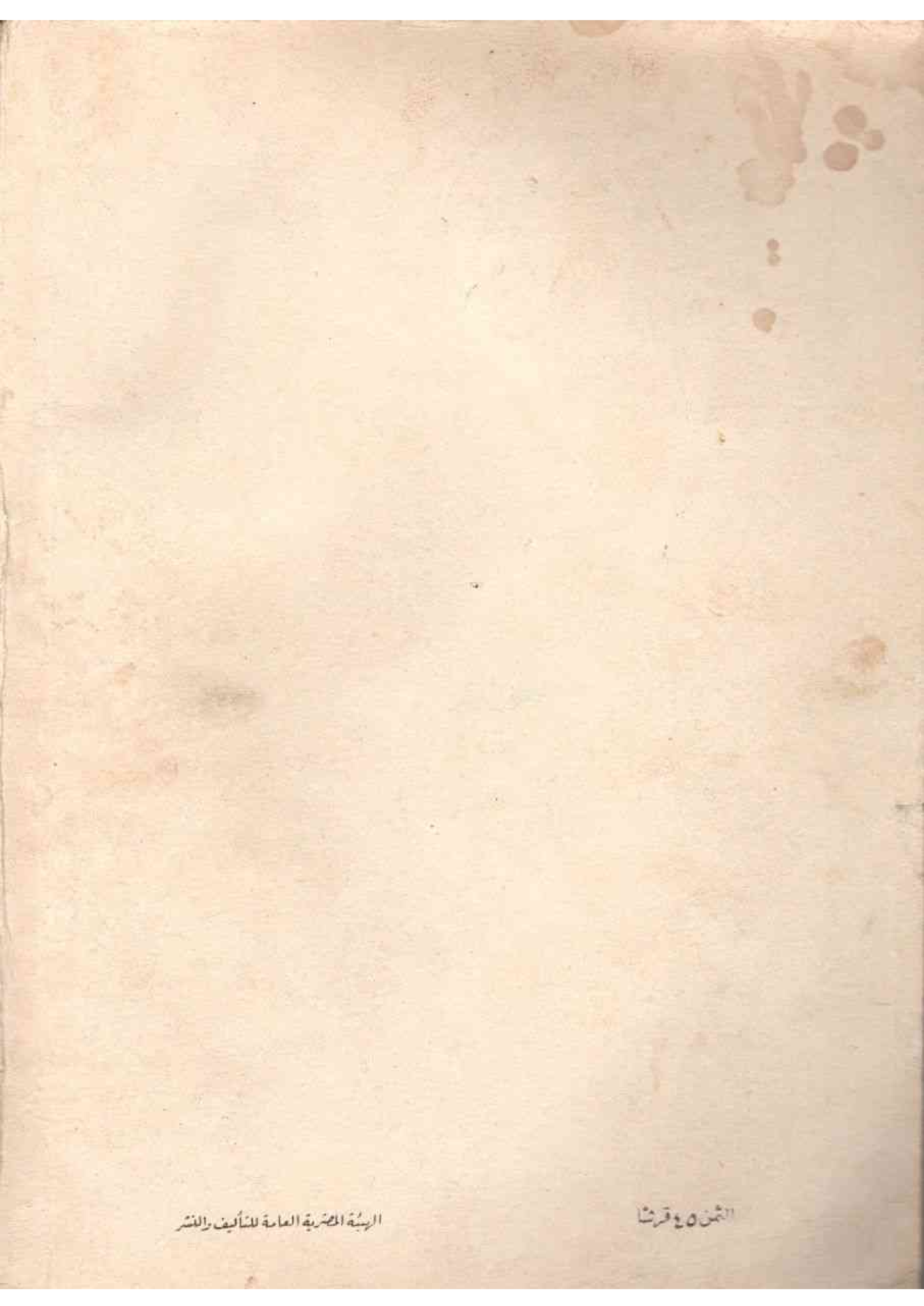
الفصل الثامن والعشرون

الفصل التاسع والعشرون

الفصل الثلاثون

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٣٤٥٧



الثمن ٤٥ قرشا

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر